الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث تخصص دراسات أدبية مقارنة موسومة ب

# جهود المستشرق أندريه ميكال في دراسة النص الأدبي العربي


إعداد الطالب: **شريط رفيق**

إشراف الدكتور: **منقور ميلود عبيد**


## لجنة المناقشة

| الاسم واللقب | الرتبة | الجامعة | الصفة |
|---|---|---|---|
| المكروم السعيد | أستاذ التعليم العالي | جامعة عبد الحميد بن باديس ـ مستغانم ـ | رئيسا |
| منقور ميلود عبيد | أستاذ محاضر ـ أ ـ | جامعة بلحاج بوشعيب ـ عين تموشنت | مشرفا ومقررا |
| فريحي مليكة | أستاذ التعليم العالي | جامعة عبد الحميد بن باديس ـ مستغانم ـ | عضوا مناقشا |
| بوزيد نجاة | أستاذ التعليم العالي | جامعة عبد الحميد بن باديس ـ مستغانم ـ | عضوا مناقشا |
| مسكين حسنية | أستاذ التعليم العالي | جامعة عبد الحميد بن باديس ـ مستغانم ـ | عضوا مناقشا |
| مناد ابراهيم | أستاذ التعليم العالي | المركز الجامعي بمغنية ـ تلمسان ـ | عضوا مناقشا |

السنة الدراسية: 2023/ 2024

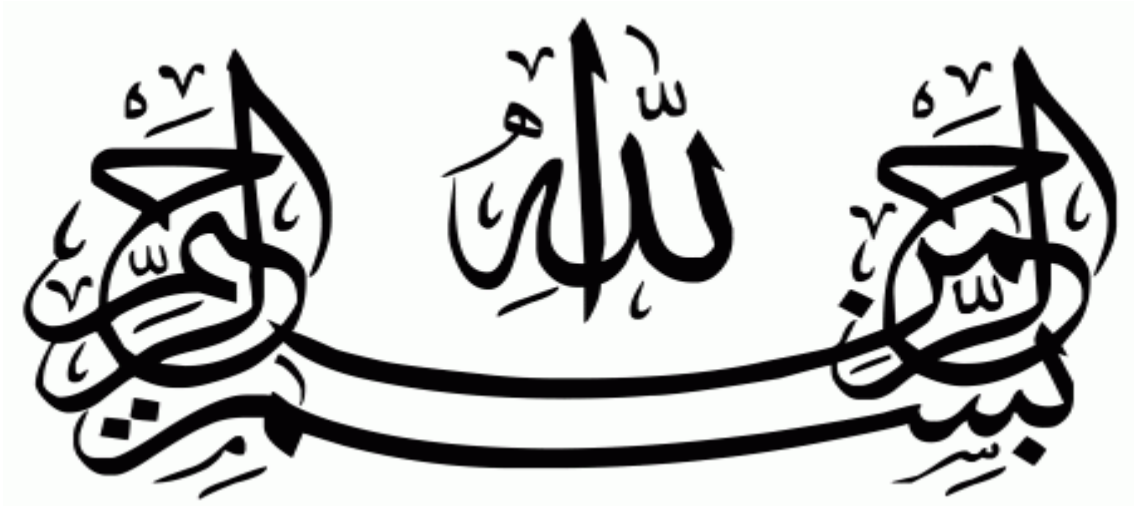

﴿وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾

سورة النساء، الآية 113.

# الإهداء

إنْ كان الإهداء يعبّر عن جزءٍ من الوفاء، فإنّني أهدي هذا العمل إلى ...

إلى روح والدي الطّاهرة

إلى روح والدتي الحَنونة

إلى جميع أفراد أُسرتي

إلى كلّ من ساهم في إخراج هذا البحث إلى النّور

أهدي هذا العمل المُتواضع

## شكر وعرفان

أستهلّ شكري في البداية بحمد الله والثّناء على آلائه، إذ أنّ الفضل يعود إليه، لأنّه كتب لي أن أكمل دراستي، والتي لطالما شكّلت حلمًا بالنّسبة لي، ومن بعد ما سخّر لي من يساعدني لبلوغ هذا الحلم، ثمّ أتقدّم بالشّكر وعظيم العرفان لأستاذي الفاضل الدّكتور عبيد منقور ميلود الذي قبل الإشراف على رسالتي المتواضعة، رغم مشاغله الكثيرة، ومنحي بعض النّصائح حولها ولم يبخل عليّ بعلمه وجهده، فاللّهم جازه بأحسن ما جازيت به عبادك الصالحين.

كما أخصّ بالذّكر كلّ أساتذتي الكرام بكلّية الآداب والفنون لجامعة مستغانم على كلّ ما قدّموه لي، والصّلاة والسّلام على أشرف الخلق والأنام.

# مـقـدّمـة

يُعدّ كلٌّ مِن الأدب المُقارن، والاستشراق، والتّرجمة، وأدَب الرّحلات مُصطلحات ارتبطت فِيما بينها، وقد أدّت هذه العلوم دورًا بارزًا في الكشف عن تراث الأُمم السّابقة وما زَالت، كمَا يعُود لها الفضل في ظُهور كثيرٍ من المُصطلحَات الأدبيّة المُرتبطة بها، كالتّوازي والتّقاطُع والتّأثير والتّأثّر والمُثاقفة وغيرها، والتي أسهمَت في تلاقُح الثّقافات وتلاقيها، ممَّا فتح المجال أمام الدّارسين والباحثين الذين كشفوا عن علاقاتٍ مهمّةً ووثيقةً بين ثقافات الأُمم السّابقة والحالية.

وعند الحديث عن جهود أندريه ميكال( andré miquel ) في نقل الثّقافة والأدب العربي إلى لغته وأدبه يستلزم الحديث عن الاستشراق والأدب المُقارن والتّرجمة ودور المستشرقين والرّحالة في تلاقي الثّقافات والأديان والعلوم كافّة، فالتّرجمَة حقل معرفيٌّ مشترك، يؤدّي دور الوسيط بين النّصّ الأصلي لغة المصدر، واللّغة التي ينتقل إليها النّصّ لغة الهدف، وهي أيضًا فعل إبداعي، ونشاطٌ لُغويّ، وضرورةٌ حضاريّة، وموقف أيديولوجيّ تُؤطّرها طبيعة العلاقات المتبادلة بين مجتمعي النّصّ: المترجَم منه والمترجم إليه في لحظةٍ تارِيخيّةٍ معيَّنة.

بِاعتبار أنّ المدرسة الفرنسيّة رائدة المدارس الاستشراقيّة في أوروبا، فإنّنا في هذه الدِّراسة سنتعرّف إلى ما قام بِه المستشرق أندريه ميكال من نقلٍ للثّقافة العربيّة إلى اللّغة الفرنسيّة، وهو من علماء الاستشراق الذين استلهموا سحر الشّرق وعشقوا أدبه من أجل أدبيّة الأدب لا غير، جاعلاً من العلم والمعرفة همّه الأساسي، فلم يكن استشراق ميكال استعماريًا كاستشراق: كوستاف فون جرنبوم (gustav edmend von grunebaum) ولم يكن متعصّبًا في دراسته كاستشراق: مرجليوث(david samuel margoliouth) بل تميّز بحبّه وإخلاصه للأدب العربي، فألّف كتبًا قيّمةً عن الأدب العربي، وترجم الشّعر والنّثر وتكلّم عن أدب نجيب محفوظ وألهمته رواياته.

من بين الدّوافع التي جعلتني أختار موضوع (جهود المستشرق أندريه ميكال في دراسة الأدب العربي) ما يلي:

1- قلّة الدّراسات التي عُنيت بالاستشراق العلمي الإيجابي، ويتمثل في جمع المخطوطات وترتيبها وتبويبها وحفظها في المكتبات الغربية، والتحقيق والترجمة.

2- حاجة الباحثين لنتاجات المستشرقين الفكريّة والعلميّة التي استفاد منها الشّرق والغرب على حدٍّ سواء.

3- إهمال الاستشراق العلمي المعرفي الذي اهتمّ بتراثنا العربي دراسةً وتَرجمَةً وتحقيقا.

4- كَون المدرسة الفرنسيّة رائدة المدارس الاستشراقيّة في أُوروبا، ودور الدّارسين الفرنسيِّين في الاتّصال بين الحضارتين.

5- دور أندريه ميكال البارز في إذكاء روح التّرجمة وإقامة العلاقة بين الشّرق والغرب.

تبقى الدّراسات الاستشراقية والتّرجمة الأدبيّة التي يعتبر أندريه ميكال أَحد أقطابها أَصعب أنواع التّرجمة ، ولعلّ مصاحبتنا لدراساته قراءةً وترجمةً تطرح علينا هذه الإشكاليّة:

1- إلى أَيّ حدٍّ نجح أندريه ميكال في ترجمة تصوّر القراءة التي قدّمها للأدب العربي؟

2- إلى أيّ مدًى ساهم في تطوير الاستشراق العلمي؟

3- ما دوافع أندريه ميكال في دراسة الأدب العربي؟

4- ما موقع هذه التّرجمات في سياق حركة الاستشراق؟

5- هل أَدّت النّصوص التي ترجمها أندريه ميكال الدّور الذي أراده لها في لغته الأصليّة؟

وتتناول الدّراسة الآثارَ الأدبيّةَ والثّقافيّة التي خلّفها المستشرق الفرنسي أندريه ميكال، كلّ هذا لاستنباط ما لهذا المستشرق وكلّ المستشرقين من دورٍ مؤثّرٍ على الأدب العربي والأدباء.

استدعت الإشكاليّة فرضيّاتٍ تمثّلت من خلالها الإجابة عن الإشكاليّات تتجسّد فيما يلي:

1- هل كان أندريه ميكال من أنّصار اللّغة العربيّة؟

2- ليس في الإمكان التّأسيس لاستشراقٍ علميٍ معاصرٍ جاعلاً من العلم والمعرفة همّه الأساسي؟

3- ألم يُعجب أندريه ميكال بثروة هذه اللّغة وكلماتها التي لا تعدّ ولا تحصى، ألم يتميّز بحبّه وإخلاصه للتّراث العربي؟

4- ألم ينجح أندريه ميكال في رسم صورة ثقافة العربي؟

اقتضى الموضوع المنهج التّاريخي منهجًا للبحث في هذه الدّراسة النّظريّة، مع الاستعانة بالمنهج المقارن في بيان بعض أوجه الاتّفاق والاختلاف مع الدّارسين العرب للأدب العربي، فمن خلال هذين المنهجين سأتمكّن من وصف معطيات ونتائج الدّرس الأدبي العربي عند أندريه ميكال مع التّحليل والتّجزيء إلى مفاهيم أكثر وُضوحا والقراءة النّقدية لبنائه النّظري وكشف ما أسداه أندريه ميكال لخدمة الأدب واللّغة العربيّة.

قسمنا البحث إلى مقدمة، ومدخلًا، وثلاثة فصول، وخاتمة، حيث تناولنا في المقدمة تعريفًا بالموضوع والكشف عن مكانته وبيان أهمّيته، كما تمّ طرح الإشكالية المنطلق منها في معالجة هذا الموضوع، والفرضيات المعتمدة في الإجابة عنها وكذا منهج البحث في هذا الموضوع، ويبدو أنّ المنهج التّاريخي والمنهج المقارن يفِيان بهذا الغرض، واشتملت على بنية البحث، والدّراسات السّابقة والمصادر والمراجع، والصّعوبات المتوقّعة.

وتناولنا في الفصل الأوّل، الأدب العربيّ ومكانته في الدّراسات الاستشراقية، واشتمل على ثلاثة مباحث، المبحث الأوّل الأدب العربي في الدّراسات الاستشراقية الفرنسية والمبحث الثّاني التّعريف بالمدرسَة الاستشراقِيّة الفِرنسيّة وأهمّ أعلامها، والمبحث الثّالث جاء فيه سيرة المستشرق أندريه ميكال ومنهجه في الدّراسات الاستشراقية.

وتناولنا في الفصل الثّاني، النّصّ النّثرِي عند أندريه ميكال، واشتمل على ثلاثة مباحث، المبحث الأوّل، إسهامات ميكال في دراسة النّثر العربي والمبحث الثّانـي الخصائص الفنّية للأدب العربي من خلال قراءةٍ في كتاب الأدب العربي والمبحث الثّالث الخرافة عند أندريه ميكال، حيث تناول هذ الفصل ترجمة النّصّ النّثري العربي إلى الفرنسية

من طرف ميكال، فترجم الخرافات والمقامات وأدب الرّحلات والجغرافيا العربية والرّواية العربية.

وتناولنا في الفصل الثّالث، الخصائص الفنّية للشّعر العربي عند أندريه ميكال، واشتمل على ثلاثة مباحث، المبحث الأول، أصالة الشّعر العربي عند أندريه ميكال والمبحث الثّاني ترجمة الشّعر العربي ودراسته ونشره عند ميكال، والمبحث الثّالث، نظم الشّعر العربي عند أندريه ميكال، إذ تحدّثت عن الرّؤية الاستشراقية للنّصّ الشّعري العربي وقضيّة أصالة الشّعر العربي عند المستشرقين، وموقف ميكال من أصالة الشّعر، كما عرضتُ أبياتًا من ترجمة ميكال من العربية إلى الفرنسية، ثمّ عرضتُ أبياتًا لميكال باللّغة العربية وبيّنتُ تأثّره بالأدب العربي، ثمّ خاتمةً تناولت أهمّ نتائج البحث.

وموضوع الاستشراق أرضيّته المعرفيّة مستمدّةٌ من دراساتٍ سابقة كان لها فضل السّبق، حيث أنّ من الباحثين من تعرّض لقضيّة الأدب واللّغة العربيّة في دراسة المستشرقين من شتّى نواحيها، فمنها ما يتعلّق بدواعي اهتمام المستشرقين وكذا جهود المستشرقين لترجمة النّصّ العربي، ومن الدّراسات التي اهتمّت واعتنت بالنّصّ العربيّ عند المُستشرِقين:

1- الاستشرَاق الفرنسي والأدب العربي " الدكتور أحمد درويش"، سنة: 2004.

2- دور المستشرقين الفرنسيّين في نقل الثّقافة العربيّة إلى الغرب "عبد الرّؤوف خريوش".

3- بحوثٌ في الاستشراق واللّغة " الدّكتور إسماعيل أحمد عمايرة، سنة: 1996.

4- الاستشراق في الأدبيّات العربيّة " الدّكتور علي إبراهيم النّملة "، سنة: 1993.

5-ترجمة النّصّ العربي القديم وتأويله عند ريجيس بلاشير" الدّكتوراه حورية الخمليشي"، سنة: 2010.

6- المستشرقون والمناهج اللّغويّة، إسماعيل أحمد عمايرة.

7- المُستشرقون وترجمة القرءان الكريم، محمّد صالح البندق.

8- بنية اللّغة الشّعرية، جون كوهن، ترجمة محمّد الوالي ومحمّد العمري.

9- مقدمّة ابن خلدون، عبد الرّحمان بن خلدون.

10- تاريخ الدّراسات العربيّة في فرنسا، محمود المقداد.

وبعض الدراسات باللّغة الأجنبيّة

1 -andré miquel, la littérature arabe.
2 -André miquel, L enfant et la promess,
3 - andré miquel, Ors et saisons Une anthologie de la poésie arabe classique.
4 - André Miquel, La fontaine a bagdad : fables arabes d'Ibn al-Muqaffa.
4 -Voir cazemave michel, encyclopédie dés symboles, librairie Général.

صادفت بحثي بعض الصّعوبات، حاولت جاهدًا تخطّيها فالبحثُ بحقٍّ يربط ما هو تراثيٌّ بحت، وما له علاقةٌ باللّغة العربيّة وأدبها عند أندريه ميكال، لذا وجدت نفسي تارةً تراثيًا وطورًا آخر حداثيا، إضافة إلى أنّ البحث في اللّغة العربيّة وأدبها من الأبحاث التي شاءت لها الدّراسات الحديثة أن تكون محلّ أنظار دراسة الباحثين، وبخاصّةٍ الغربيّين منهم ومن ثمّ ألفْيت نفسي مجبرًا للرّجوع إلى الكتب الأجنبيّة مع عدم وجود ترجمةٍ عربيّةٍ لها وهو ما شتّت جهدي بين التّرجمة والبحث، أمّا المترجَم منها فهو قليل، واختلاف الفهم الاستشراقي في الوطن العربي بين المشرق والمغرب وهذا كلّه شتّت جهدي في إثراء هذا العمل على الوجه المرضي.

# مـــدخـــل

يمثّل الشّرق منذ القديم بالنّسبة للغرب ذلك العالم المجهول المخيف والسّاحر والطّريف في حدّ ذاته فتراكمت عبر العصور وفي جلّ اللّغات جملةٌ من الدّراسات والكتابات المتنوّعة اهتمّ فيها أصحابها بالعرب ولغتهم وأدبهم وحضارتهم ومختلف أنشطتهم المعرفية والإنسانية ودراسة كافّة البُنى الثّقافية من وجهة نظرٍ غربيّة، فتجمّعت نتيجةً لذلك مدوّنةٌ ثرية المادّة متعدّدة المباحث أُدرجت تحت عنوان: "الاستشراق"، لذلك سنتناول في المدخل تعريف الاستشراق ومفهومه ونشأته وتاريخه وأثره في الدّراسات الأدبية.

هناك تعاريفُ عدّةٌ للاستشراق باعتباره علمًا أو منهجًا أو أسلوبًا في التّفكير الغربيّ لدراسة كلّ ما يتعلّق بعلوم الشّرق، ويبد أنّ تعريف كلمة الاستشراق من باب التّكرار فقد خاض فيه المختصّون وامتلأت به كتبهم، ولكن "ليس من السّهل على الباحث التّعريف بالأفكار العلمية المجرّدة، لأنّ العلم دومًا قابلٌ للتّطوّر، ولأنّ هذا التّطوّر المستمرّ يكشف عن جوانب دفينةٍ من قبل أو كانت ناقصةً ليست مُوفيةً بالغرض أو المجال الذي يعالج فيه ذلك العلم، وظاهرة التّطوّر والتّغيّر تشمل جميع العلوم حتّى التّطبيقيّة منها، والتي أخذت شأوًا في الثّبات والتّحديد، ويعتقد معه أنّها بمنجاةٍ من ذلك التّطوّر والتّغيّر"[1].

**1- مفهوم الاستشراق عند العرب**

**1-1- لغة:** عند النّظر إلى أصل كلمة "استشراق" نجد أنّها مصوغةٌ على وزن "استفعال" وهي كلمةٌ مركّبةٌ من " شرق" وإضافة الحروف الزّائدة "الهمزة والسّين والتّاء ا، س، ت" والتي تعني في اللّغة العربية طلب الشّيء، فالاستشراق إذن هو طلب الشّرق، ولفظة الاستشراق مأخوذةٌ من الفعل الثّلاثي "شرق" المشتقّ من مادّة "الشّرق"، وجاء في معجم الوسيط "شرقت الشّمس شرقًا وشروقًا إذا طلعت، شرقت الأرض أنارت بإشراق الشّمس[2] وجاء في لسان العرب: "شرق" شرقتِ الشّمسُ تشرقُ شروقًا وشرقًا: طلعت، واسم الموضع: المشرق... والتّشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يُقال: شتّان بين مشرّق ومغرّب، وشّرقوا ذهبوا إلى

[1] الحاج سالم ساسي، نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي ليبيا، ج1، ط1، 2002، ص17.

[2] مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، ج1، ط2، سنة 1976، ص482.

الشّرق، وكلّ ما طلع من المشرق فقد شرق"[1]، ويُقال: أشرق البلح بلون الحمرة وأشرق وجهه بمعنى أضاء والإشراق "انبعاث نورٍ من العالم المحسوس إلى الذّهن وتتمّ المعرفة به"[2]، ويقول محمّد درويش في قصيدته: شهر الأمنيات:

أَشْرَقَ النُّورُ هِلالاً  مِنْ حَنَايَا الدَّاجِيَاتِ

وجاء في حديث أنس عن التّرمذي قوله صلّى الله عليه وسلّم: "من صلّى الفجرَ في جماعةٍ ثمّ جلس يذكر الله حتّى تطلع الشّمس" أي بعد ارتفاع الشّمس من جهة المشرق ويقول الله عز وجل: { وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} - (الزّمر69)- بمعنى أضاءت بنور ربّها، أمّا المصدر "استشراق" فهو حديث، لم يرِد له ذكرٌ أو لأيٍّ من مشتقّاته في لغة العرب القدماء ولا في مصنّفاتِهم، ولا يعثر الباحث عليه في معجمٍ أو كتابٍ عربيٍّ وسيطٍ كـ (لسان العرب) لابن منظور و(تاج العروس) للزّبيدي و(القاموس المحيط) للفيروز آبادي، وقد ظهر لأوّل مرّةٍ في معجم "متن اللّغة" لأحمد رضا الذي يقول: "استشرقَ طلبَ علومَ الشّرق ولغاتِهم (مُولّدةٌ عصرية)، يُقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة"[3].

**1-2- اصطلاحا:** يعتبر كتاب "الاستشراق المعرفة السلطة الإنشاء" للمفكّر العربي الفلسطيني إدوارد سعيد الذي صدر باللّغة الإنجليزية سنة: 19780م، وصدرت ترجمته إلى اللّغة العربية بقلم النّاقد والأستاذ الجامعي كمال أبو ديب سنة: 1981م، ذا تأثيرٍ عميقٍ على كلّ الدّراسات والبحوث الاستشراقية والعلوم المقارنة، لذلك سنبدأ تعريفنا العربيَّ للاستشراق من هذا الكتاب، وهي عدّة تعريفات، منها "نمطًا من الإسقاط الغربيّ على الشّرق وإرادة السّيطرة عليه"[4]، ويضيف سعيد بأنّ الاستشراق " ليس مجرّد موضوعٍ سياسيٍ أو حقلٍ بحثيٍ ينعكس سلبًا باختلاف الثّقافات والدّراسات أو المؤسّسات، وليس تكديسًا لمجموعةٍ كبيرةٍ من

[1] محمّد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج5، ط1، سنة 2005، ص89.

[2] عبد الرّحمن خرشي، فلسفة الإستشراق وأثرها في الصّراع الحضاري، دار هومة، الجزائر، سنة2013، ص17.

[3] أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج3، سنة1958 ، ص311.

[4] إدوارد سعيد: الاستشراق، ت: كمال أبو ديب، مؤسّسة الأبحاث العربية، ط7، سنة2005، ص120.

النّصوص حول المشرق... إنّه بالتّالي توزيعٌ للوعي الجغرافي إلى نصوصٍ جماليةٍ وعلميةٍ واقتصاديةٍ واجتماعيةٍ وفي فقه اللّغة"[1]، وفي موضعٍ آخر يعرّف سعيد الاستشراق بأنّه "المجال المعرفي أو العلم الذي يُتوصّل به إلى الشّرق بصورةٍ منظّمة كموضوعٍ للتّعلّم والاكتشاف والتّطبيق"[2]، ويقول في موضعٍ آخر: "إنّ الاستشراق نوعٌ من الإسقاط الغربيّ على الشّرق وإرادة حكم الغرب للشّرق"[3].

يعرف مالك بن نبي مصطلح "استشراق" في مقالٍ له تحت عنوان: إنتاج المستشرقين: "إنّنا نعني بالمستشرقين الكتّاب الغربيّين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية"[4]، ويعرّفه عبد الرّحمن خرشي "الاستشراق بالمعنى العامّ هو معرفةٌ بالشّرق وشعوبه وعاداته وتقاليده وأديانه ولغاته وتراثه وتاريخه"[5]، فالاستشراق لا يخرج عن كونه تلك الدّراساتِ والبحوث والنّظريّات التي قام بها علماء غربيّون لمعرفة الشّرق من جميع جوانبه.

وهو بالنّسبة لآخرين عبارةٌ عن دراساتٍ أكاديمية يقوم بها غربيّون من الدّول الاستعمارية للشّرق بشتّى جوانبه، تاريخه وثقافته، وأديانه ولغاته ونظُمه الاجتماعية والسّياسية وثرواته وإمكانياته... من منطلق التّفوّق العنصري والثّقافي على الشّرق، وبهدف السّيطرة عليه لمصلحة الغرب، وتبرير هذه السّيطرة بدراساتٍ وبحوث ونظريّاتٍ تتظاهر بالعلمية والموضوعية[6].

نخلص من هذه المفاهيم أنّ الاستشراق علمٌ يحاول أصحابه دراسة الشّرق وكلّ ما يتعلّق به من جميع جوانبه الدّينية والسّياسية والاقتصادية والاجتماعية، لذلك أصبح الاستشراق علمًا قائمًا بذاته له أسسه وقواعده وخصائصه، وهو يضمّ في رحابه الكتّاب

---

[1] Edward Said, Orientalism, ( New York: Vintage Books, 1979), p12.

[2] Ibid, p12.

[3] Ibid, p73.

[4] مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، ط1، سنة1969، ص05.

[5] عبد الرّحمن خرشي، فلسفة الاستشراق وأثرها في الصّراع الحضاري، ص21.

[6] محمّد قدّور، تاج الاستشراق ماهيته، فلسفته ومناهجه، عمان، مكتبة المجتمع العربي، ط1، سنة2013، ص19.

الغربيّين الذين يكتبون عن الحضارة العربية والفكر الإسلامي، وهم طبقاتٌ من حيث الزّمن (القدماء والمُحدثون)، ومن حيث الاتّجاه (المادحون والمنتقدون)، كما يوضّح ذلك مالك بن نبي في كتابه إنتاج المستشرقين، ويمكن أن نعرّفه بقولنا: "الاستشراق حركةٌ علميةٌ مستقلّةٌ بذاتها، تُعنى بدراسة الشّرق ماضيه وحاضره، وفي جميع جوانبه الدّينية والاجتماعية والسّياسية، من طرف علماء غربيّين متخصّصين في الشّرق ولغاته وآدابه ومعتقداته وبجميع طبقاتهم القدماء والمُحدثون، وبمختلف توجّهاتِهم النّاقمون والمادحون حسب الخلفية الفكرية والعلمية لكلّ واحدٍ منهم".

**2- مفهوم الاستشراق عند الغرب**

**2-1 لغة:** ثمّة تعريفٌ آخر يدلّ على أنّ المقصود بالشّرق ليس الشّرق الجغرافيّ وإنّما الشّرق المقترن بمعنى الشّروق والضّياء والنّور والهداية، ويرى البعض أنّ كلمة "استشراق" لا ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي وإنّما تعني أنّ الشّرق هو مشرق الشّمس، ولهذا دلالةٌ معنويةٌ بمعنى الشّروق والضّياء والنّور بعكس الغروب بمعنى الأفول والانتهاء[1].

واللّفظ ORIENT في الدّراسات الأوروبّية يشير إلى منطقة الشّرق المقصودة بالدّراسات الشّرقية بكلمةٍ " تتميّز بطابعٍ معنويٍ وهو: Morgenland وتعني بلاد الصّباح ومعروفٌ أنّ الصّباح تشرق فيه الشّمس، وتدلّ هذه الكلمة على تحوّلٍ من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التّركيز على معنى الصّباح الذي يتضمّن معنى النّور واليقظة، وفي مقابل ذلك نستخدم في اللّغة كلمة Abendland وتعني بلاد المساء لتدلّ على الظّلام والرّاحة"[2].

وفي اللّاتينية تعني كلمة Orient: يتعلّم أو يبحث عن شيءٍ ما، وبالفرنسية تعني كلمة Orienter وجّه أو هدى أو أرشد، وبالإنجليزية Orientation، وorientate تعني " توجيه الحواس نحو اتّجاهٍ أو علاقةٍ ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر أو الأدب نحو

[1] محمّد الشّاهد، الاستشراق ومنهجية النّقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، ع 22، سنة1994م، تمت الزيارة يوم 2020/10/15.

https://www.iicss.iq/?id=17&sid=37

[2] المرجع نفسه، تمت الزيارة يوم 2020/10/15.

اهتماماتٍ شخصيةٍ في المجال الفكري أو الرّوحي، وبذلك يتبيّن أنّ مصطلح الاستشراق ليس مستمدًّا من المدلول اللّغوي، بل من المدلول المعنوي لشروق الشّمس التي هي مصدر العلم[1].

**2-2 اصطلاحا:** ورغم تداول مصطلح "استشراق" في مختلف الدّراسات والكتابات، اختلفت تعريفاته نظرًا لاختلاف وجهات النّظر والخلفيات الفكرية بين كتابات المفكّرين العرب والمسلمين، والمفكّرين الغربيّين أي المستشرقين، فيرى بعض الباحثين الغربيّين أنّ مصطلح الاستشراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزّمن على تفاوتٍ بسيطٍ بالنّسبة للمعاجم الأوروبّية المختلفة، ولعلّ كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح استشراق، فهذا آربري arberry يقول: "والمدلول الأصلي لاصطلاح مستشرق كان في سنة: 1630م، حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشّرقية أو اليونانية، وفي سنة: 1691م وصف آنتوني وود anthonywood صموي كلارك samuel clarke بأنّه استشراقيٌ نابه، يعني ذلك أنّه عرف بعض اللّغات الشّرقية[2]، أمّا قاموس أكسفورد الجديد فيحدّد لفظ orientalist بأنّه "من تبحّر في لغات الشّرق وآدابه"[3].

وأشار المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون Maxime Rodinson إلى أنّ مصطلح الاستشراق ظهر في اللّغة الفرنسية عام: 1799م، بينما ظهر في اللّغة الإنجليزية عام: 1838م، وأنّ الاستشراق إنّما ظهر للحاجة إلى "إيجاد فرعٍ متخصّصٍ من فروع المعرفة لدراسة الشّرق"، ويضيف بأنّ الحاجة كانت ماسّةً لوجود متخصّصين للقيام على إنشاء

[1] عبد الله محمّد الأمين، الاستشراق في السّيرة النّبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، سنة 1997، ص16.

[2] ا. ج. آربري، المستشرقون البريطانيون، ت محمّد الدّسوقي النّويهي، لندن: وليم كولينز، سنة 1946م، ص8.

[3] المرجع نفسه، ص8.

المجلاّت والجمعيات والأقسام العلمية،[1]وكان تشارلز دوتي Charles Dutty يشير إلى ذلك بقوله: "إنّ الشّمس جعلتني عربيًّا ولكنّها ما شوّهتني قطّ بالاستشراق"[2].

يقول بارت "الاستشراق علمٌ يختصّ بفقه اللّغة خاصّة، ولا بدّ لنا إذًا أن نفكر في المعنى الذي أطلق عليه كلمة استشرق المشتقّة من كلمة شرق وكلمة شرق تعني مشرق الشّمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشّرق أو علم العالم الشّرقي، والأمر إلى هذا الحدّ واضحٌ ولكنّ ما معنى كلمة شرق في هذا المقام بالذّات؟ الظّاهر أنّ اسم شرق تعرض لتغيّرٍ في معناه، فالشّرق بالقياس إلينا نحن الألمانَ يعني الاسم السّلافي، العلم الواقع خلف السّتار الحديدي كما كان يسمّى كذلك في الماضي، وهذه المنطقة يختصّ بها علماء بحوث شرق أوروبا، أمّا الشّرق الذي يختصّ به علماء الاستشراق فمكانه جغرافيًا في النّاحية الجنوبية الشّرقية بالقياس إلينا وذلك الاصطلاح يرجع إلى العصر الوسيط بل إلى العصور القديمة التي كان فيها البحر المتوسّط يقع كما قبل في وسط العالم، وكانت الجهات الأصلية تحدّد بالنّسبة إليه، فلمّا انتقل مركز الأحداث السّياسية بعد ذلك من البحر المتوسّط إلى الشّمال بقي مصطلح الشّرق برغم ذلك على الدّول الواقعة شرق البحر المتوسّط، وكذلك تعرّضت لفظة الشّرق في أعقاب الفتوحات العربية الإسلامية لتغيّرٍ آخر في معناها، فقد انطلق الفاتحون في ذلك الوقت من شبه الجزيرة العربية لا ناحية الشّمال ولا ناحية الشّرق بل إلى ناحية الغرب، وكذلك زحفوا في غضون عشرات السّنين إلى مصر وشمال إفريقيا وتعرّب السّكّان تدريجيا، وهم الأقباط في مصر والبربر في غيرها، ومنذ ذلك الحين تعتبر مصر وبلدان شمال إفريقيا التي تُسمّى بالمغرب أي بلد غروب الشّمس، وإن كان المفروض أنّ

---

[1] مكسيم رودنسون، الصّورة الغربيّة والدّراسات الغربيّة الإسلامية في تراث الإسلام، تصنيف شاخت وبوزورث، تر: محمّد زهير السّمهوري، سنة 1978م، ص27.

[2] ا. ج. آربري، المستشرقون البريطانيون، ص8.

اسم الاستشراق يختصّ بالبلدان الشّرقية دون غيرها، ومهما يكن من أمرٍ فإنّ الاسم لا يبيّن بوضوحٍ مستقيمٍ المقصود منه بالضّبط والمهمّ هو الموضوع ذاته"[1].

نخلص أنّ الاستشراق كفكرةٍ علميةٍ نال حظًّا عظيمًا من بداية القرن الثّامن عشر الميلادي إلى يومنا هذا، ودراسة الشّرق وكلّ ما يتعلّق به كانت ولا تزال أمرًا بالغ الأهمّية للغرب وتكمن أهمّيته في كونه وسيلةً فعّالةً لدراسة النّفوذ المتبادل بين العالمين الشّرقي والغربي، لذلك هو أوسع العلوم موضوعًا وأبعدها مدًى وكذلك هو من أهمّ العلوم الإنسانية.

**3- الاستشراق نشأته ومراحله:** اختلف العلماء في نشأة الاستشراق وتعدّدت الآراء في هذا الشّأن، لذلك سنذكر أهمّ الآراء على النّحو الآتي.

**3-1 نشأته:** ذهب ساسي سالم الحاج إلى القول بأنّ علم الاستشراق بدأ منذ القرن السّادس قبل الميلاد، وذلك في عهد الكنعانيّين، حيث أقام اليونانيّون والإيرانيّون علاقاتٍ تجاريةً فيما بينهم، ثمّ أخذوا يتوسّعون في هذه العلاقات لتشمل الأمور الثّقافيّة أيضا[2]، فكان أوّل مستشرقٍ في تلك المرحلة هو المؤرّخ اليوناني الشّهير هيرودوت، حيث أخذ هذا المؤرّخ الكبير الذي عرف بأبي التّاريخ بتسجيل مشاهداته وملاحظاته حول الرّيّ وبلاد ما بين النّهرين والرّافدين العراق، ومصر والشّام وشبه الجزيرة العربية، وكذلك معرفة السّكان القاطنين فيها وعاداتهم، وتجاراتهم والبضائع التي يتاجرون بها في تاريخه المعروف، وإن كانت كتاباته تشتمل على الكثير من الأساطير والخرافات ووقائع مبالغ فيها ولا أساس لها من الصّحة.

ذهب محمود حمدي زقزوق في كتابه الاستشراق والخلفية الفكرية إلى القول بأنّ مجرّد ظهور الدّين الإسلامي ودعوة خاتم الأنبياء، والتي نسخت ما سبقها من الأديان، أثار

---

[1] رودي بارت، الدّراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، تر: مصطفى ماهر، القاهرة، دار الكتاب العربي للطّباعة والنّشر، سنة: 1967م، ص11.

[2] ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، سنة2002، ص28.

النّصارى واليهود في الغرب وحفّزهم إلى التعرّف على الإسلام ونقده كما صنع يوحنّا الدّمشقي.[1]

ذهب عبد الحميد صالح حمدان، إلى القول بأنّ بداية الاستشراق الفردي إنّما كانت في القرن الحادي عشر للميلاد، إذ بدأ بجهود بطرس المبجّل 1092- 1156م، فكان هناك أفرادٌ قلائل في كلّ قرنٍ يزاولون هذا النّشاط بطريقةٍ غير منتظمة، أمّا بداية الاستشراق الجماعي فكانت في القرن السّادس عشر للميلاد، حيث أخذت جموع المحقّقين والعلماء الغربيّين في مختلف البلدان بالتّوجّه نحو الاستشراق والإقبال على الدّراسات الإسلامية.[2]

وذهب بعض المستشرقين أمثال المستشرق الألماني رودي باريت (Rudi Paret) والمستشرق الفرنسي جوستاف دوجا (Gustav Doga) إلى القول بأنّ الغرب قد شهد في القرن الثّاني عشر للميلاد ازدهار الحضارة الإسلامية في الأندلس، وانتقال العلوم اليونانية والرّومانية إلى الأمّة الإسلامية، فعمد إلى ترجمة الكتب العربية والإسلامية والشّرقية كي تتمّ الاستفادة من هذه الثّروة العلمية الهائلة، ومن هنا عنوَن جوستاف دوجا كتابه الذي طبعه عام: 1960م "تاريخ المستشرقين في أوروبا منذ القرن الثّاني عشر إلى القرن التّاسع عشر"[3].

وذهب بعض الدّارسين بالقول: إنّ الغرب أخذ يفكّر منذ القرن الرّابع عشر للميلاد وبعد الحروب الصّليبية بضرورة التّخلّي عن فكرة الحرب واللّجوء إلى التّعرّف على ثقافة الشّرق من أجل العثور على أساليب أكثر واقعيةً للتّعامل مع الشّرق انطلاقًا من معطيات الدّراسات الشّرقية ونتائجها.

وهناك من قال بأنّ بداية علم الاستشراق قد ظهرت في أوروبا منذ القرن السّادس عشر للميلاد ودعموا ذلك بقولهم أنّ المؤسّسات الاستشراقية والدّراسات الإسلامية إنّما ظهرت في

---

[1] محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، مكتبة الرّسالة، بيروت، سنة 1985، ص20.

[2] عبد الحميد صالح، طبقات المستشرقين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، سنة 1990، ص3.

[3] محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، ص20.

البلدان الأوروبية والأمريكية قبل أربعة قرون فقط، وهناك من ذهب إلى القول بأنّ علم الاستشراق إنّما ظهر بشكلٍ رسميٍ في القرن الثّامن عشر للميلاد؛ وذلك لأنّ مصطلح Orientalism. لم يدخل في المعاجم اللّغوية الغربية إلاّ في النّصف الثّاني من القرن الثامن عشر.[1]

**2-3 مراحله:** منذ أسّس العرب حضارتهم بداية من القرن السّابع ميلادي كانت دمشق وحلب والكوفة وبغداد والقيروان وقرطبة والقاهرة ومرّاكش هي المراكز العلمية في العالم وكانت مراكزها العلمية مزدهرةً وصناعاتها متقنةً ومتقدّمةً والعلم والعالم في تطوّرٍ مستمرٍّ والعمران في ازدياد، فكانت البلاد العربية مقصدًا لطالبي العلم وأعجوبةً حضاريةً غير مسبوقة، كان للعلماء شأنٌ عظيمٌ يحترمهم العامّة ويقدّرهم الحكّام وكانت هذه الفترة هي فترة تأسيس العلم في العالم، فقبل ذلك كانت معارف لا ترتقي لمرتبة العلوم، فلم يبق مجالٌ في العلم ممّا نعرفه اليوم إلاّ وكان العرب قد أسّسوه.

لمّا وصل العرب إلى مصر وشمال إفريقيا وإسبانيا فاتحين داعين إلى الإسلام، بدأ الغربيّ يتساءل: ما أصل هذا الشّعب؟ متى استوطن بلاده؟ كيف نشأت حضارته؟ ولماذا انطلق من بلاده ووصل إلينا؟ كيف تطوّر بسرعةٍ وتخلّص من نظام قبيلته وكوّن لنفسه شخصيةً مستقلّة؟ ما قيمة دينه و عقيدته[2]؟ وغيرها من الأسئلة التي أدّت الإجابة عنها إلى نشأة الاستشراق، غير أنّ آراء العلماء والباحثين تتباين بشأن تحديد البدايات التّاريخية لتلك الدّراسات، وتتّجه أكثر الآراء إلى تحديد فترةٍ زمنية وليس إلى تحديد سنةٍ بعينها لبداية الاستشراق، يقول السّباعي: "لا يُعرف بالضّبط من هو أوّل غربيٍّ عُني بالدّراسات الشّرقيّة ولا في أيّ وقتٍ كان ذلك، ولكنّ المؤكّد أنّ بعض الرّهبان قصدوا الأندلس في إبّان عظمتها ومجدها، وتثقّفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم وتتلمذوا على علماء

---

[1] محمّد حسن زماني، الاستشراق تاريخه ومراحله، دراساتٌ استشراقية، العدد:1، سنة 2014 م، تمت الزيارة يوم 2020/12/10.

https://m.iicss.iq/?id=12&sid=7

[2] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السّياسي والدّيني والاجتماعي، دار الأندلس، بيروت، ط 7، سنة 1946م، ص219.

المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصّةٍ في الفلسفة والطّبّ والرّياضيات ومن أوائل هؤلاء الرّهبان الرّاهب الفرنسي جربرت (jerbert) الذي انتُخب بابا لكنيسة روما عام: 999م، بعد تعلّمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، وبطرس المحترم (pierrele Aénéré) 1092،1156م، وجيرار دي كريمون 1114،1187 (Gérard de Grémone)"[1].

كانت الدّراسات الاستشراقية في القرون الوسطى الأولى منفصلةً عن بعضها وتفتقر إلى الانسجام فيما بينها، وقد مرّ الاستشراق منذ القرن الثّامن إلى يومنا هذا بمراحل أربعة التّكوين والتّقدّم والانطلاق والتّمكّن.

**3-2-1 مرحلة التّكوين:** وهي مرحلةُ الانبهار بالحضارة العربيَّة والإسلامية، وذلك منذ بداية الفتح الإسلامي في أوروبا فأنشئوا مكتبَ المترجمين سنة: 1130م، وترجموا أمّهاتِ الكتب العربية إلى اللاّتينية وفي عام: 1143م عمد بطرس( Peter the venerable)(1092-1157م) إلى ترجمة القرآن إلى اللّغة اليونانية للمرّة الأولى ولخوف الكنيسة من تأثُّرِ أتباعها بتعاليم القرآن؛ أخفت هذه التّرجمة، فلم تظهر إلاّ عام: 1534م[2].

**3-2-2 مرحلة التّقدُّم:** وذلك بعد الحروب الصّليبية، حيثُ لم تؤتِ ثمارَها الاستعمارية المرجوَّة منها فبدأوا يفكّرون في غزو المسلمين فكريّا؛ لزحزحتهم عن عقيدتِهم الرّاسخة، والتي كانت السّبب الرّئيس في تصدِّيهم للصّليبيّين، فقضى مجمع فيينا سنة: 1311م بتأسيس دروس للّغة العربية في عواصم أوروبا وتعليمها في مدارسه وجامعاته وكاتدرائياته، فأخرجت تلك المدارس والجامعات عددًا معتبرًا من علماء العربية، وكان هذا تقدّمًا جديدًا في الاستشراق، حيث أخذ أساتذته يقومون بترجمة الكتب العربية إلى اللاّتينيّة واللّغات الأوروبّية الأخرى.

**3-2-3 مرحلة الانطلاق:** شهد القرنُ السّادس عشر والسّابعَ عشرَ الميلاديان ازدهارًا عظيمًا للاستشراق في النّواحي العلمية والدّراسية المتخصّصة، وبمطلع القرنِ الثّامن عشرَ

---

[1] مصطفى السّباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، دار الورّاق، المكتب الإسلامي، ص18.

[2] أنور الجندي، إطار إسلامي للفكر المعاصر، دار المكتب الإسلامي، ط2، سنة1998، ص13.

ثبّت الاستشراقُ أقدامَه، ووطّد مراكزه، وأقبل طلاّب أوروبا عليه، وخُتمَ ذلك القرنُ بحملة نابليون على مصرَ وبصحبته كثيرٌ من العلماء المستشرقين، وعُقدَ أوّل مؤتمرٍ للمستشرقين بباريس سنة: 1873م[1]، ثمّ توالتِ المؤتمراتُ للاستشراق بعد ذلك.

**3-2-4 مرحلة ما بعد الاستعمار:** رفض الغرب مصطلح الاستشراق لأسبابَ خاصّةٍ به فهو لم يعد يرى أنّ هذا التّخصّص له أيّ وجودٍ في عصرنا الحاضر، وقد نادى بذلك عددٌ من المستشرقين منذ الخمسينيّات من القرن التّاسع عشر وهي بداية هذه المرحلة، وتجدّدت الدّعوة إلى نبذ كلمة استشراق في المؤتمر السّنوي للجمعية الدّولية للاستشراق الذي عقد بباريس عام: 1973م وكان هذا المؤتمر بمناسبة مرور مائة سنةٍ على تأسيس هذه الجمعية وقرّر هذا المؤتمر إلغاء التّسمية، وكما قال برنارد لويس أنّ مصطلح الاستشراق قد ألقي في مزابل التّاريخ[2].

والسّؤال المطروح والمهمّ، ما هذه الأقسام العلمية تحت مسمّى قسم دراسات الشّرق الأوسط أو مركز دراسات الشّرق الأوسط أو مركز الدّراسات العربية والإسلامية في الجامعات الغربيّة؟ والنّدوات التي تعقدها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كلّ شهرٍ لدراسة الصّحوة الإسلامية أو التّيّار الإسلامي في العالم، أليست هذه المسمّيات امتدادًا للاستشراق ولكن بالأسلوب المناسب في هذا العصر، الاستشراق في حقبة ما بعد الحداثة وتحديدًا بعد الحرب العالميّة الثّانية تبلور في هيئة الدّراسات ما بعد الاستعماريّة، يقول ضياء الدّين سردار بهذا الصّدد: (إنّ الاستشراق أدّى إلى بروز العديد من الدّراسات النّقديّة والأمر أشبه ما يكون بنموّ الفطريات، إذ حصل ذلك بمختلف الأشكال كالدّراسات ما بعد الاستعماريّة والخطاب ما بعد الاستعماري، إنّ مصطلح ما بعد الاستعماريّة لا يدلّ بالضّرورة على فترةٍ تكون بعد غياب الاستعمار؛ بل إنّ هذا المصطلح يتناول كيفية استمراريّة الواقع

---

[1] المحسن بن علي بن صالح سويسي، مؤتمرات المستشرقين العالمية: نشأتها، تكوينها، أهدافها، رسالة دكتوراه، إشراف حامد غنيم أبو سعد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، قسم الاستشراق، سنة 1998، ص44.

[2] المرجع نفسه، ص45.

التّاريخي المتمثّل بالاستعمار الأوروبي وطبيعة علاقته مع الحضارات والشّعوب غير الغربيّة بعد أن فقد مستعمراته القديمة بسبب استقلالها)[1].

**4- أهداف ودوافع الاستشراق:** كان للحركة الاستشراقية دوافعُ شتّى، وأهدافُ عديدة وخاصّةً ما يتعلّق منها بالدّراسات الإسلامية واللّغة العربيّة، وتجدر الإشارةُ هنا إلى أنّ من الباحثين مَن يُفْرِط في الثّناء على المستشرقين عند الحديث عن دوافعهم، ويذهب إلى أنّ الدافع العلميَّ النّزيه كان وراء نشأة الاستشراق، وأنّ الرّغبة في خدمة العلم كانت الحافز الأعظم للدّراسات الاستشراقية، من جهةٍ أخرى هناك من يُفْرِط في التّحامل على المستشرقين مُجرّدًا إياهم من كلِّ قصدٍ نبيل.

**4-1- الدّافع الدّيني:** أدرك الغرب أنّ الإسلام يمثّل تهديدًا حقيقيًا للنّصرانية، فأخذوا يؤلّفون ويكتبون عن الإسلام بروحٍ متعصّبةٍ وحاقدةٍ وذلك لتشوية صورة الإسلام لدى الأوروبّيّين حتّى لا يعتنقوا الدّين الإسلامي، وقد كان يومئذٍ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيّين فأقبل المستشرقون على تعلّم اللّغة العربية لتساعدهم على قراءة العلوم الإسلامية وليعرفوا مبادئ الإسلام ومصادره، ومن أشهر المستشرقين والرُّهبان الذين اهتمّوا بالدّراسات العربية والإسلامية الرّاهب الانجليزي أدلادر أوف باث 1070،1135م، وكذلك الرّاهب الشّهير بطرس المبجّل beter the vemeble 1092،1156م رئيس دير كلوني الشّهير، وهؤلاء كان يهمّهم أن يطعنوا في الإسلام، ويُشوّهوا محاسنه، ويُحرّفوا حقائقه؛ ليُثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدّينية أنّ الإسلام هو العدوّ الذي يتعيّن عليهم محاربته وذهب رودي بارت Rudi Paret إلى أنّ الهدف الرّئيس من جهود المستشرقين في بدايات الاستشراق في القرن الثّاني عشر الميلادي وفي القرون التّالية له هو: التّبشير وعرّفه بأنّه إقناع المسلمين

[1] ضياء الدّين سردار صورة الشرق في الآداب والمعارف الشرقية، تر: فخري صالح، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، سنة 2011م، ص188.

بلغتهم ببُطلان الإسلام، وقد كان يومئذٍ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيّين، وديناً لا يستحقّ الانتشار[1].

وممّا هو جديرٌ بالذّكر أنّ قرار إنشاء كراسي للّغة العربية في الجامعات الأوروبّية في مؤتمر فينيا عام: 1312م[2]، قد نصّ صراحةً على خدمة هدفين أحدهما تجاريٌ والآخر تنصيري، وقد احتضنت الكنيسة هذا النّوع من الدّراسات الشّرقية، فقرار إنشاء كرسيٍّ للّغة العربية في جامعة كامبردج، وجاء في خطابٍ للمراجع الأكاديميّة المسؤولة في جامعة كامبردج بتاريخ: 9 مايو 1636م إلى مؤسّس هذا الكرسي ما يأتي: "ونحن نُدرك أنّنا لا نهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الأدب الجيّد، بتعريض جانبٍ كبيرٍ من المعرفة للنّور، بدلاً من احتباسه في نطاق هذه اللّغة التي نسعى لتعلُّمها، ولكنّنا نهدف أيضًا إلى تقديم خدمةٍ نافعةٍ للملك والدّولة، عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشّرقية، وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة، والدّعوة إلى الدّيانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظّلمات"[3].

تعدّدت مظاهر العداء الدّيني في التّوجّه الإستشراقي أهمّه عقد مؤتمراتٍ صليبيةٍ ضدّ الإسلام، منها كذلك مؤتمر: 1906م الذي عقد بالقاهرة تحت شعار "الدّين لله والوطن للجميع"، وبلغ عدد إرساليّته 62 عضوًا مسيحيا[4]، وكان الهدف الذي لأجله عقد هو محاولة وصف المقاومة المصرية للاستعمار بأنّها مقاومةٌ وطنيةٌ تتكوّن من المسلمين والنّصارى وليست مقاومةً إسلامية، ومن الآثار الفكرية لمرحلة الإنتاج الأدبي المعادي للإسلام ككتابات سلامة موسى خاصّةً "اليوم والغد" ثمّ "مستقبل الثّقافة في مصر" لطه حسين، وأيضًا نجد هذا الاتّجاهَ عند لويس عوض، ومن هنا يتّضح أنّه قد كان هناك تجاوبٌ متبادلٌ بين

---

[1] محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، ص72.

[2] الطّيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدّد مهامّه خاصّةً في الجزائر، ط1، دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة2004، ص61.

[3] محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، ص38.

[4] علوي بن عبد القادر السّقاف، موسوعة الأديان، مؤسسة الدرر السنية، تمت الزيارة يوم 09/20/ 2020.
https://dorar.net/adyan

الاستشراق والتّنصير، إن لم يكن هناك تماثلٌ في القصد بين المستشرق الأكاديمي والمُنصّر الإنجيلي.

**4-2- الدّافع الاستعماري:** جاء الاستشراق لخدمة الاستعمار، فالمستشرقون كان دورهم نقل وتوصيل المعلومات عن العالم الإسلامي مثل جغرافيّته ومكامن قوّته ونقاط ضعفه، فبعد أن تفشَّى الفساد في الكنيسة والمجتمع، رأى البابا أوربان الثّاني أنّه من الضّروري القيام بمغامرةٍ مثيرةٍ تضع العالم المسيحي بأجمعه أمام عملٍ وهدفٍ مشترك، وكان خطابه في المجمع الكنسي في كليرمونت في فرنسا، والذي دعاه لجلسةٍ استثنائيةٍ عام: 1095م تعبيرًا صريحًا عن الواقع المتصدِّع الذي يعيشه الغرب المسيحيّ والرّغبة الواضحة في وضع هذا الغرب أمام هدفٍ عامٍّ واحد، فقد قال في خطابه أمام المجمع المذكور: "انهضوا وأدِيروا أسلحتكم التي كنتم تَستعملونها ضدّ إخوانكم ووجّهوها ضدّ أعدائكم، أعداء المسيحية، إنّكم تظلمون اليتامى والأرامل، وأنتم تتورَّطون في القتل والاغتصاب، وتنهبون الشّعب في الطّرق العامّة وتقبلون الرَشاوى لقتل إخوانكم المسيحيّين، وتريقون دماءهم دونما خوفٍ أو وجلٍ أو خجل فأنتم كالطّيور الجوارح آكلة الجيف، التي تنجذب لرائحة الجيف الإنسانية النّتنة ضحايا جشعكم، انهضوا إذا، ولا تقاتلوا إخوانكم المسيحيّين، بل قاتلوا أعداءكم الذين استولوا على مدينة القدس حاربوا تحت راية المسيح، قائدكم الوحيد، افتدوا أنفسكم، أنتم المذنبون المُقترفون أحطّ أنواع الآثام، وهذه مشيئة الله"[1] وقد كان هذا الخطاب سببًا في قيام الحروب الصّليبيّة إذ يُعدُّ التّحريض الكنسيّ على الحرب والاستعمار من أقدم صور الجرائم التي تتعلّق بالعنف والقتل والتّخريب.

[1] يواكيم بزنز، بابوات من الحي اليهوديّ، تر: خالد أسعد عيسى، دار حسان للطّباعة والنّشر، دمشق، ط1 ، سنة 1983م، ص244.

اندفعت أوروبا نحو الشّرق معلنةً الحرب وشعار جنودها "أمّاه، أتمّي صلاتك، لا تبكِ بل اضحكي وتأمّلي، أنا ذاهبٌ إلى طرابلس فرحًا مسرورا، سأبذل دمي في سبيل سحق الأمّة الملعونة!"[1].

انتهت الحروب الصّليبية بهزيمة الصليبيّين وبقدر ما كانت خسارة أوروبا البشريّة الفادحة، كانت مكاسبها كبيرةً أيضا، فقد عاد من عاش من هؤلاء بأحمال من نفائس الكتب والمخطوطات التي تعتبر وقود الحضارة ومستلزماتها، وإذا كان الجند الصّليبيّون وقتها غير مؤهّلين ولا مسلّحين بأدوات الأخذ والاقتباس، فلا أقلّ من أنّهم شاهدوا بأعينهم أو لمسوا بأيديهم درجة الرُّقي والرّخاء الذَين كان ينعم بهما الشّرق في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تسبح في بحر الظّلمات، فاتّجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كلّ شؤونها من عقيدةٍ وعاداتٍ وأخلاقَ وثرواتٍ ليتعرّفوا إلى مواطن القوّة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضّعف فيغتنموه لذلك عملوا على الإلمام بطُرق حياتها وتركيب سكَّانها؛ مما أدّى إلى ازدياد نشاط المبشّرين والمستشرقين والرّحّالة، وقدّموا للغرب دراسةً شاملةً عن المجتمع الإسلامي، ومواطن الضَّعف فيه.

عمل بعض المستشرقين كمستشارين لوزارات خارجية دولهم وكقناصلَ وتجسّسوا على المسلمين؛ كما هو الحال بالنّسبة للمستشرق الفرنسي غابرييل هانوتو(Gabriel Hanotaux) الذي كان يعمل مستشارًا لوزارة الاستعمار الفرنسية[2]، وكذلك إدوارد هنري بالمر Edward (Henry Palmer) البريطاني الذي تعلَّم العربية، وكان له نشاطٌ علميٌ غزير، وقام برحلةٍ إلى الشّرق، وقد استغلّت الحكومة البريطانية المعلوماتِ التي جمعها عن الطّرق والمسالك الصّحراوية، واحتلّت مصر: 1882[3]، وقد رجع إليها إدموند ألنبي (Edmund Allenby) واستعان بها في حملته الشّهيرة من مصر إلى دمشق خلال الحرب العالميّة الأولى(1914-

[1] شكيب أرسلان، لماذا تأخّر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم، دار الفكر، ط4، بيروت، سنة 1965، ص32.

[2] أنور محمود الزناتي، الطريق إلى صدام الحضارات، مكتبة الانجلو مصرية، سنة 2006، ص179.

[3] المرجع نفسه، ص179.

1918)[1]، وهناك دورٌ كبيرٌ قام به توماس إدوارد لورنس (Thomas Edward Lawrence) الملقّب ب لورانس العرب الذي وصل دمشق عام: 1917م مع الجيش البريطاني، وكان أوّل شيءٍ قام به: زيارة قبر صلاح الدّين بطل معركة حطّين التي وضعت النّهاية الحقيقيّة للحروب الصّليبية، ونزع قلادة إعجابٍ وهي إكليلٌ ذهبيٌ كان قد وضعها على قبره الإمبراطور الألماني وليم الثّاني في زيارةٍ له للقبر، وأخذها لورنس معه إلى بريطانيا، وما زالت حتّى يومنا هذا في المتحف الحربي البريطاني في لندن ضمن مقتنيات المدعو لورنس العرب، ومعها ملاحظةٌ مكتوبةٌ من لورانس تقول "لم يعد صلاح الدّين بحاجةٍ لها بعد الآن"[2].

في تلك الفترة أيضًا أسّست بريطانيا "القسم العربيّ في هيئة الإذاعة البريطاني" عام: 1938م، كما تأسّس المجلس الثّقافي البريطاني الذي فتح فروعًا في كثيرٍ من العواصم العربية؛ بهدف نشر الثّقافة البريطانية، وإيجاد صلاتٍ مع الشّعوب العربية على أوسع نطاق وكان الهدف العسكريّ من وراء هذه المؤسّسات، منافسة الإعلام الألماني والإيطالي الموجّه للمنطقة العربية[3].

بعد سنوات، وفي عام: 1944م تأسّس في القدس أهمّ مركزٍ للمستشرقين البريطانيّين في الشّرق الأوسط، وهو المركز الذي سيكون له صيتٌ ذائعٌ في العقود اللاّحقة، وسوف تُثار حوله الشُّبهات والخلافات، إنّه مركز الشّرق الأوسط للدّراسات العربية MECAS ولم يدُم مركز ميكاس في القدس سوى أربعِ سنوات؛ حيث تمّ نقله قُبيل اندلاع حرب 48 إلى لبنان وتحديدًا إلى قرية شملان، حيث أصبح يُعرف باسمها، وهناك اشتهر وتكوّن اسمه والخبرات التي صار يُعرف بها[4].

---

[1] أنور محمود الزناتي، الطريق إلى صدام الحضارات ، ص179.

[2] المرجع نفسه، ص179.

[3] المرجع نفسه، ص179.

[4] المرجع نفسه، ص179.

وهناك أيضًا المستشرق صمويل مارينوس زويمر(Samuel Marinus Zwemer) الملقّب بالرّسول إلى الإسلام وهو من أبرز المستشرقين الأمريكيّين الذين خاضوا عملاً ميدانيًّا في منطقة الشّرق الأوسط، خاصّةً جنوب العراق ودول الخليج العربية، وهو المحرّر للمجلّة الإنجليزية الاستشراقية الشّهيرة (عالم الإسلام) وقد اشتهر بدوره الاستعماري وعدائه الشّديد للإسلام، وله مؤلّفاتٌ عديدةٌ عن الإسلام في العالم، وعن العلاقات بين المسيحية والإسلام، منها: كتاب "ياسوع في إحياء الغزالي" وكتاب "الإسلام تحدٍّ لعقيدة" صدر سنة: 1908م، وكتاب "الإسلام"، وهو مجموعة مقالاتٍ قدّمت للمؤتمر التّبشيري الثّاني سنة: 1911م بمدينة لكناو في الهند، ويُعتبر زويمر من أكثر المستشرقين توجّهًا نحو التّنصير وتقديرًا لجهوده التّبشيرية أنشأ الأمريكيّون وقفًا باسمه على دراسة اللاّهوت وإعداد المبشّرين[1].

وهكذا وجدنا مدى مساهمة المستشرقين في الدّور الاستعماري فكان منهم الرّحّالة والمبشّرون والضّبّاط ورجال الإدارة الاستعمارية، واللّغويّون واللاّهوتيّون، والأنثروبولوجيّون ومؤرّخو الحضارات ورجال المخابرات، والمؤرّخون والإقتصاديّون، ومتدرّبو الشّركات، وخبراء الأسواق التّجارية والسّياسيّون[2]، وذلك لكي تُسيطر على الشّعوب الخاضعة لسلطانها[3]، ممّا مهّد الأرض للاستعمار الغربي.

**4-3- الدّافع الاقتصادي:** رغبت الدّول الأوروبية في تنشيط تجارتها مع دول الشّرق الإسلامي وتسويق منتجاتها، والبحث عن موادّ خامّ لصناعاتها، فلزِم التّعرّف على الشّرق وطبيعته وجغرافيّة بلاده، وعادات شعوبه ومعتقداتهم، وتوظيف هذه المعرفة بالشّرق فيما يخدم الهدف الاقتصادي، بل ورغبة الغربيّين في الاستيلاء على خيرات الشّرق، والنّهل من أنهار اللّبن والعسل التي دعاهم إليها إربان الثّاني مُشعل الحروب الصّليبيّة، ولقتل صناعاتهم المحلّية التي كانت لها مصانع قائمةٌ مزدهرةٌ في مختلف بلاد العرب والمسلمين.

---

[1] أنور محمود الزناتي، الطريق إلى صدام الحضارات، ص180.

[2] المرجع نفسه، ص180.

[3] مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مطبعة دار البيان، سنة 1970، ص11.

يذكر المفكّر السّوري محمّد كرد علي أنّ الحروب الصّليبيّة عادت على الغرب بخيراتٍ لا تُحصى، ولو لم يكن منها غير تحطيم قيود التّعصُّب الكنَسي، وما رآه الصّليبيّون عِيانًا من تسامُح المسلمين لكفى في فائدتها، وانتشرت التّجارة بعد الحروب الصّليبيّة،[1] كما سبق أن ذكرنا أنّ قرار إنشاء كرسيّ اللّغة العربية في جامعة كامبردج عام: 1636م، قد نصّ صراحةً على خدمة هدفين؛ أحدهما تجاري، والآخر تنصيري، فقد جاء في خطابٍ للمراجع الأكاديميّة المسؤولة في جامعة كامبردج بتاريخ: 9 مايو 1636م إلى مؤسّس هذا الكرسيّ ما يأتي: " نحن نُدرك أنّنا لا نهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الأدب الجيّد بتعريض جانبٍ كبيرٍ من المعرفة للنّور، بدلاً من احتباسه في نطاق هذه اللّغة التي نسعى لتعلُّمها ولكنّنا نهدف أيضًا إلى تقديم خدمةٍ نافعةٍ للملك والدّولة، عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشّرقية، وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة والدّعوة إلى الدّيانة المسيحيّة بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظّلم".[2]

ولم يتوقّف الهدف الاقتصادي عند بدايات الاستشراق، فإنّ هذا الهدف ما زال أحدَ أهمّ الأهداف لاستمرار الدّراسات الاستشراقية، فمصانعهم ما تزال تنتج أكثر من حاجة أسواقهم المحلّية، كما أنّهم ما زالوا بحاجةٍ للموادّ الخامّ المتوفّرة في العالم الإسلامي؛ ولذلك فإنّ بعض أشهر البنوك الغربية، مثل (لويد وبنك سويسرا) تُصدر تقارير شهريةً هي في ظاهرها تقارير اقتصاديةٌ ولكنّها في حقيقتها دراساتٌ استشراقيةٌ متكاملة؛ حيث يقدّم التّقرير دراسةً عن الأحوال الدّينية والاجتماعية، والسّياسية والثّقافية للبلاد العربية الإسلامية؛ ليتعرّف أرباب الاقتصاد والسّياسة على الكيفية التي يتعاملون بها مع العالم الإسلامي[3].

---

[1] محمّد كرد علي، بين المدنية العربية والأوروبية، سلسلة الألف كتاب الثّاني، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، سنة 2002، ص114.

[2] محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، ص38.

[3] عبد العالي احمامو "الاستشراق.. الأهداف والغايات"، مجلة دراسات استشراقية، العدد 14، سنة 2018، تمت الزيارة يوم 2020/09/20.

https://m.iicss.iq/?id=76&sid=117

ومن أهمّ نتائج هذا الدّافع وثمراته أنّ أموال المسلمين ومصالحهم صارت بأيدي الغربيّين، فمعظم أغنياء المسلمين وأصحاب الثّروات الكبيرة والأرصدة العالية، يُودعون أموالهم وأسهمهم في بنوك الغربيّين، حيث لا يصل إليهم من هذه البنوك إلّا النّزر اليسير من الأرباح، أمّا الغربيّون فيربحون من وراء هذه الأرصدة الملايين والمليارات، وإذا صارت هناك إشكالاتٌ أو مشكلاتٌ سياسيةٌ بين هذه الدّول الغربيّة والدّول الإسلامية، ربّما تؤدّي بتلك الأموال المُودعة إلى التّجميد أو إلى الاستيلاء عليها، ولا يحقّ لأصحابها استرجاعها أو المطالبة بها، كما حدث في الآونة الأخيرة في أمريكا وبعض الدّول الغربية الأخرى، التي اتّهمت مؤسّساتٍ وشركاتٍ ومنظّماتٍ خيرية بدعمها الإرهابَ من أجل حيازة أرصدتهم وأموالهم، وكلّ ذلك ثمرةٌ واضحةٌ لمخطّطات المستشرقين مع دولهم الاستعمارية لنهب ثروات الأمّة الإسلامية بشتّى السّبل والوسائل.

**4-4 الدّافع السّياسي:** يقول الدّكتور مصطفى السّباعي: "وهنالك دافعٌ آخر أخذ يتجلّى في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدّول العربية والإسلامية، ففي كلّ سفارةٍ من سفارات الدّول الغربيّة لدى هذه الدّول سكرتيرٌ أو ملحقٌ ثقافيٌ يحسن اللّغة العربية؛ ليتمكّن من الاتّصال برجال الفكر والصّحافة والسّياسة فيتعرّف إلى أفكارهم، ويبثّ فيهم من الاتّجاهات السّياسية ما تريده دولته، وكثيرًا ما كان لهذا الاتّصال أثره الخطير في الماضي حين كان السّفراء الغربيّون – ولا يزالون في بعض البلاد العربية والإسلامية – يبثّون الدّسائس للتّفرقة بين الدّول العربية بعضها مع بعض، وبين الدّول العربية والدّول الإسلامية، بحجّة توجيه النّصح وإسداء المعونة بعد أن درسوا تمامًا نفسيّة كثيرين من المسؤولين في تلك البلاد وعرفوا نواحي الضّعف في سياستهم العامّة، كما عرفوا الاتّجاهات الشّعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم"[1].

[1] مصطفى السّباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، ص23.

وكذا إضعاف روح الإخاء الإسلامي والعربي والوطني بين أبناء الوطن الواحد عن طريق مسألة الهوية وعن طريق إحياء القوميّات بين أفراد المجتمع الواحد وإثارة الخلافات والنّعرات بين شعوبهم، وكذلك يفعلون في البلاد العربية يجتهدون لمنع اجتماع شملها ووحدة كلمتها بكلّ ما في أذهانهم من قدرةٍ على تحريف الحقائق وتصيّد الحوادث الفردية في التّاريخ ليضعوا منها تاريخًا جديدًا يدعو إلى ما يريدون من منع الوحدة بين البلاد العربية والتّفاهم على الحقّ والخير بين جماهيرها.

**4-5 الدّافع العلمي:** وهو من أهمّ دوافع الاستشراق الذي يجب أن يعتني الشّرق بدراسته ولهذا الدّافع نبحث ونكتب، ولهذا الدّافع اخترنا في دراستنا المستشرق الفرنسي أندريه ميكال – الذي مازال حيًّا يرزق إلى تاريخ كتابة هذه الأسطر– وما قدّمه للأدب العربي.

وبعد أن تعرّفنا على مجموعةٍ من الدّوافع المغرضة للاستشراق والمستشرقين، فإنّ هناك فئةً قليلةً ونادرةً جدًّا من هؤلاء الغربيّين الذين يقبلون على دراسة الإسلام دراسةً حقيقيةً لفهمه والاطّلاع عليه مجرّدين من الدّوافع والأغراض التي سبق ذكرها، وهؤلاء يُعدّون من الصّادقين في أبحاثهم ودراساتهم، يقول مصطفى السّباعي: "ومن المستشرقين نفرٌ قليلٌ جدًّا أقبلوا على الاستشراق بدافع حبّ الاطّلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها، وهؤلاء كانوا أقلّ من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه، إنّهم لم يعتمدوا الدّسّ والتّحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحقّ وإلى المنهج العلمي السّليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين، بل إنّ منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته"[1]، من هؤلاء المستشرقين من يعتنق الإسلام بعد أن يدرس الإسلام دراسةً عميقةً ومجرّدةً وربّما يتحوّل إلى داعيةٍ ومفكّرٍ يدافع عن حمى الإسلام وديارِه، ومن هؤلاء المستشرقين الذين كان هذا شأنهم المفكّر محمّد أسد(ليوبولد فايس سابقًا) صاحب كتاب" الإسلام على مفترق الطّرق" وتوماس أرنولد (Thomas Walker Arnold) صاحب كتاب" الدّعوة إلى الإسلام" والذي ركّز فيه على

[1] مصطفى السّباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، ص24.

التّسامح الدّيني في الإسلام والتزام المسلمين بهذا المبدأ عبر التّاريخ[1]، إلاّ أنّه تعرّض لأكبر هجمةٍ استشراقيةٍ واتّهموه بأنّه لم يعتمد في كتابه على الأدلّة العلمية وإنّما على عاطفته تجاه المسلمين، رغم أنّه لم يورد حادثةً من التّاريخ إلاّ ووثّقها من مصادرها ومراجعها العلمية.

ومن هؤلاء المستشرقين أيضًا المستشرق الفرنسي دينيه (Étienne Dinet) الذي أسلم في الجزائر وغيّر اسمه إلى ناصر الدّين دينيه وألّف مع كاتبٍ جزائريٍ كتابًا في السّيرة النّبوية وله كتاب "أشعّةٌ خاصّةٌ بنور الإسلام" الذي بيّن فيه حقد الغرب وتحاملهم على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.[2]

وانكبَّ الغرب على دراسة التّراث العربي والإسلامي، ومن بعض جُهدهم ما قام به: توماس إربنيوس (Thomas van Erpe)، نشر الجمل لعبد القاهر الجرجاني بروما سنة: 1617م،[3] وسلفستر دي ساسي الفرنسي (Antoine-Isaac Silvestre de Sacy)، نشر كليلة ودمنة، وألفيَّة ابن مالك، ووصف مصر لعبد القادر البغدادي، وترجم بعض الكتب العربية إلى الفرنسية[4]، وأندريه ميكال (André Miquel) نشر أربعين مؤلّفًا حول الإسلام وثقافته وله رواياتٌ وقصائد... كما ألّف كتبًا مهمّة، منها قصصُ الحبِّ في الأدب العربي...، الحبُّ عند العرب وترجم ألف ليلةٍ وليلة، وكليلة ودمنة، وغيرها من روائعِ الأدبِ العربي، وساهم ميكال بنشر الثّقافة العربية القديمة وهو عاشقٌ لها ولمجنون ليلى حتّى أصبح طلاّبه يسمّونه بعاشق ليلى، وهو آخر عمالقة المستشرقين الكبار الذي أثرى بترجماته المكتبة العربية والفرنسية.

نشر الألماني كوزجارتن (Gottfried Kosegarten) رحلة محمّد ابن بطّوطة الرَّحالة العربي الطَّنجي ومعلّقة عمرو بن كلثوم التّغلبي بشرح الزَّوزني بحسب مخطوطات

---

[1] عبد الرّحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993م، ص09.

[2] لخضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، مكتبة العبيكان، الرياض، سنة2002، ص162.

[3] نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف ط3، ج2، القاهرة، سنة 1964، ص653.

[4] ينظر: عبد الرّحمن بدوى، موسوعة المستشرقين، 334.

باريسونشر تاريخ الطّبري مع ترجمةٍ لاتينيةٍ وأشعار الهذليّين[1] ونشر الألماني يوهان أوجست فولرز (Johann August Vullers) معلّقة الحارث بن حلِّزة بشرح الزّوزني بحسب مخطوطات باريس، مع قصيدتين لأبي العلاء ومعلّقة طرفة بن العبد.[2]

والمستشرق فرديناند فستنفلد (Ferdinand Wüstenfeld) نشر كتاب الحفّاظ تأليف أبي عبد الله الذّهبي واللّوحات الجغرافية لأبي فداء، ولباب الأنساب لأبي سعد السّمعاني اختصره وأصلحه ابن الأثير وسمّاه: لباب الأنساب ونشر وفيات الأعيان لابن خلّكان وكتاب تهذيب الأسماء لأبي زكريا يحيى النّووي، والمشترك وضعًا والمختلف صقعًا لياقوت الحموي[3]، ونشر النّمساوي جوزيف فون هامر Joseph von Hammer: أطواق الذّهب للزّمخشري، ونشر غوستاف ليبرشت فلوجل (Gustave Leberecht Flügel) كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون لكاتب جلبي مصطفى بن عبد الله، الملقّب بحاجّي خلفا أو خليفة مع ترجمة لاتينية في أسفل الصّفحات، والتّعريفات للسّيّد علي بن محمّد الجرجاني ورسالة تعريف الاصطلاحات الصّوفيّة لابن عربي.[4]

ونشر الفرنسي شارل دفريمري (Charles Defrémery) تاريخ سلاطين خوارزم[5] والمستشرقة الألمانية آنا ماري شميل (Annemarie Schimmel) التي أنصفت الإسلام،لها من المؤلّفات: مختاراتٌ من مقدّمة ابن خلدون بالألمانية 1951م، والأبعاد الرّوحية في الإسلام 1975م، والمُلك لك بالألمانية 1978م، ويشمل مختاراتٍ من الأدعية الإسلامية المأثورة، ومحمّد رسول الله بالألمانية 1981م[6]، والمؤرّخ الشّهير توماس آرنولد (Thomas

---

[1] عبد الرّحمن بدوى، موسوعة المستشرقين، ص486.

[2] المرجع نفسه ، ص419.

[3] المرجع نفسه، ص399.

[4] المرجع نفسه، ص411.

[5] المرجع نفسه، ص245.

[6] آنا ماري شيمل، الشرق و الغرب حياتي الغرب شرقية، تر: عبد السلام حيد، المجلس الأعلى لثقافة، القاهرة، سنة 2004، ص455.

(Walker Arnold صاحب كتاب "تاريخ الدّعوة إلى الإسلام" ويُعدّ هذا الكتاب من أفضل الوثائق التي يُمكن أن يستفيد منها الباحثون في تاريخ الدّعوة الإسلامية[1].

أفاد الاستشراق العلمي المنصف الثّقافة العربيّة فوائدَ عديدة، منها: نشر الثّقافة العربيّة في أوروبا وترجمة كثيرٍ من كتب التّراث العربي إلى اللّغات الأخرى، وكذا تصحيح فكرة الشّعوب الأوروبية عن العرب والإسلام، وكذلك نشر كثيرٍ من كتب التّراث نشرًا علميًّا أضِف إلى ذلك كتابة العديد من المؤلّفات النّفيسة عن الحضارة العربية والإسلامية، ويمكن زيادة الاستفادة من بعض العلماء المستشرقين في كثيرٍ من الميادين الثّقافية في البلاد العربية.

[1] عبد الرّحمن بدوى، موسوعة المستشرقين، ص09.

# الفصل الأول

## الأدب العربي في ضوء الدّراسات الاستشراقية.

### المبحث الأول:

الأدب العربي في الدّراسات الاستشراقية الفرنسيّة.

### المبحث الثّاني:

المدرسة الاستشراقيّة الفرنسيّة.

### المبحث الثّالث:

منهج أندريه ميكال في الدّراسات الاستشراقية

# المبحث الأول:

## الأدب العربي في الدّراسات الاستشراقية الفرنسيّة.

يُعدّ تقويض عرشي الفرس والرّوم في فترةٍ وجيزةٍ من الزّمن على يد أمّةٍ ضعيفةٍ في جميع المجالات بالنّسبة لهاتين الأمّتين، ثمّ قيادتها العالمَ فترةً طويلةً من الزّمان، وما ترتّب عن ذلك من التّقدّم الهائل في جميع نواحي الحياة، أثار حفيظة الغرب وجعله يبحث عن الأسباب التي أهّلت أمّة العرب، التي كانت مُفكّكةً ومتناحرة فيما بينها، وللقيام بهذا الدّور الكبير من أجل معرفة هذه الأسباب كان لا بُدّ من الاقتراب من واقع حياة هذه الأمّة، ومن ثمّ فقد اتّجه الغرب لدراسة حياة الأمّة العربيّة بكافّة جوانبها، تاريخيًّا وجغرافيًّا وعقديًا وفكريًا وثقافيًّا وأدبيا...إلخ.

قام المُستشرقون بدراسة كلّ ما يتعلّق بالشّرق الإسلامي، وانقسموا فئتين: فئةٌ يدفعها ويحرّكها البحث العلمي القائم على الحيادية والإنصاف، الذي هدفها التّوصل إلى معرفة الحقائق واكتشافها، والاعتماد عليها في النّهضة والتّقدّم، وفئةٌ يدفعها ويحرّكها النّزعة الاستعمارية، وهدفها السّيطرة على الشّعوب، وهذه الفئة هي الأكثرية والغالبيّة من بين المستشرقين.

يُعتبر الاستشراق الفرنسيّ الأكثر اهتمامًا بدراسة حياة الأُمّة العربيّة خاصّة، والإسلامية عامّة، وذلك لما لفرنسا من أهمّيةٍ كُبرى في العالم الغربي، حيث المكانة الدّينيّة والثّقافية، إذ كانت الرّائدة والقائدة في هذين المجالين، ولا ننسى ما كان لها من احتكاكٍ طويل الأمد بالعرب خلال الفُتوحات التي حقّقها المُسلمون على أراضيها، كذلك الحُروب الصّليبيّة في القرون الوسطى وفترة الاستعمار، فكان للاستشراق الفرنسيّ في الأدب العربيّ مسارٌ ومراحلٌ مرّ بها عبر التّاريخ، فلم يكن هذا النّوع من الاستشراق وليد مرحلةٍ واحدةٍ عبر فترةٍ زمنيةٍ وحيدة، بل مرّ بعدّة مراحل، حيث تأثّر الاستشراق الفرنسيّ بالأدب العربي وأثّر فيه، فكان البوّابة التي عبر من خلالها الأدب العربيّ إلى الاستشراق الفرنسيّ هي التّرجمة، والاستشراق الفرنسي كغيره من الاستشراقات الغربيّة الأخرى له مزاياه وعُيوبه، فكما كان له أثره الإيجابي على الأدب العربي، فقد أثّر فيه كذلك سلبا، وإن كان الجانب الأخير هو الطّاغي، فقد تأثّر

هو أيضًا بالأدب العربي، ونحن في هذا المبحث سنتعرّف على كلّ هذا بالتّوضيح والتّفصيل.

**أولا- اهتمام الاستشراق الفرنسي بالأدب العربي:** للأدب العربي مكانةٌ كُبرى بين آداب الأُمم قاطبة، فالعرب عندما فتحوا البلدان لم يكن فتحهم مجرّد إخضاعٍ عسكريٍ لهذه الأُمم، وإنّما كان دورهم أعظم وأسمى من ذلك، فقد عملوا على تغيير نمط حياة سكّان تلك البلدان المفتوحة في جميع النّواحي؛ حيث قاموا بدور المعلّم الذى تُحرّكه نهمة الشّغف بالتّغيير فأخذوا وابتدعوا وأضافوا، وبهذا لم يقتصر دور أمّة العرب على إنشاء دولةٍ وبنائها، بل بلغ دورهم إلى الذّروة في النّاحية التّثقيفيّة، فقد ورثت أمّة العرب المدنيّات القديمة ونقلوها إلى أوربا في عصورها المظلمة[1]، وإنّنا على يقينٍ في أنّ الدّافع والمُحرّك للعرب إلى ما قاموا به من صناعةٍ أدبيةٍ وثقافيةٍ بعد البعثة المُحمّدية هو الإسلام، حيث الآيات العديدة التي تدعو إلى العلم وترفعُ من شأنه وشأن أهله، وتُوضح أنّ معرفة أسرار الحياة ودقائقها متوقّف على العلم، وكذلك منح الإسلام مساحةً كبيرةً من الحرّية في التّفكير والبحث للعقل، إلاّ أنّنا مع ذلك نُقرّ بما كان للعرب من آدابٍ قبل الإسلام، فذلك واضحٌ في حياتهم العملية وقصائدهم الشّعريّة التي كانوا يتغنّون بها.

كان أبناء الأمّة الإسلاميّة والعربيّة يقومون بجمع ما ورثوه من حضاراتٍ سابقةٍ في ميادين العلم والفنّ، فأنشئوا في العواصم الإسلاميّة مكتباتٍ ضخمةً ومؤسّسات علميّة لا مثيل لها، وذلك مثل ما كانت في قرطبة وبغداد وكانت الأولى معقلاً لطلاّب العلم من جميع الدّول الأوروبيّة التي كانت غارقةً في بحار الظّلام والجهل، حيث تعلّموا في مدارسها وترجموا العلوم الإسلاميّة والعربيّة إلى لغاتهم، وعملت الأمّة العربيّة على المحافظة على مخطوطات الرّومان ونقلوها إلى العربيّة ودرسوها، ولم يكن دورهم هنا مقصورًا على التّرجمة بل تعدّى إلى النّقد والشّرح والإضافة، وعندما جاء الوقت الذى انتقل فيه الأدب العربي إلى

[1] ينظر: فيليب، العرب تاريخٌ موجز، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، سنة 1991، ص11.

الغرب كان جُلّ اعتماد الغربيّين على ما توصّل إليه العرب من أصول رائعة في جميع ميادين العلم والفنون[1].

أقام الغرب حضارته الحديثة على دعائم الحضارة العربيّة، والتي هي مزيجٌ من جميع العلوم التي كانت في الحضارات السّابقة وما ابتدعه العربُ وابتكره في جميع نواحي الحياة عندها أراد قادته إخضاع العرب لهم مرّةً أخرى، فخرجت من أوروبا جحافل الجيوش لاحتلال شعوب الشّرق الذين كان لهم الفضل فيما آلت إليه أوروبا من تقدّمٍ هائلٍ في العلوم والفنون ودارت بين الفريقين حروبٌ طاحنةٌ لقرونَ من الزّمن، انتهت بالاستعمار الغربيّ للبلاد العربيّة والإسلاميّة، وقد استخدم الأوروبّيّون في ذلك كلّ أنواع القوّة والبطش والفتك.[2]

خلال هذه المعارك الدّائرة بين الغرب والأمّة العربيّة نشأ ما يُعرف بالاستشراق، والذي عمل أهله على التّعرّف على الشّرق والتّغلغل في آفاقه الفكريّة عن طريق دراسة آدابه وثقافته وعلومه، وكان لكلٍّ من المستشرقين هدفه ومنهجه الذي يتّضح من خلال مؤلّفاتِهم وما قاموا به من ترجماتٍ وتحقيقات، ومع اختلاف الأهداف وتنوّع المناهج إلاّ أنّها" تتركّز في خلق التّخاذل الرّوحي وإيجاد الشّعور بالنّقص في نفوس المسلمين والشّرقيّين عامّة، وحملهم من هذا الطّريق على الرّضا والخضوع للتّوجيهات الغربيّة"[3].

ويُعتبر الأدب جزءًا أصيلاً من حضارة أيّ أمّةٍ من الأمم، وله دوره الكبير في حياتها وواقعها، وهو يمثّل مرآتها، لذا اهتمّ المستشرقون بدراسته أيّما اهتمام، ويرجع بعض الباحثين اهتمام الاستشراق بالأدب العربي إلى أربعة أسباب هي كالآتي:

1-صلة هذا الأدب بالوَحيَين {القرآن، السّنّة}.

2-أهمّية الأدب العربي لدراسة الشّخصية العربيّة وفهمها.

---

[1] ينظر: أبتشابلدرز، الحقيقة عن العالم العربي، تر: خيرى حمّاد، المكتب التّجاري، بيروت، ط1، سنة1960م، ص40.

[2] ينظر: أحمد حسن الزّيات، أثر الثقافة العربية في العلم والعالم، مجلة الرسالة،العدد1، سنة1933م، تمت الزيارة يوم 2021/01/10.

https://ar.wikisource.org/wiki/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9

[3] محمّد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبه، ط4، سنة 1964، ص431.

3-أثر الأدب العربي في آداب مختلفة ومنها الآداب الأوروبيّة.

4-منزلة الأدب العربي المرموقة بين الآداب العالمية.

كان للاحتكاك الذي حدث بين العرب المسلمين الفاتحين والفرنسيّين الأثر الأكبر في اهتمام الاستشراق الفرنسي بالأدب العربي، خاصّةً أنّ العلاقة بين العرب وفرنسا كانت علاقةً ذات طابعٍ حيويٍ نشط، رغم ما كان بين الطّرفين من اختلافٍ في الانجذاب والتّنافر والتّنافس والتّعاطف، إلاّ أنّها لم تصل إلى درجة التّغافل والتّجاهل، وقد ظلّ الاحتكاك قائمًا حتّى بعد أن خسر العرب المسلمون معركة بلاط الشّهداء سنة: 732م، هذا الاحتكاك الذي حدث بين الطّرفين العربي والفرنسي جعل كلاهما يعرف الطّرف الآخر وخاصّةً الطّرف الفرنسي الذي وعى بقوّة التّواجد العربي الإسلامي.

ففرنسا وجدت نفسها في مواجهة الزّحف العربي الإسلامي نيابةً عن أوروبا كلّها، وذلك باعتبارها بوّابة القارّة الأوروبيّة وأصبح لهذا الدّور الذى قامت به فرنسا أثره القويّ في كلّ أوروبا، حيث صارت فرنسا في نظر الأوروبّيّين رمزًا للتّضحية في سبيل الكنيسة، وبما أنّ الوجود العربي الإسلامي في فرنسا فرض نفسه على الجميع أصبح من اللاّزم إيجاد وسيلةٍ للتّقارب بين كلا الطّرفين، وممّا ساعد على ذلك رضا الكثير من الأقلّيات التي كانت خاضعةً لحكم الفرنسيّين بتواجد العرب المسلمين، ومن هنا بدأ اهتمام فرنسا بدراسة كلّ ما يتعلّق بالعرب.

واهتمّ الاستشراق الفرنسيُّ بدراسة الأدب العربي، فعندما ذاع صيت العرب ودينهم الإسلامي في أوروبا، وعلت أصوات المآذن وبدأت تخفت أصوات أجراس الكنائس لم يكن أمام الكنيسة شيءٌ سوى التّحدّي القائم على معرفة كلّ ما يتعلّق بالعرب عقديًا وفكريًا وثقافيًا وأدبيا، فظلّت اللّغة العربيّة لغة علمٍ وثقافةٍ لفترةٍ طويلةٍ من الزّمان، بل وكانت الطّريق الأوحد للتّقدّم والتّحضّر ومعرفة الكتب السّماوية وفهمها، ممّا أجبر الغرب على تعلّمها، وأنشأوا في سبيل ذلك المعاهد والمراكز العلميّة والثّقافيّة، هدفها تعلّم وتعليم أديان الشّرق ولغته، ويرجع الفضل في ذلك إلى المبشّرين الذين أوفدهم البابا إلى الشّرق لنشر المسيحية، حيث نقلوا

معهم أثناء عودتهم تلك اللّغات، وكانت المجادلة في العلوم والآداب ضمن اختصاصات الرّهبان دون غيرهم[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ العرب أفرغوا جلّ مآثرهم في اللّغة، فاللّغة لصيقةٌ بمن ينتمى إليها وبتاريخها، والعقلية العربيّة خاصّةً وجدت في فنّ القول وأحكامه أهمّ وسائل التّقدّم والنّجاح والتّأثير، وهذا في حدّ ذاته جعل المستشرقين لا يجدون بدًّا من دراسة الأدب العربي لفهم حياتهم ومعرفة نشاطاتهم، فالأدب العربي يقدّم لقارئه حقلاً خصبًا لدراسة الحياة العربيّة ونُظمها، فقد ترك العرب كمًّا كبيرًا من المخطوطات تعنى بدراسة وجوه تطوّرهم خلال قرنين قبل الإسلام إلى ما بعده، حيث يستطيع الباحث تصوّر مقدار الإنتاج الكبير في العلوم والآداب والفنون التي أنتجته العقليّة العربيّة عبر العصور المختلفة.

والسّبب الأوّل لدى الاستشراق الغربيّ، خاصّةً الاستشراق الفرنسي في معرفة العلوم العربيّة ومنها الأدب العربي والاهتمام بها كان دينيا، فقد تركت الحروب الصّليبيّة أثرًا عميقًا في نفوس الغربيّين، وعلموا علم اليقين أنّهم أمام منافسٍ متفوّقٍ عليهم فكريًا وثقافيًا وأدبيًا وحضاريا، فإذا كانوا يريدون مجابهته فلا بُدّ من الاطّلاع على ما لديه من كنوز علميةٍ ومعرفيّةٍ في شتّى المجالات، وأيضًا عندما جاءت حركة الإصلاح الدّيني في أوروبا بلغ الخوف ذروته عند القائمين على أمر الكنيسة فشعروا بحاجةٍ ملحّةٍ إلى دراسة كلّ ما هو عربي، في محاولةٍ منهم لتفادي الخطر الدّاهم الذي يهدّد الكنيسة، ومن جهةٍ أخرى فقد رغبت الكنيسة في التّبشير بدينها بين العرب وفي بلدانهم، فاضطرّهم ذلك إلى دراسة ثقافة وآداب ولغة العرب وكلّ ما يتعلّق بحياتهم، وذلك لإعداد المبشّرين إعدادًا مناسبا، ممّا يؤهّلهم للقيام بمهمّتهم على أكمل وجهٍ وأتمّه[2].

يُعتبر الاستشراق الفرنسي الرّائد والسّابق في دراسة كلّ ما يتعلّق بالأمّة العربيّة وخاصّةً آدابها، فهو من أهمّ الاستشراقات الغربيّة التي كانت لها جهودٌ جبّارةٌ في الدّراسات الشّرقيّة

---

[1] ينظر: يوسف جبرا، تاريخ دراسة اللّغة العربية بأوروبا، مطبعة الشّباب، سنة1929م، ص7.

[2] محمّد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص430.

فتمّ إنشاء أوّل مدرسةٍ تعتني بهذا الأمر، في القرن السّادس عشر الميلادي، اهتمّ الاستشراق الفرنسي اهتمامًا بالغًا بالأدب العربي، فكانت أوّل بعثةٍ علميةٍ قدمت إلى الأندلس بعثةً فرنسيّة، برئاسة الأميرة إليزابيث ابنة خالة لويس الثّالث ملك فرنسا[1]، وأوّل مستشرقٍ غربيٍ كان فرنسيا، الرّاهب جربرت دي أور يلياك(Gerbert d`Aurillac) كان ذلك في القرن العاشر الميلادي، تعلّم العربيّة وبعض العُلوم التّقنية على يد علماء المسلمين في قُرطبة، حيث عمل هو وتلامذته من بعده على أن تُصبح الدّراسات الاستشراقيّة العربيّة في مصاف الدّراسات الأخرى التي تحظى بالاحترام والتّقدير، فبذل هو وتلامذته الوقت والجهد والمال حتّى تحقّق لهم ما كانُوا يريدون، فكان له الفضل في إدخال السّاعة ذات الميزان والأرقام العربيّة، وكذلك نفوذ العلوم العربيّة إلى أوروبا.

ظهر اهتمام الاستشراق الفرنسيّ بالأدب العربي بصورةٍ أكبر في القرن الحادي عشر الميلادي، حيث صادف ذلك سقوط طليلطة سنة: 1085م على يد ملك إسبانيا الفونس السّادس، ممّا أدّى إلى تسارع العُلماء الإسبان والفرنسيّين إلى العكوف على ترجمة المخطوطات العربيّة إلى اللّغة اللاتينيّة للاستفادة منها، والتّعرّف على سرِّ قوّة الأُمّة العربيّة[2].

بلغ اهتمام الاستشراق الفرنسي بالأدب العربي أنّ عدد المخطوطات العربيّة التي جمعها الفرنسيّون بشتّى الطّرق بلغ سنة 1838م 1683 مخطوطة، وأخذ ينمو ويتزايد الإحساس الفرنسيّ بأهمّية المخطوطات العربيّة وما تحتوي عليه من كنوز العلم والمعرفة ممّا دفع لويس السّادس عشر إلى التّفكير في القيام بمشروعٍ يهدف إلى ترجمة كلّ المخطوطات العربيّة إلى الفرنسيّة لكنّه مات قبل تحقيقه، ولم تمت الفكرة، فليس هو الوحيد في هذا

[1] على حسنى الخربوطلي، المستشرقون والتّاريخ الإسلامي، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية، القاهرة، سنة1970م، ص34.

[2] ينظر: أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، دار غريب، القاهرة، سنة 2004، ص20.

المجال[1]، هذا العدد الضّخم والكبير من المخطوطات التي حصل عليها الفرنسيّون أوجد حوله عددًا كبيرًا من الباحثين والدّارسين المهتمّين بالعرب وآدابهم، وهؤلاء كانوا طليعة الرّحلات الاستشراقية، وكان في أثناء ذلك جهدٌ يبذل من قِبل بعضهم متمثّلٌ بالدّراسات التي لها صلةٌ بعلوم المخطوطات العربيّة.

كانت أوّل مدرسةٍ عنيت بتدريس اللّغة العربيّة وآدابها ضمن اللّغات الشّرقيّة الأخرى فرنسيّة، وهى مدرسة ريمس التي قامت في بداية القرن الثّاني عشر الميلادي، ولم تكن هذه المدرسة الوحيدة في فرنسا رغم ريادتها، بل تبع قيامها قيام مدارس أخرى، منها مدرسة شارتر سنة: 1117م[2].

استمرّ الحال في القيام بإنشاء المدارس مدرسةٍ تلو الأخرى إلى أن أطلّ القرن الرّابع عشر الميلادي، حيث أمر البابا إكليمنس الخامس في مجمع فينا (1312/1311م)، بإنشاء كراسٍ لبعض اللّغات الشّرقيّة، ومنها العربيّة في بعض العواصم الأوروبيّة كباريس وأكسفورد وغيرهما، فأنشأت جامعة باريس كرسيًا للّغة العربيّة[3]، وفي عام: 1808م قام نابليون بضمّ جامعة السّوربون إلى جامعة باريس، فيها دُرّس تاريخ الفنّ الإسلامي المغربي وتاريخ الشّعوب الشّرقية، وبعد ذلك تمّ إنشاء معهدٍ للدّراسات الإسلامية وأُلحق بمعهد الآداب، وفيه تُدرّس اللّغة والتّاريخ والدّراسات الدّينية وعلم المجتمع الإسلامي[4]، وفي سنة: 1795م تمّ إنشاء المدرسة الوطنية للّغات الشّرقية الحية بباريس، والتي كانت موجّهةً في الغالب للقناصل والسُّفراء والتّجّار الذين كانوا يسافرون إلى الشّرق، وهذه المدرسة أصبحت بمثابة كعبةٍ يقصدها الطّلاّب من جميع أنحاء أوروبا، خاصّةً بعد أن تولّى المستشرق دي ساسي(Antoine Isaac Silvestre de Sacy) تدريس الفارسيّة والعربيّة بها وهذه المدرسة

---

[1] ينظر: أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص21.

[2] ينظر: نجيب العقيقى، المستشرقون، ص138.

[3] ينظر: الطّيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدّد مهامّه خاصّةً في الجزائر، ص61.

[4] ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص140.

تخرّج منها الكثير ممّن كان له شهرةٌ وصيتٌ في الاستشراق فيما بعد، وبلغت هذه المدرسة من المكانة بين المهتمّين بالاستشراق من الأساتذة والطلاّب ما لم تبلغة أيّ مدرسةٍ أخرى[1].

**ثانيا- مناهج الاستشراق الفرنسي في دراسة الأدب العربي ومراحله:** سبق أن ذكرنا أنّ الدّافع الأساسي وراء الاستشراق كان دينيًا وبتوجيهٍ من الكنيسة بغرض وقف التّمدّد الإسلامي وانتشاره، لذلك فإنّ المسار الذي اتّخذه غالبية المُستشرقين الفرنسيّين في دراستهم للأدب العربي كان مسارًا انتقائيًا بعيدًا عن المنهجية والموضوعيّة حيث لم يُراعوا الأمانة العلمية، بل سعوا لتشويه التُّراث العربي الإسلامي، وصولاً إلى تشويه المصادر التي انبثق عنها التُّراث، فإذا ما نظرنا إلى المناهج المُستخدمة في دراسة الأدب العربي من قِبل المستشرقين نجدها كالآتي: (منهج التّأثير والتّأثّر، والمنهج التّاريخي والمنهج التّحليلي ومنهج المُطابقة والمُقابلة، ومنهج الهدم والبناء، ومنهج الشّكّ الدّيكارتي والمنهج الإسقاطي).

**1- مناهج الاستشراق الفرنسي في دراسة الأدب:** حتّى يتّضح لنا مسار الاستشراق الفرنسي في دراسته للأدب العربي نُلقي نظرةً سريعةً على كلٍّ من منهجي التّأثير والتّأثر والمنهج التاريخي، ومنهج الشّكّ الدّيكارتي.

**1-1- منهج التّأثير والتّأثّر:** يعني منهج التّأثير والتّأثر الأخذ بالنّزعة التّأثيرية، وهذه النّزعة يأخذ بها معظم المستشرقين في دراستهم للعلوم العربيّة والإسلاميّة ومنها الأدب العربـي حيث يُرجعون كلّ مأثرةٍ وفضلٍ يرونه فيه إلى الأُمم التي كان لها احتكاكٌ بالأمّة العربيّة كالرّوم وغيرهم ونجدهم يتعسّفون في سرد أدلّتهم التي يحاولون من خلالها إثبات ما يزعمونه ولا شكّ أنّ الأدب العربي كغيره من الآداب يُؤثّر ويتأثّر، ولكنّ العرب لم يكن مهمّتهم في

[1] ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص139.

نقل آداب الأُمم التي احتكّوا بها مُقتصرةً على التّرجمة والمُحاكاة، بل تعدّى ذلك إلى الشّرح والنّقد والإضافة، وكان لهم أدبهم الخاصّ بهم.[1]

تجاهل الاستشراق الفرنسي في قراءته للأدب العربي الأثر بحثًا عن المؤثّر، فلا يجد القارئ في الغالب لما كتبه المستشرقون الفرنسيّون متابعةً للنّصوص الأدبية والآثار الفنّية من النّاحية البنيوية الجمالية، ولكنّه يقف في كثيرٍ من الأحيان على قراءاتٍ يستخدمها الكاتب مطيّةً للبحث عن حقائق خارجية، وذلك كثقافة عصر الكاتب أو سيرته، عبر جملةٍ من المناهج التي تخدم غرض المستشرق، كالمنهج الاجتماعي وغيره، وهذه المناهج لا تعكس القيمة الفنّية والعلمية للأدب العربي بقدر ما تُحوّله عبارةً عن وثيقةٍ تبحث في مؤثّرات هذا الأدب.

**1-2- المنهج التّاريخي:** فهو منهجٌ يتّخذ من الأحداث التّاريخيّة السّياسية منها والاجتماعية وسيلةً لتفسير الأدب وتعليل ظواهره، أو التّاريخ الأدبي لأُمّةٍ ما أو مجموعة الآراء التي قيلت في فنٍّ ما أو أديبٍ من الأدباء، وهذا المنهج استطاع مواجهة كلّ المناهج الأخرى النّاقدة له، فيقوم المُستشرق من خلاله بجمع المعلومات عن الموضوع الذي يُريد دراسته تاريخيا، والمُفترض أنّ الباحث يقوم بجمعها دون النّظر إلى أيّ جانبٍ من الجوانب الأخرى.

نجد المستشرقون الفرنسيّون يهملون الجانب النّظريّ ويهضمونه، ذلك إمّا لتزامن التّأليف النّظري والإجراء التّطبيقي عندنا، أو لغلبة تصوّراتٍ مسبقة تمليها كلمة "التّاريخ" التي تسبق كلمة "الأدب" ممّا يجعل الالتفات إليه غايةً أوّلية، وتكشف لنا كتابات المُستشرقين الفرنسيّين عن مزالق خطيرة كان لها الدّور الأكبر في الجناية على البحث الأدبي وتعطيل دور القراءة، فهم يعتمدون معاييرَ تجعلهم بعيدين عن جادّة الصّواب، منها التّعميم العلمي

[1] ينظر: شنوفي بارودي، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي القديم " رجيس بلاشير أنموذجًا"، رسالة دكتوراه، السنة الدراسية: 2017/ 2018م، إشراف عكاشة سعيد، جامعة جيلالي اليابس، سيدى بلعبّاس، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللّغة العربية وآدابها، ص37.

والاستقراء النّاقص، والأحكام الجازمة، فيأتون بحالةٍ أدبيةٍ سيّئةٍ ويعمّمونها على فترةٍ كاملةٍ من فترات التّاريخ، ويهملون المزايا الحسنة التي تندثر بجانبها تلك الحالة السّيئة، فمثلًا عندما يأتي أحدهم ويكتب عن الحقبة العبّاسية ويتّهمها بالمجون ويستدلّ على ذلك بما كان موجودًا حينذاك من صورٍ للّهو واللّعب، فهذا يعدّ خللاً واضحًا في الموضوعية والمنهجية فالحقبة العبّاسية كانت من أزهى الحقب في جميع الفنون والعلوم.

يعتمد المستشرقون الفرنسيّون على الإكثار من الوثائق والمعلومات وضبط التّاريخ رغبةً في إثبات شيءٍ أو نفيه[1]، والإكثار من جمع المعلومات إن كان له مزاياه الحسنة فإنّ له أيضًا مزايا سيّئةً تذوب في بوتقتها المزايا الحسنة، ومنها الأحكام الجازمة، والاستقراء النّاقص، وإلغاء الذّاتية فالمنهج التّاريخي يحتاج في تطبيقه إلى الحذر والحيطة، فالمهمّ فيه هو دراسة الأدب وفق ظروف معيّنة وإخضاع صاحبه للظّروف التّاريخيّة التي عاشها دون تاريخٍ أو سرد وهذا هو الفارق بين النّاقد والمؤرّخ، فبفضل هذا المنهج استطاع النّقّاد كشف أكبر آفةٍ تعرّضت للشّعر العربي القديم، والمتمثّلة في النّحل والانتحال، وللمنهج التّاريخي فضلٌ كبيرٌ أيضًا في معرفة أصحاب القصائد المجهولة، وكذلك دحض نسبة بعض الشّعر إلى شاعرٍ معيّنٍ ومسألة دخول المنهجية الاستشراقية الغربيّة عامّة، والفرنسيّة بصفةٍ خاصّةٍ أمرٌ مُشوّق إزاء دخول المنهجيّة بصفةٍ عامّةٍ والمجال التّاريخي بصفةٍ خاصّة.

استخدام المنهج التّاريخي عند المستشرقين الفرنسيّين عبارةٌ عن ترتيب وقائع تاريخية أو اجتماعية، وتبويبها وترتيبها، ثمّ الإخبار عنها، والتّعريف بها باعتبارها الظّاهرة الفكرية ذاتها[2]، وهذا الأمر لدى المستشرقين الفرنسيّين لم يقتصر على الأدب العربي القديم بل امتدّ لينال الأدب العربي الحديث، وأيضًا فإنّ بعضهم يعتمد على الحكم الجازم دون دليل، فهذا شارل بيلا(Charles Pellat) يقول: "اصطحب الجنرال بونابرت لفيفًا من العلماء أذكوا في

[1] ينظر: يوسف وغليسي، مناهج النّقد الأدبي، جسور للنّشر والتّوزيع، المحمّدية، الجزائر، ط2، 2009م، ص15.

[2] إسلام عبد الله عبد الغنى، مناهج دراسة التّراث عند المستشرقين: المنهج التّاريخي، المنهج الوصفي، المنهج الأنثروبولوجي نموذجا، مجلّة الرّواق للدّراسات الاجتماعية والإنسانية، مخبر الدراسات الاجتماعية و النفسية والإنثروبولوجية، المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان، الجزائر، عدد 2، ج4، ديسمبر 2018م، ص38.

المصريّين حبّ الاطّلاع قبل أن يجعلوهم يقبلون إقبالاً شديدًا على العلم الغربي"[1]، وبالرّجوع إلى قراءة الفقرة السّابقة نجد أنّ هناك مُغالطةً واضحة، حيث إنّ المصريّين لم يكن سبب بداية إقبالهم على معرفة العلوم الغربيّة ودراستها حملة نابليون، فعلاقة المصريّين بالغرب عامّةً وفرنسا خاصّةً تعود إلى زمنٍ طويلٍ يسبق حملة نابليون، لهذا فلا يُمكن أن نستسلم لهذا النّصّ المخالف مخالفةً صارخةً لوقائع وأحداث التّاريخ.

**1-3- منهج الشّكّ:** اتّخذه المُستشرقون عامّةً والفرنسيّون خاصّةً منهجٌ قائمٌ أيضًا على التّشكيك، فشكّكوا في مناهج البحث العلمي عند العرب، وتنكّروا للأدب العربي وقيمته فحطوا من الفكر العربي وتاريخه، والنّيل من الفقه والمقدّسات وغير ذلك، وبالأحرى شرع الاستشراق في التّشكيك فيما أنتجته العقول العربيّة والإسلاميّة، وهو تراثها بأثره، وكانت هذه نقطة البداية في الصّراع القائم بين الغرب والشّرق[2]، والمطّلع على كتابات المُستشرقين عامّة والفرنسيّين خاصّة، يجد أغلب كتاباتهم تنتهي إلى أنّ الأُمّة العربيّة أُمّةٌ متخلّفةٌ بفطرتها وطبيعة جنسها وموقعها المناخي، الأمر الذى جعلها متوقّفةً عن الإبداع والابتكار، ولن تنجو من كبوتها إلاّ إذا احتذت بالغرب في كلّ نواحي الحياة[3].

**2- مراحل الاستشراق الفرنسي في دراسته للأدب العربي:** مرّ الاستشراق الفرنسي في دراسته للأدب العربي كغيره من العلوم العربيّة والإسلاميّة الأخرى بعدّة مراحل، ويمكننا تقسيم هذه المراحل إلى الآتي.

**2-1- مرحلة التّعرّف والاستكشاف:** ونقصد بها تلك الفترة التي بدأ الفرنسيّون يهتمّون بمعرفة الآداب العربيّة والكشف عنها، ويمكن أن نطلق عليها أيضًا مرحلة الولادة، وهذه المرحلة تعدّ الاحتكاك الأوّل الذي وقع بين الفرنسيّين والعرب، منذ أن وطأت فيه أقدام

---

[1] شارل بيلا، تاريخ اللّغة والأدب العربي، تر: رفيق بن ونّاس، صالح حيزم، وطيب العشاش، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ج1، ط1، سنة1997، ص235.

[2] محمود محمّد شاكر، أباطيل وأسمار، مطبعة المدني، ط1، ج1، سنة2013م، ص11.

[3] ينظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والاسلامية، تونس، ج1، سنة 1985، ص10.

العرب الفاتحين أرض فرنسا، حيث بهر التّقدّم السّريع والتّحضّر الذى بلغه العرب عقول وأعين الفرنسيّين، فأرادوا معرفة السّرّ الكامن في ذلك، ويرى بعض الباحثين أنّ هذه المرحلة بدأت مع هزيمة بلاط الشّهداء سنة: 737م التي مني بها المسلمون، فمنذ هذه الواقعة توقّفت الفتوحات الإسلامية، وكانت سببًا في أن يتصافّ ويتّحد رجال الكنيسة مع السّياسيّين ليصبحوا صفًّا واحدًا ضدّ العرب الفاتحين، ومن ثمَّ فقد وجّه رجال الكنيسة أنظار العلماء والأدباء للاطّلاع على كلّ ما لدى العرب، وذلك لمعرفة نقاط الضّعف والقوّة عندهم.

**2-2- مرحلة النّموّ والتّطوّر:** بدأ الاستشراق الفرنسي في هذه الفترة بجمع المخطوطات والكتب والأشعار وغير ذلك من الأعمال الأدبيّة، بغرض ترجمتها ودراستها وتحقيقها ونشرها، فقد كان للاستشراق الفرنسي دوره في التّنقيب عن التّراث ودراسة نشأته وتأثّره وتطوّره، والاطّلاع على قيمته بالنّسبة لغيره، فعمل على تتبّعه ونموّه وازدهاره منذ أقدم عصوره إلى أحدث عهوده، ومن هنا فقد كان للمستشرقين الفرنسيّين الدّور الأكبر في كشف السّتار عن تراثنا الأدبي، إذ كان العرب أصحاب هذه الكنوز الأدبية في غفلةٍ عنها.

كشف الاستشراق الفرنسي كغيره من الاستشراقات الأخرى عن الدّور الذي لعبه الأدب العربي عبر الأزمنة، وما قام به من إضافاتٍ إلى الآداب الأخرى[1]، وبدأت هذه المرحلة منذ القرون الوسطى، زمن الحروب الصّليبية حين بدأت حركة التّرجمة على يد جيرار الكرموني(Gerardu Cremonensis)(ت1187م) الذي ترجم كثيرًا من أمّهات الكتب العربيّة إلى اللّغات الأوروبيّة، ويرى البعض أنّ هذه المرحلة بدأت في القرن الحادي عشر الميلادي وذلك بعدما سقطت طليلطة سنة: 1085م، حيث سارع الفرنسيّون إلى جمع ما استطاعوا من مخطوطاتٍ وترجمتها[2].

---

[1] أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة 1998م، ص712.

[2] ينظر: محمّد ياسين عريني، الاستشراق وتغريب العقل التّاريخي الغربي: نقد العقل التّاريخي، المجلس القومي للثّقافة العربية، الرّباط، سنة1991م، ص142.

كشف لنا النّقاب عن اهتمام الاستشراق الفرنسي بالمخطوطات الأدبيّة العربيّة الوزير "كولبير"(Jean-Baptiste Colbert) حينما كلّف بعض المعتمدين في الشّرق بمهمّة البحث عن المخطوطات العربيّة، بغرض تزويد مكتبة الملك لويس الرّابع عشر بها، وأيضًا إرساله بعثةً خاصّةً بقيادة " فانسليبن"(Vanslebe) إلى المشرق العربي للغرض نفسه وعادت هذه البعثة بثروةٍ هائلةٍ من تلك المخطوطات بعد أن طافت العواصم العربيّة المختلفة[1].

**2-3- مرحلة البُلوغ والنّضج:** أقصد تلك الفترة التي أصبح للعلوم العربيّة والإسلاميّة عند المستشرقين الفرنسيّين مكانةٌ توازى مكانة آدابهم الفرنسيّة ذاتها، حيث قاموا بإنشاء المعاهد والمدارس والجامعات التي تختصّ بدراسة العُلوم العربيّة والإسلاميّة، ومنها الأدب العربي وذلك بعدما كانت درجة الاهتمام بالعلوم العربيّة والإسلاميّة أعلى حدودها كراسي لتدريسها في بعض الجامعات.

يمكننا القول بأنّ هذه المرحلة هي التي ظهر فيها الاستشراق بقوّةٍ في فرنسا وذلك في:1799م، "وأدرج مفهوم الاستشراق في قاموس الأكاديميّة الفرنسيّة سنة: 1838م"[2]، وتمّ إنشاء مدرسةٍ للّغات الشّرقيّة في فرنسا في القرن الثّامن عشر الميلادي، وهي المدرسة الوطنية للّغات الشّرقية الحيّة، بغرض دراسة اللّغات العربيّة والتّركيّة والفارسيّة وكانت اللّغة العربيّة هي أول لغةٍ تُدرّس بها في سنة: 1795م، ومن ذلك الكلّية الملكيّة والمكتبة الوطنية والمدرسة الشّرقية بالقسطنطينية سنة: 1802م، وكانت هذه المدرسة تعتني بتخريج رجال السّلك الدّبلوماسي، وكان المشرفون عليها من كبار المستشرقين[3].

ولا يمكننا في هذا المقام حصر كلّ ما تمّ إنشاؤه من مدارسَ ومعاهدَ متخصّصة للدّراسات العربيّة والإسلاميّة في فرنسا، فما يهمّنا هو معرفة ما وصل إليه الاهتمام لدى المستشرقين الفرنسيّين بالأدب العربي.

---

[1] ينظر: محمود المقداد، تاريخ الدّراسات العربية في فرنسا، عالم المعرفة، الكويت، سنة1992م، ص46.

[2] ينظر: عفيف عبد الرّحمن، الأدب الجاهلي في آثار الدّارسين قديمًا وحديثا، دار الفكر، عمان، ط1، سنة1987 ص27.

[3] أحمد نصرى، آراء المستشرقين الفرنسيّين في القرآن الكريم، دار القلم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الرّباط المغرب، سنة2009م، ص24.

**ثالثا- تأثّر الاستشراق الفرنسي بالأدب العربي وأثره فيه:** تأثّر الاستشراق الفرنسي بالأدب العربي كثيرا، وهذا أمرٌ طبيعي، فكلّ من يخالط قومًا ويتعامل معهم ويطّلع على ثقافتهم وفكرهم وآدابهم حتمًا ولا بدّ أن يتأثّر بذلك كلّه، كما هو معلومٌ فإنّ المستشرقين الفرنسيّين أُتيحت لهم فرصة مُخالطة العرب أكثر من غيرهم فتأثّروا ببعض التّيّارات والموضوعات السّائدة في الأدب العربي، على سبيل المثال: استوحى لافونتين(Jean de La Fontaine) أساطيره من الشّرق، وتسرّبت أغراض القصص الشّرقي إلى المسرح الفرنسي، فكتب لاساج (Lasag) مسرحيّاتٍ عن: أبي بكر، والجنّة ومكّة، وقوافل الحجّ، وتأثّر مونتسكيو(Montesquieu) بالثّقافة العربيّة فجاء كتابه (الرّسائل الفارسية) متأثّرًا بألف ليلةٍ وليلةٍ مشتملاً على نزعاتها وتعدّد احتفالاتها، وأخذ عن ابن خلدون بعض فلسفته الاجتماعية في كتابه "روح الشّرائع"[1] .

اعترف أحد المستشرقين المنصفين وهو غوستاف لوبون (Gustave Le Bon) بهذا الأمر فقال: "إنّه كان للحضارة الإسلامية تأثيرٌ عظيمٌ في العالم، وأنّ هذا التّأثير خاصٌّ بالعرب، فلا تشاركهم فيه الشّعوب الكثيرة التي اعتنقت دينهم، والعرب هم الذين هذّبوا بتأثيرهم الخُلقي البرابرة الذين قضوا على دولة الرّومان، والعرب هم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية، سيما الكتب العلمية والأدبيّة والفلسفية، فكانوا مُمَدِّنين لها وأئمّةً لنا ستّة قرون، وظلّت ترجمات كتب العرب، سيما الكتب العلمية مصدرًا وحيدًا تقريبًا للتّدريس في جامعات أوروبا خمسة قرونٍ أو ستّة قرون، وإذا كانت هناك أُمّةٌ تُقرّ بأنّنا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزّمن القديم فالعرب تلك الأمّة، فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثّمينة اعترافا أبديا"[2].

---

[1] ينظر: عبد المجيد حامد صبح، الرّدّ الجميل على المشكّكين في الإسلام من القرآن والتّوراة والإنجيل والعلم، دار المنارة للنّشر والتّوزيع والتّرجمة، المنصورة ، مصر، ط2، سنة2003، ص167.

[2] غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، سنة 2013، ص589.

وأثّر الأدب العربي في الاستشراق الفرنسي كغيره من العلوم العربيّة، وتأثّر بالاستشراق الفرنسي، وذلك أنّ المستشرقين في ترجمتهم للأدب العربي أو دراساتهم وتحقيقاتهم أضرّوا بالنّصّ العربي، وكانوا سببًا في كثيرٍ من الأحيان في رفع الهالة التي تُحيط به من الرّونق والجمال والإبداع، وذلك راجعٌ إلى سوء الفهم النّاتج عن محدودية الحصيلة اللّغوية لدى المستشرقين، فالمترجم تحكمه الثّقافة والتّوجّهات الفكرية والقدرة اللّغوية، ولا بدّ أن تكون هذه القدرات متوفّرةً في المترجِم، حتّى يستطيع أن يتفهّم النّصّ وينقله بأمانة، ولا بُدّ كذلك أن يكون مُتقنًا للغة النّصّ الذى يُترجمه، حتّى يستطيع أن يتفهّم أبعاده ومراميه، لكي ينقل أفكاره العميقة بدقّة، ولا بُدّ له أيضًا أن يكون بيانه في التّرجمة نفسها، في وزن عمله في المعرفة نفسها، وينبغي أن يكون أعلم النّاس باللّغة المنقول إليها.

نجد في أعمال المستشرقين من ترجماتٍ وتحقيقاتٍ ودراساتٍ في الأدب العربي أنّهم قاموا بالتّقديم والتّأخير في النّصّ، وكذلك أنزلوه على ما يتناسب مع بيئاتهم، فهذا كلّه كان تأثيره سلبيًا على الأدب العربي، وليس هذا فحسب، بل عمل كثيرٌ من المستشرقين على الحطّ من قدر ومكانة الآداب العربيّة والتّنقيص من شأنها، كما أنّهم نظروا أثناء تحقيقهم ودراساتهم للشّعر الجاهلي من خلال منظورٍ غير مؤهّلٍ لاستشراف مضامينه الاجتماعية والحضارية، وهذا ما أعجزهم عن إقامة الأبعاد الحقيقية لخلفية فعاليته الفكرية والإبداعية ولعلّ السّبب في ذلك هو عدم فهمهم الحياة العربيةَ الجاهليّة على حقيقتها، بسبب اختلاف العقلية الفرنسية عن العقلية العربية، ولا ننسى كذلك أنّ عدم شعورهم بالانتماء للأدب العربي كان سببًا مهمًّا فيما وقعوا فيه من أخطاءَ وتحاملٍ على الأدب العربي[1].

**رابعا- إسهامات الاستشراق الفرنسي في دراسة ونشر التّراث الأدبي العربي:** كان للاستشراق الفرنسيّ الدّور الأكبر في دراسة ونقل التّراث الأدبي العربي إلى البلاد الأوروبيّة ولعلّ قربه من العرب والمسلمين والاحتكاك الذي حدث بينهما أثناء الفتوحات الإسلامية التي

[1] ينظر: أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص712.

حدثت على أرض فرنسا، ثمّ الحروب الصّليبيّة وغير ذلك، ربّما هو الذي أتاح الفرصة للاستشراق الفرنسيّ أن يقوم بهذا الدّور الأكبر، وعندما نطالع التّاريخ نجد أنّ المستشرقين الفرنسيّين هم أوّل من اعتنى بدراسة التّراث الأدبي العربي، ويكفي في التّدليل على ذلك أنّ البعثة الأوروبيّة العلمية الأولى إلى بلاد الأندلس كانت فرنسية، وأيضًا فإنّ الرّاهب الفرنسي جربرت دي أور بعدما أتمّ تعليمه على يد العلماء العرب والمسلمين عمل على أنّ تصل الدّراسات الاستشراقية العربية إلى مصافّ الدّراسات الأخرى التي تحظى بالاحترام والتقدير ثم تبعه تلامذته من بعده في ذلك العمل، وكان له ولتلامذته الفضل في نفوذ العلوم العربيّة إلى أوروبا، وعندما سقطت طليلطة سنة: 1085م على يد ملك إسبانيا الفونس السّادس سارع الفرنسيّون إلى العكوف على ترجمة المخطوطات العربيّة إلى اللّغة اللّاتينيّة للاستفادة منها[1].

يرى بعض الباحثين المسلمين أنّ تطوّر الذّوق الأدبي عند الفرنسيّين دفعهم إلى الاتّصال المباشر بالأدب العربي "إذ كان الفرنسيّون قد ضاقوا ذرعًا بالآداب اليونانية والرّومانية (اللاّتينية) وملّتها نفوسهم بعد أن استوعبوها، فطفقوا يبحثون عن عوالم جديدةً لم يسمعوا بها من قبل في الآداب المشرقية؛ فأثبت نجاح ألف ليلةٍ وليلةٍ ورواجها في فرنسا خاصّةً والغرب الأوروبي عامّةً بعد أن ترجمها إلى الفرنسيّة أنطوان غالان( ntoine Galland) ، وجود جوٍّ أدبيٍ متقبّلٍ للجديد، كما أنّه فتح الباب واسعًا للبحث في آداب الأمم الشّرقيّة، وفي طليعتها الأمّة العربيّة التي كان الغرب قد استفاد منها العلوم العقليّة والتّجريبيّة والتّأمّليّة، عن طريق التّرجمة التي كانت الجسر الذي انتقلت عليه تلك العلوم آنذاك"[2].

لعلّ من أهمّ الأعمال التي قام بها المستشرقون الفرنسيّون في خدمة التُراث الأدبي العربي كتاب(المكتبة الشّرقيّة) التي صنّفها ديربلو d'Herblot، وأراد مؤلّفها أن تكون أشبه بموسوعةٍ تتناول الآداب العربيّة وتاريخهم وكلّ ما يتعلّق بهم، هذا العمل هو الذي مهّد الجوّ

[1] ينظر: أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص20.

[2] محمود المقداد، تاريخ الدّراسات العربية في فرنسا، ص126.

لتعرّف الفرنسيّين على الآداب العربيّة، وبدأت طبعتها الأولى تصدر سنة: 1913م، ورتّبت موادّها على حروف المعجم[1].

قدّم الاستشراق الفرنسيّ للتّراث الأدبي العربي دراساتٍ وأعمالَ قيّمةً كنشر الدّواوين والأشعار وترجمتها، ومن ذلك ما قام به دي ساسي، حيث ترجم قصيدة البردة للبوصيري سنة: 1806م، كما قام بنشر مُعلّقة لبيد مع ترجمتها ملحقةً بكتاب كليلة ودمنة ومنها العمل الذى قام به لويس ماسنيون (Louis Massignon)، نشر (ديوان الحلاّج) في المجلّة الآسيوية سنة: 1931م، وترجمه إلى الفرنسيّة ونشر طبعته الثّانية سنة: 1955م[2]، ومن الإسهامات الاستشراقية في الأدب العربي، نشر الكتب الأدبيّة العامّة وترجمتها، على سبيل المثال ما قام به غالان حيث ترجم قصص (ألف ليلةٍ وليلة) إلى الفرنسية لأوّل مرّة بين سنتي: 1704 و 1708م، قام أيضًا بترجمة (مقامات الحريري) سنة: 1819م.[3]

ومن الإسهامات التي قام بها المستشرقون الفرنسيّون في خدمة الأدب العربي: نشر المختارات الأدبيّة والمجموعات الشّعرية والمعلّقات وترجمتها وتحقيقها، ومن هذا القبيل العمل الذي قام به دي ساسي، حيث نشر مختاراتٍ أدبيّةً شهيرةً أطلق عليها (الأنيس المفيد للطّالب المستفيد)، فحوت هذه المجموعة لامية العرب للشّنفري، وبعض أشعار المعرّي، وبعض مقامات بديع الزّمان الهمذاني، وغير ذلك من النّصوص المختلفة من كتب الأدب والتّاريخ والرّحلات وغيرها، قام بطبعها بين سنتي: 1806و1826م، ومنه تحقيق ديوان امرئ القيس حقّقه كلٌّ من البارون دي سلان (de Slane) مع جوزيف رينو( Joseph Toussaint Reinaud) 1837م، ومنه أيضا: تحقيق ديوان أوس بن حجر من طرف رينيه باسيه(René Basset) في المجلّة الآسيوية 1912م، وتحقيق أرماند بيير كوسان دي برسفال (Armand) (لديوان المتلمّس الضّبعي) نشره في المجلة الآسيوية سنة: 1841م

[1] ينظر: لويس شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التّاسع عشر والرّبع الأوّل من القرن العشرين، دار المشرق بيروت، ج1، ط3، سنة 1991، ص45.

[2] ينظر: عبد الرّحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص334.

[3] ينظر: محمود المقداد، تاريخ الدّراسات العربية في فرنسا، ص116 .

كذلك تحقيق البارون دي سلان، لمجموعة أشعار الجاهليّين، ونشرها بباريس سنة: 1838م ومنه الدّراسة التي قام بها بورفنسال(Évariste Lévi-Provençal)، فقد نشر جمهرة أنساب العرب لابن حزم، بدار المعارف بمصر سنة: 1948م، كما نشر جان جاك سميث( Jack Smith) ترجمةً جديدةً للمعلّقات مع تفسير لغويٍّ وتاريخيٍ وجغرافي[1].

قام المستشرقون الفرنسيّون بخدمة الأدب العربي بتأليف الكتب وكتابة المقالات في الأدب العربي، ومن الكتب الاستشراقية المختصّة بالأدب العربي كتاب الأدب العربي، الذى ألّفه كليمان هوار(Clément Huart)، وهو عبارةٌ عن تاريخٍ للأدب العربي منذ نشأته وصولاً إلى زمانه، تمّ نشر طبعته الأولى سنة: 1902م، ثمّ طبع بعد ذلك مرارا، ومنها ما قام به المسيو أمابل جوردان (A. L. Jourdain)، حيث نقل إلى الفرنسيّة نبذةً من تاريخ العرب، وما قام به دي ساسي، حيث ألّف كتابًا بعنوان: أصل الأدب الجاهلي عند العرب وترجم كليلة ودمنة، ومقامات الحريري والبردة، وترجم كثيرًا من أشعار العرب، كقصيدة الطّغرائي يا خالي البال، وله مؤلّفٌ في ديانة الدّروز، ومن هذه الدّراسات كتاب الشّعر العربي قبل الإسلام لرينيه باسيه[2].

وكتب ريجيس بلاشير (Régis Blachère) دراسات بعنوان شاعرٍ عربيٍ من القرن الرّابع الهجري: أبو الطّيب المتنبّي نال بها درجة الدّكتوراه من جامعة السّوربون ونشرها بباريس سنة: 1935م، وكتاب تاريخ الأدب العربي من الأصول إلى نهاية القرن الخامس عشر، وصل فيه من فترة الجاهلية إلى العصر الأموي، حيث وافته منيّته أثناء كتابته، ومنها ما قام به أندريه ميكال (André Miquel)، حيث كتب كتابًا مختصرًا في تاريخ الأدب العربي بعنوان: الأدب العربي، ذلك ضمن سلسلة كوسيج سنة: 1969م، هي سلسلةٌ واسعة الانتشار في فرنسا، وكتب أيضًا كتابًا بعنوان: الإسلام وحضارته، ترجِم إلى كثيرٍ من اللّغات الأوروبّية، وما قام به بوستل (Guillaume Postel)، حيث كتب أوّل كتابٍ في قواعد اللّغة

[1] ينظر: عفيف عبد الرّحمن، الأدب الجاهلي في آثار الدّارسين قديما وحديثا، ص29.

[2] ينظر: عبد الرّحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص334.

العربية بالحرف العربي، وكتاب دي لاغران (de lagrand)عن محاسن الشّعر العربي بعنوان: نخب الأزهار في منتخب الأشعار وأزكى الرّياحيين من أسنى الدّواوين بالعربية ومعه ترجمةٌ إلى الفرنسيّة[1].

كتب شارل بيلا (Charles Pellat) في نشرة الدّراسات الشّرقية، سنة: 1952م بعنوان: الجاحظ في بغداد وسامراء وسُرَّ من رأى، ومنها الوسط العلمي في البصرة وتنشئة الجاحظ نال بها رسالة الدّكتوراه، وكتاب الإمامة في مذهب الجاحظ سنة: 1961م، وكتاب ردّ الجاحظ على النّصارى سنة: 1970م، وكذلك الجاحظ ومذهب الخوارج سنة: 1970م.[2]

وأنشأ المستشرقون الفرنسيّون المجلاّتِ والدّورياتِ التي تُعنى بنشر دراساتِهم وأبحاثهم ومقالاتِهم، من ذلك مجلّة الإسلام بباريس سنة: 1895م، ومجلّة العالم الإسلامي، صدرت عن البعثة العلمية الفرنسيّة في المغرب: 1916م، ثمّ تحوّلت بعد ذلك إلى مجلّة الدّراسات الإسلامية،[3] ومن الإسهامات التي قام بها الاستشراق الفرنسيّ في خدمة الأدب العربيّ أيضًا اعتناؤه بالمخطوطات الأدبيّة العربيّة، فعندما عثر الفرنسيّون على بعض المخطوطات الأدبيّة العربيّة اتّضح لهم أنّهم وقعوا على كنزٍ ثمينٍ لا يعرف أصحابُه قدرَه، ولذا فقد عكفوا على دراسة هذه المخطوطات واعتنوا بها اعتناءً كبيرا، كانت نتيجته إنتاج دراساتٍ حول الأدب العربي لم يقم بها العرب أنفسهم، وينحصر هذا الاعتناء في الجوانب الآتية:

1-البحث عن المخطوطات الأدبيّة وجمعها، ثمّ نقلها إلى فرنسا.

2-القيام بحفظ هذه المخطوطات.

3-القيام بوضع الفهارس التي تنظّم وجه الإفادة من هذه المخطوطات.

4-تحقيق البعض من هذه المخطوطات والقيام بنشره.

---

[1] ينظر: عداد بوجمعة، مناهج المستشرقين في قراءة الأدب العربي الحديث: شارل بيلا، أندريه ميكال " نموذجا"، رسالة ماجستير، إشراف: أحمد طالب، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، شعبة الأدب العربي الحديث في ضوء الاستشراق، السنة الدراسية 2007/ 2008م.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص96.

[3] عفيف عبد الرّحمن، الأدب الجاهلي في آثار الدّارسين قديمًا وحديثا، ص28.

5-القيام بنشر بعض الاقتباسات من هذه المخطوطات أو تلخيص لها، وذلك للتّعريف بها.

6-القيام بترجمة بعض هذه المخطوطات إلى الفرنسيّة.

7-القيام بنسخ بعض هذه المخطوطات، وتصوير البعض منها.

ويعتبر إنشاء المكتبات الشّرقيّة، من الإسهامات الكبيرة التي قام بها الاستشراق الفرنسيّ في خدمة الأدب العربي وتحتوي هذه المكتبات على الآلاف من المخطوطات والكتب الأدبيّة العربيّة، ومن بين هذه المكتبات: مكتبة باريس الوطنية، وقد أنشئت هذه المكتبة سنة: 1654م، وتحتوى على ستّة ملايين كتابٍ ومخطوط، منها نحو سبعة آلاف كتابٍ ومخطوطٍ عربيٍّ من النّفائس العلمية والأدبية والنّوادر، وبها مخطوطاتٌ لكتبٍ عربيّةٍ متنوّعةٍ منسوخةٍ منذ القرن الرّابع إلى القرن السّابع من الهجرة، كما توجد مكتباتٌ تابعةٌ للجامعات في فرنسا، وهناك مكتباتٌ خاصّةٌ لبعض المستشرقين[1].

الواضح أنّ كلّ ما سبق ذكره من إسهامات الاستشراق الفرنسيّ في الأدب العربيّ كان متعلّقًا بالقديم منه، وأمّا الحديث منه فإنّه لم يعبأ به معظم المستشرقين الكبار، إذ كان جلّ اهتمامهم منصبًّا على القديم منه، خاصّةً ما أنتجه العصر الجاهليّ إلى القرن الرّابع الهجري ومع ذلك فقد وجِدت إسهاماتٌ ضئيلةٌ من قِبل بعض المستشرقين الفرنسيّين في خدمة الأدب العربيّ الحديث، ففي باريس كانت توجد دار نشرٍ صغيرةٍ اهتمّت بترجمة بعض أعمال محمود تيمور وتوفيق الحكيم، وهي Nouvelles Editions Latines، وفي عام: 1960م صدرت ترجمة الجزء الأوّل من كتاب الأيام لطه حسين، وقدّم له صديقه أندريه ميكال، وفي عام: 1962 م، صدرت ترجمة "أنا أحيا " لليلي بعلبكي في دار نشر جوليار، كذلك عُنيت

[1] ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص142.

مجلّة Orient بترجمة بعض القصص والقصائد لعددٍ من الكتّاب السّوريّين واللّبنانيّين والفلسطينيّين[1].

لعلّ من الأسباب التي أدّت إلى ندرة نشر الأدب العربي الحديث في فرنسا هو قلّة الباحثين الفرنسيّين في دراسة كلّ ما هو عربيٌ وإسلامي، وعدم وجود شراكةٍ بين النّاشر العربيّ والنّاشر الفرنسيّ، ونودّ التّنويه إلى أنّه في عام: 1972م أنشأ شابٌّ فرنسيٌّ اسمه بيير برنارد(Pierre Bernard) دار نشرٍ سمّاها سندباد، وقدّمت الحكومة الجزائرية وبعض الجمعيات العربيّة مساعداتٍ كبيرةً له، وكان لهذه الدّار الفضل في القيام بترجمة نحو مائة كتابٍ عربي، والذين بلغ عددهم: 140 إلى جانب السّلاسل التي أصدرتها حول الأدب العربي الكلاسيكيّ والأدبين التّركي والفارسي[2].

خدم المستشرقون الأدب العربيَّ وكانوا هم المستفيد الأوّل من وراء ما قاموا به، من خلال الأعمال التي قاموا بها يسّرت لهم التّعرّف بدقّةٍ على طبيعة حجم الموروثات العربيّة المكتوبة، ثمّ تحليل ما تتضمّنه من فكرٍ وغير ذلك عن طريق النّقل والدّراسات، فانتقاؤهم للأعمال التي تفيد الاستشراق في تحقيق مآربها، سواءٌ الدّينية منها أو السّياسية أو غير ذلك وبعد الانتهاء من كتابة هذا المبحث نكون قد توصّلنا إلى الآتي:

1-اهتم الاستشراق الفرنسيّ اهتمامًا بالغًا بالأدب العربي، وذلك عبر عدّة مراحل.

2-اهتمام الاستشراق الفرنسيّ بالأدب العربيّ كان متنوّعا، وذلك ما بين تحقيقٍ ودراسةٍ وكتابةٍ وجمعٍ ونشر.

3- للمستشرقين الفرنسيّين الدّور الأكبر في نقل النّصّ العربيّ إلى أوروبا.

4- أثر الاستشراق الفرنسيّ في الأدب العربي إيجابًا وسلبا.

---

[1] جمال شحيد، ترجمة الأدب العربي الحديث إلى اللغة الفرنسية، موقع أنفاس من أجل الثقافة والإنسان، نقلا عن مجلة الآداب في عددها 8/7 ليوليو وأغسطس، سنة 1999م، تمت الزيارة يوم 2021/12/20.
https://www.anfasse.org/2010-12-29-18-25-49/2010-12-30-15-59-04/986-2010-07-02-18-01-02

[2] ينظر: إيناس حمدي، ملاحظاتٌ حول ترجمة الأدب العربي إلى الفرنسيّة، موقع الجمعيّة الدّولية للمترجمين واللّغويّين العرب، تمت الزيارة يوم 2020/09/20.
https://www.wata.cc/forums/showthread.php?3422

5-المنهج الذى اتّخذه الاستشراق الفرنسيّ في دراسته للأدب العربي كان منهجًا غير موضوعي، بل وبعيدًا عن جادّة الصّواب في كثيرٍ من الأحيان.

6-عدم المعرفة الكاملة والفهم النّاقص للنّصّ العربيّ لدى المستشرقين الفرنسيّين أدّى بهم إلى الإضرار بالنّصّ العربي.

7- تأثّر الاستشراق الفرنسيّ بالأدب العربي كثيرا، ويظهر ذلك جليًّا في أعمال بعض المستشرقين.

# المبحث الثّاني:

## المدرسة الاستشراقية الفرنسية

تُعدّ المدرسة الاستشراقيّة الفرنسيّة من أبرز المدارس الأوروبّية في الاستشراق، فقد كان لها الدّور الأسمى في الاهتمام بكلّ ما يتعلّق بالعرب والمُسلمين من علوم وفنون وآداب وغير ذلك وللمدرسة الاستشراقية الفرنسيّة مميّزات تميّزها عن بقية المدارس الاستشراقية الأوروبيّة الأخرى وتنوّع رواد المدرسة الاستشراقيّة الفرنسيّة ما بين رجال دين، وضُبّاط جيشٍ سابقين ورجالٍ متخصّصين في العمل الأكاديمي.

يرجع هذا التّنوّع إلى تنوّع أهداف الاستشراق نفسه، وكّل هؤلاء اعتنوا بالاستشراق وكانت لهم جُهودٌ كبيرةٌ في خدمته، وتتنوّع جهود هؤلاء الرّواد ما بين دراساتٍ وتحقيق ونشر، وكتابة مقالات، وتدريس، وعقد مؤتمرات وإنشاء مدارسَ إلى غير ذلك، وتُعتبر المدرسة الاستشراقية الفرنسيّة السّابقة في مجالات الاستشراق عامّة، فكان لقرب الفرنسيّين من العرب والمسلمين بسبب الاحتكاكات التي وقعت بينهما الأثر الكبير في بناء الجسور العلمية بين الطّرفين، وبهذا أصبحت من أبرز المدارس الأوروبّية الاستشراقية، وأخصبها إنتاجًا وأكثرها وضوحا، وأغناها فكرا[1].

سنتحدّث في هذا المبحث عن نشأة المدرسة الاستشراقية الفرنسية، وخصائصها، وما قامت به من جهودٍ في خدمة الاستشراق، وأهمّ روّادها، وذلك حتّى يتسنّى لنا معرفة كيفية تكوين هذه المدرسة وأهدافها وجهودها في خدمة الاستشراق.

**أولاً- نشأة الاستشراق الفرنسي:** ترجع نشأة الاستشراق الفرنسيّ إلى زمن الاحتكاك الذي حصل بين الطّرفين الفرنسي والعربي، كان هذا الاحتكاك مبكّرا، فمنذ أن وطئت أقدام العرب الفاتحين المقاطعات الفرنسيّة التي فتحوها تنبّه الفرنسيّون إلى أنّ هناك سرًّا كامنًا في تفوّق العرب حضاريًا وثقافيًا وفكريًا وأدبيًا عليهم، ممّا دفعهم إلى الاهتمام بالاطّلاع على نُظم حياتهم، ودراسة كلّ ما يتعلّق بهم عقديا، وأدبيا، وفكريا، وثقافيا، وسياسيا، واجتماعيا...إلخ واعتبرت فرنسا نفسها الحصن الحصين للحفاظ على بقية الدّول الأوروبّية من أن تقع فريسةً

[1] شمس العالم بن يار محمد، الاستشراق و المستشرقون، رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية المرحلة العالية، السنة الأول، إشراف: عمران حسن، باكستان، سنة 2012، ص48.

في أيدى العرب المسلمين ومن ثمَّ أخذت على عاتقها مَهمّة القيام بدور الحارس المُدافع عن الكنيسة نيابةً عن أوروبا كلّها؛ هذا الدّور جعل لها مكانةً كبرى في أعين الأوروبيّين جميعًا وحتى تستطيع القيام بهذا الدّور كان لابُدّ من التّقرّب من العرب الفاتحين، والتّعرّف على كلّ ما يعنيهم[1].

ذهب البعض من الباحثين إلى أنّ الاستشراق الفرنسيّ كانت بدايته في زمن فتح بلاد الأندلس، ووقعت أحداثه في القرن الثّامن الميلادي، بالتّحديد سنة: 711م، فبعد أن أتمّ العرب فتحها أصبحت معلمًا من معالم العُلوم والفُنون في شتّى المجالات، وبدأت البلاد الأوروبّية في إرسال البعثات العلمية إليها، رغبةً في نقل العُلوم والفُنون منها إلى أوروبا وكانت بداية هذه البعثات العلمية هي البعثة التي أرسلتها فرنسا بقيادة الأميرة "إليزابيث" ابنة خالة لويس السّادس ملك فرنسا،[2] وذهب البعض الآخر من المتخصّصين في دراسة علم الاستشراق إلى أنّ الاستشراق الفرنسيّ كانت بدايته في القرن العاشر، ويرى بعضهم إلى أنّ بدايته كانت في بداية القرن الحادي عشر الميلادي، ويرى آخرون أنّه بدأ في القرن الثّاني عشر الميلادي، حيث تمّت فيه أول ترجمةٍ للقرآن الكريم إلى اللاّتينية، وفيه تمّ تأليف أوّل قاموسٍ لاتينيٍ عربي، ويرى بعضهم أنّ الاستشراق الفرنسيّ كانت بدايته في القرن الثّالث عشر الميلادي وعلّلوا ذلك بأنّ هذا القرن صدر فيه قرارٌ بإنشاء عددٍ من الكراسي للّغة العربيّة في عددٍ من الجامعات الأوروبيّة، ومهما كان من خلافٍ بين الباحثين في تحديد الزّمن الذي بدأ فيه الاستشراق الفرنسي، إلاّ أنّهم متّفقون على أنّه قام على جهود رجال الدّين المسيحي[3].

تُعتبر أواخر القرن الثّامن عشر الميلادي بمثابة الانطلاقة الحقيقية للدّراسات الاستشراقية بفرنسا، ففيه تمّ إدراج مفهوم الاستشراق في قاموس الأكاديميّة الفرنسيّة عام:

---

[1] ينظر: أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص19.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص19.

[3] ينظر: إسماعيل علي محمّد، الاستشراق بين الحقيقة والتّضليل، الكلمة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط3، سنة 2000، ص15.

1838م، وفيه ترجم المستشرق الفرنسي سافاري (Claude Étienne Savary) القرآن الكريم سنة: 1783م والاهتمام بدراسة العلوم والفنون الشّرقية بدا واضحًا في الكتاب الشّهير المُعنون بوصف مصر والذي قام بتأليفه العلماء الذين رافقوا الحملة الفرنسيّة بقيادة نابليون على مصر ويُعتبر هذا الكتاب البوّابة الأولى للشّروع في حركة التّرجمة من اللّغة العربيّة إلى اللّغة الفرنسيّة.[1]

**ثانيا- خصائص المدرسة الاستشراقية الفرنسيّة:** للمدرسة الاستشراقية الفرنسيّة خصائص تتميّز بها عن غيرها من المدارس الاستشراقية الأخرى، فمن خصائصها أنّها قامت على أعتاق رجال الدّين المسيحي، فأوّل مستشرقٍ أوروبي كان فرنسيّ الجنسية، وهو الرّاهب جربرت دي أور يلياك، كان ذلك في القرن العاشر الميلادي، تعلّم العربيّة وبعض العُلوم التّقنية على يد علماء المسلمين في قرطبة، فسعى هو وتلاميذه من بعده على أن تصبح الدّراسات الاستشراقيّة العربيّة في مصافّ الدّراسات الأخرى التي تحظى بالاحترام والتّقدير في أوروبا كلّها، حيث بذل هو وتلامذته الوقت والجُهد والمال حتّى تحقّق لهم ما كان يبغون ولهم الفضل في نفوذ العلوم العربية إلى أوروبا، والذي شجّع رجال الدّين المسيحيّ على القيام بهذا الدّور هو رغبتهم في الانتصار للنّصرانيّة وكذلك تنصير المُسلمين الذين سقطت دولتهم في الأندلس، لذلك اتّجهوا للطّعن في الإسلام وتشويه محاسنه، وتحريف الحقائق التي جاء بها بغية إقناع جماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدّينية بأنّ الإسلام لا يستحقّ الانتشار.

من خصائص المدرسة الاستشراقية الفرنسيّة أنّها رغم توجّهها الدّيني لم تعتن بما يخص الإسلام والمسلمين والعرب دون غيرهم، بل وجّهت عنايتها إلى كلّ ما يخصّ الشّرق عامّة، سواء ما يتعلّق بالإسلام أو بغيره، فعنيت بكلّ العلوم والفنون التي تخصّ الشّرق وذلك دراسةً وتحقيقًا وتمحيصًا وترجمةً ونشرا، وهذا راجعٌ إلى بُغية تحقيق هدف الاستشراق الفرنسيّ وهو معرفة نقاط الضّعف من نقاط القوّة، بهذا يتسنّى لهم النّفوذ عن طريق نقاط

[1] ينظر: محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، ص27.

الضّعف، وكيفية ضرب نقاط القوّة، حيث أنّ هدف فرنسا هو استعمار بلاد العرب والمسلمين.

تُعدّ المدرسة الاستشراقيّة الفرنسية المرجع في دراسة كلّ ما يتعلّق بقبائل الطّوارق والبربر، والسّبب في ذلك هو تركّز مستعمرات فرنسا في أفريقيا وكان لهذه المدرسة الدّور الكبير في توجيه التّعليم في أفريقيا أيضا[1].

تمتاز المدرسة الاستشراقية الفرنسية عن مثيلاتها في أوروبا "بالتّخصّص"، حيث إنّ كلّ عالمٍ من علمائها يهتمّ بمجالٍ معيّنٍ من المجالات، ويقوم بصبّ كلّ جهده وما يمتلك من مقوّماتٍ في خدمة هذا الجانب المتخصّص فيه، ومن خصائصها كذلك المزج بين العمل الاستشراقي والعمل التّبشيري، فكما ذكرنا سابقًا أنّ المدرسة الاستشراقيّة الفرنسيّة كان غرضها الأول دينيًا بحتا، فمُعظم روادها الأوائل كانوا رجال دين، وارتباطها تاريخيًّا بتغيّر نظام الحكم في فرنسا وظهور القومية، والقضاء على الرّأسمالية، وكذلك محاولة التّخلُّص من مشكلات القومية، حيث لم يكن أمام المصلحين إلاّ سبيلٌ واحدٌ للتّخلّص من كلّ ما يؤرّق نظام الحياة في فرنسا، وهو بناء الدّراسات الاستشراقيّة ودعمها ومن ثَمّ توجيه أنظار العالم والفرنسيّين إلى جدوى الانفتاح على الآخر (الشّرق) في اتّجاهاتٍ مختلفةٍ ذات طابعٍ نفعيٍّ بحت، والأخذ بمفاتيح الحضارة والتّقدّم التي أخذ بها الشّرق.

**ثالثا- مدارس وكراسي اللّغات الشّرقية في فرنسا:** عمل المستشرقون الفرنسيّون على أن يكون للاستشراق مكانةٌ مرموقةٌ تصل إلى مصافّ العُلوم الأخرى في فرنسا منذ البداية، ومن ثَمّ قاموا بإنشاء كراسٍ له في بعض الجامعات والمعاهد وإنشاء مدارسَ ومعاهدَ تُعنى بدراسة كلّ ما يتعلّق بالشّرق، وهذه المدارس والمعاهد منها ما قام على أرض فرنسا، ومنها ما هو خارجها، فإنشاء "البابا هونوريوس الرّابع "(Papa Honorius Quartus) معهدًا لتعليم اللّغات الشّرقيّة سنة: 1285م، وفى سنة: 1312م قضى "البابا إكليمندس الخامس" ( Papa

[1] ينظر: محمّد فتح الله الزّيادي، الاستشراق الفرنسي أهدافه ووسائله، دار قتيبة، دمشق ط1، سنة 1998م، ص86.

Clemens Quintus) في مجمع فيينا بإنشاء كراسٍ للّغة العربيّة بجانب اللّغة العبريّة والكلدانيّة في عددٍ من عواصم البلاد الأوروبيّة، مثل باريس وروما، فقامت جامعة باريس بإنشاء كرسيٍ للّغة العربيّة، ومن ذلك معهد الآداب للّغة العربيّة والتّمدّن الإسلامي، التّابع لجامعة بوردو، وأنشأ الملك فرانسو الأول سنة: 1519م كرسيًا للّغة العربيّة والعبريّة، وأنشأ أيضًا سنة: 1530م معهد فرنسا كولج دي فرانس، وأعدّ فيه كرسيين لليونانية والعبريّة، وقام هنري الثّالث سنة: 1587م بإضافة كرسي اللّغة العربيّة إليهما، من هنا اعتبر بعض المُستشرقين أنّ القرن السّادس عشر هو الوقت أو الزّمن الذي رُسمت فيه ملامح الاستشراق الفرنسي[1].

تأسّست مدرستا ريمس (reims) وشارتر(chartres) لتدريس اللّغة العربيّة في باريس وكرسيًا للدّراسات الإسلامية في جامعة السّوربون، والتي ألحق بها معهد الدّراسات الإسلامية وفي سنة: 1795م أُنشِئت مؤسّسةٌ جديدةٌ هي مدرسة اللّغات الشّرقيّة، وكانت اللّغات التي تُدرّس بموجب الاتّفاقية الوطنية (المرسوم التّشريعي الصّادر في: مارس 1795م) هي العربيّة الفصحى والعامّية، والغرض من إنشائها هو تكوين مُترجمين باللّغات العربيّة والفارسيّة والتّركية، وسفراء قادرين على العمل في الإمبراطورية العُثمانيّة، واعتنت بعد ذلك ببقية اللّغات الحيّة التي تستعمل في السّياسة والتّجارة، واندمجت في عام: 1874م مع مدرسة اللّغات الشّابّة التي أسّسها كولبير (Colber) في عام: 1669م؛ لتدريب المترجمين[2] وتمّ إنشاء المدرسة الشّرقيّة بالقسطنطينية سنة: 1802م، وكانت مهمّة هذه المدرسة هي الاعتناء بتخريج رجال السّلك السّياسي، وكان مشرفوها من أشهر المُستشرقين وأبرزهم.

وإنشاء جامعة ليون سنة: 1808م، فكانت تدرّس فيها اللّغة العربيّة والآثار المصرية والتّمدّن الإسلامي إلى غير ذلك ممّا يتعلّق بالشّرق، والمدرسة العملية للدّراسات العليا

[1] ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص151.

[2] ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، دار البصائر، الجزائر، ج6، ط6، سنة2007م، ص33.

بباريس، تمّ إنشاؤها سنة: 1868م، بها قسم العلوم الدّينية، مختصٌّ بالدّراسات الإسلامية وأديان الجزيرة العربيّة، وفقه اللّغات الشّرقية[1].

ظهر تحوّلٌ واضحٌ في الاستشراق الفرنسي في القرن العشرين؛ حيث تجدّدت الموادّ المُتنوّعة والمُتخصّصة في الدّراسات الاستشراقية؛ كان هذا بعد السّماح بإنشاء المدرسة التّطبيقية للدّراسات العُليا في باريس، ذلك بسبب مقالٍ نشره إرنست رينان(Ernest Renan) في مجلّة "العالمَين" سنة: 1964م، قارن فيه الجامعات الألمانية التي أدّت حركةً فكريةً أغنى وأكثر مرونةً وأكثر تنوّعًا، بمثيلاتِها في فرنسا، وأعرب في مقاله هذا عن استيائه من الصّورة التي أصبح عليها التّعليم العالي في فرنسا، فقرّر وزير التّعليم العالي حينئذٍ إجراء مسحٍ مقارنٍ لمؤسّسات التّعليم العالي في ألمانيا وبلجيكا وفرنسا وإنجلترا وهولندا، ومن ثَمّ ظهرت لهم أوجه التّقصير عندهم فصدر قرارٌ بإنشاء المدرسة التّطبيقيّة للدّراسات العليا في باريس[2].

**رابعا– عقد المؤتمرات:** اتّخذ المُستشرقون الفرنسيّون كغيرهم من مستشرقي أوروبا المؤتمرات وسيلةً لطرح الأفكار وتبادل الآراء، كذلك للتّنسيق فيما بينهم، يلتقي في هذه المُؤتمرات المئات من المتخصّصين والباحثين والفنّانين فيقومون ببحث موضوعٍ أو أكثر متعلّق بالشّرق، وفي هذه المُؤتمرات يتمّ تقييم البحوث السّابقة، وتُفتح من خلالها منافذ جديدةٌ لأبحاث أخرى يحتاجها العمل الاستشراقي، فواظب المستشرقون الفرنسيّون على حضور هذه المؤتمرات، سواءٌ كانت مؤتمراتٍ خاصّةً بالمستشرقين الفرنسيّين، أو مؤتمراتٍ عامّةً لجميع المستشرقين على مستوى العالم الأوروبي.

تنقسم المؤتمرات الاستشراقية إلى مؤتمراتٍ دولية تضمّ مستشرقين من جميع أنحاء العالم ومؤتمراتٍ إقليمية تضمّ مستشرقي إقليمٍ موسّعٍ كالعالم الأوروبي أو الأمريكي ومؤتمرات

---

[1] ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص154.

[2] ينظر: جان لويس فابيلي، فرنسا وفلاسفتها في مائة عام: المفاهيم وحياتها الاجتماعية، تر: وجيه البعيني دار الفارابي، بيروت، لبنان، سنة2017، ص143.

محلّية خاصّةٍ بمستشرقي منطقةٍ معيّنةٍ أو دولةٍ بعينها، كان لها دورٌ كبيرٌ في خدمة الاستعمار، وتتراوح مدّة انعقاد هذه المؤتمرات ما بين فترة يومٍ أو عدّة أيام، واتّخذت المؤتمرات الاستشراقية صفاتٍ عدّة، منها ما ينعقد بسبب مناسبةٍ ما، ثمّ تتوقّف بمرور المناسبة التي انعقد المؤتمر من أجلها، أو وجود ظاهرةٍ إخباريةٍ مهمّة تخصّ الشّرق، أو رفع الرّوح المعنوية للمستشرقين.

يمتاز المستشرقون عامّةً بعدم البخل بالمعلومات التي يمتلكونها، بل يتبادلونها فيما بينهم؛ إذ إنّ هدفهم واحد، وكان للمستشرقين الفرنسيّين الدّور الأكبر في عقد المؤتمرات فأوّل من دعا لفكرة عقد المؤتمرات الدّولية للمستشرقين الأوروبيّين هو المستشرق الفرنسي ليون دو روزنى، (Léon de Rosny)، فعقد المؤتمر الاستشراقي الأوّل في العالم بباريس سنة: 1873م[1]، وما زال المستشرقون الفرنسيّون يفخرون بذلك، وبعد هذا المؤتمر توالت المؤتمرات متنقّلةً من عاصمةٍ إلى أخرى في أوروبا.

دعا المستشرقون الفرنسيّون إلى المؤتمر الإقليمي بلندن الذى انعقد سنة: 1874م فكان لهذا المؤتمر صدًى كبيرٌ في أوروبا كلّها، خاصّةً في فرنسا[2]، واعتمد الفرنسيّون في مؤتمراتهم المحلّية والإقليمية على نظام مؤسّسة الآثيني الشّرقية، مع الأخذ بنظام المؤتمرات العالمية، ومن المؤتمرات العالمية التي دعا إليها المستشرقون الفرنسيّون المؤتمر الرّابع عشر الذي عُقد في الجزائر سنة: 1905م، فيه تعرّض المستشرق الألماني كارل فولرس( Karl Vollers)، للقرآن الكريم واللّغة العربيّة بالنّقد والتّنقّص منهما[3]، ومن المؤتمرات التي عقدها الفرنسيّون المؤتمر الذي عقد سنة: 1973م بباريس، تقرّر في هذا المؤتمر تغيير اسم المؤتمرات من "مؤتمرات المستشرقين العالمية" إلى "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية حول

---

[1] المحسن بن علي بن صالح سويسي، مؤتمرات المستشرقين العالمية: نشأتها، تكوينها، أهدافها، ص44.

[2] المرجع نفسه، ص44.

[3] ينظر: أنور الجندي، الإسلام في وجه التّغريب: مخطّطات التّبشير والاستشراق، دار الاعتصام، القاهرة، سنة1977، ص382.

آسيا وشمال أفريقيا"[1]، وكان آخر مؤتمرٍ إقليميٍ للمستشرقين الفرنسيّين هو مؤتمر ليون سنة: 1878م[2]، ولا يعرف حتّى الآن سبب توقّف هذه المؤتمرات الاستشراقية الفرنسية المحلّية.

**خامسا- المجلاّت والدّوريات الخاصّة بالاستشراق الفرنسي:** كان لا بدّ من نشر الأعمال التي يقوم بها المستشرقون الفرنسيّون حتّى تُؤتى أكلها وحتّى يطّلع الفرنسيّون على أصالة الشّرق، ويعرفوا ما قدّمه الشّرقيّون للإنسانية من حضارةٍ وثقافة، وذلك يتطلّب إنشاء مجلاّتٍ ودورياتٍ خاصّةٍ تعتني بالاستشراق، فقام المستشرقون الفرنسيّون بإنشاء المجلاّت والدّوريات التي تعتني بنشر أعمالهم الاستشراقية، سواءٌ داخل فرنسا أو خارجها ومن أشهر ما قام المستشرقون الفرنسيّون بإنشائه في هذا المجال صحيفة العلماء سنة: 1665م، وكانت تصدر عن جمعية العلماء في باريس كلّ ثلاثة أشهر، كانت هذه الصّحيفة تُعطي العرب والإسلام أهمّيةً كبرى في الدّراسات، والمجلّة الآسيوية (Journal Asiatique) التي أسّست عام: 1822م، ولا تزال حتّى اليوم، وكان المؤسّس لها دوق أورليان(d'Orléans)[3]، وتعدّ هذه المجلّة من أهمّ المجلاّت التي تقوم بنشر الأعمال الاستشراقية الفرنسية، لذلك ذاع صيتها في أوروبا كلّها، فهذه المجلّة لا يقتصر دورها على النّشر والتّرجمة فحسب، بل تقوم بالإنفاق على طبع بعض الأعمال الاستشراقية.

وإنشاء المجلّة الأفريقية سنة: 1856م، وهي خارج فرنسا تصدرها الجمعية التّاريخيّة الجزائريّة بالجزائر، والمجلّة التّونسية، التي أسّست سنة: 1894م تصدر عن معهد قرطاجنّة بتونس، كلّ ثلاثة أشهرٍ يصدر عدد، ومجلّة الشّرق المسيحي، تمّ تأسيسها سنة: 1905م هي حوليةٌ تصدر بباريس، ومجلّة الدّراسات الإسلامية، أسّست سنة: 1927م تحت إشراف المستشرق لويس ماسينيون، ويصدر لها كلّ ثلاثة أشهرٍ عدد، قامت هذه المجلّة بسدّ الفراغ

---

[1] ينظر: المحسن بن علي بن صالح سويسي، مقدّمة مؤتمرات المستشرقين العالمية: نشأتها، تكوينها، أهادفها، ص45.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص46.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص34.

الذي أحدثه حجب مجلّة العالم الإسلامي، وحوليات الجغرافيا التي أنشئت سنة: 1951م وهي شهريةٌ تصدر بباريس.[1]

**سادسا- رواد الاستشراق الفرنسي.**

**1- سلفستر دي ساسي(Silvestre de Sacy)1758م/ 1838م.**

يعدّه العلماء شيخَ المستشرقين، ولد في:21 سبتمبر1758م، درس على بعض القساوسة منهم الأب بارتارو، ثمّ درس العربيّة والفارسيّة والتّركيّة، وتعلّم اللاّتينيّة واليونانيّة اهتمّ بنشر المخطوطات الشّرقية في مكتبة باريس الوطنية، وله العديد من البحوث حول الشّرق وآدابه وحقّق عددًا من المخطوطات[2]، قام دي ساسي بترجمة وتحقيق عددٍ من الكتب التّراثية إلى الفرنسية، ومن هذه الكتب: كتاب "حياة الحيوان الكبرى"، و"فريد الدّين العطّار" و"أحمد بن علي المقريزي"، و"مقامات الحريري"، و"حياة المتصوّفة"، و"كليلة ودمنة" و"الألفية"، نشرها بالعربيّة، وطُبعت في باريس سنة: 1834م، وفي القسطنطينيّة سنة: 1887م[3].

وهو أوّل من قام بنشر دراسةٍ حول "مقدّمة ابن خلدون" كان ذلك عام: 1806م ترجم منها فصلين، ونشرها لأوّل مرّة، كما أنّه قام بترجمة شعر أبي بصير والأعشى بن قيس وأوفاه حقَّه في الجمع والشّرح، وألفّ كتاب" شرح عقيدة الدّروز"، وكان ذلك سنة: 1838م وكتاب "قانون الملكية في مصر منذ الغزو العربي 1805،1818م" وكتاب" التّحفة السّنية في علم العربية"[4].

اهتمّ دي ساسي باللّغة العربيّة كثيرا، وذلك بعدما عرف أنّ الطّريق الأوحد والأسهل لفهم الكتب المقدّسة هو تعلّم اللّغة العربيّة، كما أنّها مفتاح معرفة كلّ ما يتعلّق بالشّرق، فقام بنشر مجموعةٍ مختاراتٍ أدبية، عنوانها: "كتاب الأنيس المفيد للطّالب المستفيد"، ونشر كتاب

---

[1] ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص160.

[2] علوي بن عبد القادر السّقاف، موسوعة الأديان، تمت الزيارة يوم 09/20/ 2020.

[3] ينظر: إدوارد سعيد، الاستشراق، ص146.

[4] ينظر: محمود المقداد، تاريخ الدّراسات العربية في فرنسا، ص194.

"مختاراتٌ نحويةٌ عربية"، وكتاب "الإفادة والاعتبار"، هو في وصف مصر لعبد اللطيف البغدادي[1].

شغل دي ساسي عدّة أعمالٍ مهمّةٍ في الاستشراق، فقد شغل منصب المستشرق المقيم في وزارة الخارجية الفرنسية سنة: 1805م، كما أنّه انتخب أستاذًا في الكوليج دي فرانس عام: 1806م، وعمل أستاذًا للّغة العربيّة في مدرسة اللّغات الشّرقيّة الحية، وهو أوّل معلّمٍ للغة العربيّة بها، ثمّ مديرًا لها عام: 1924م، كما تولّى شؤون المؤسّسات الفرنسيّة للدّراسات الشّرقية، كان ذلك عندما احتلّت فرنسا مصر والجزائر، وعندما أعيدت الملكية إلى فرنسا عُيّن في: 24 أكتوبر م1814 مراقبًا ملكيا، ثمّ عيّن في: 17 فبراير 1815م مديرًا لجمعية باريس، وفي أغسطس: 1815م عيّن عضوًا في لجنة التّعليم العامّ، ولمّا عادت جريدة العلماء Journal des savants إلى الصّدور في: 1816م كان في طليعة محرّريها[2].

**2- لويس ماسينيون(Louis massingon) 1962/1883م.**

يعدّ لويس ماسينيون من الرّواد البارزين في المدرسة الاستشراقية الفرنسية، ولد في باريس سنة: 1883، حصل على دبلوم اللّغة العربيّة من مدرسة اللّغات الشّرقيّة الحيّة (فصحى وعامية) كما حصل على دبلوم الدّراسات العليا في بحثٍ عن المغرب، خدم في الجيش الفرنسي خمس سنواتٍ خلال الحرب العالمية الأولى، كان له جهدٌ كبيرٌ في خدمة الاستشراق الفرنسي، ممّا ساعده على ذلك أنّه كان ناطقًا بعدّة لغاتٍ شرقيةٍ كاللّغة العربيّة والتّركيّة والفارسيّة، شغل منصبًا مهمًّا في الحكومة الفرنسية، وهو مستشارٌ لوزير المستعمرات فيما يخصّ الشّؤون الإفريقية، فهذا المنصب مكّنه من القيام بمهامّه بدرجةٍ فائقة[3]، كان مهتمًّا بالآثار القديمة عامّة، فشارك في عامي: 1907م و1908م في التّنقيب عنها بالعراق وانتهت المَهمّة باكتشاف قصر بنى لخم بالأخيضر، اشتهر ماسنيون بدراسته للتّصوّف

[1] ينظر: محمود المقداد، تاريخ الدّراسات العربية في فرنسا، ص195.

[2] ينظر: شنّوفي بارودي، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي القديم "ريجيس بلاشير أنموذجًا"، ص40.

[3] ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص287.

الإسلامي، فاهتمّ بالحلاّج وكان عنوان رسالته في الدّكتوراه "آلام الحلاّج شهيد التّصوّف الإسالمي" في جزأين، ونُشرت في كتابٍ تزيد صفحاته على ألف صفحة، كما حقّق ديوان الحلاّج "الطّواسين"، وله كتاب "التّصوّف في بلاد الإسلام" قام بنشره سنة: 1929م، وكتاب "فلسفة ابن سينا"، قام بنشره سنة: 1952م بالقاهرة، وكتاب "حال الإسلام اليوم"، قام بنشره سنة: 1929م بباريس، وله كتاباتٌ أخرى في غير التّصوّف، منها كتاب "جغرافية المغرب في الخمس عشرة سنةً الأولى من القرن16م، وكتاب " الكنيسة الكاثوليكية والإسلام".[1]

تولّى ماسينيون تحرير مجلّة الدّراسات الإسلامية، وإصداره "حوليات العالم الإسلامي" باللّغة الفرنسيّة حتّى عام: 1954م، وشارك في المؤتمرات الاستشراقية، منها المؤتمر الاستشراقي الفرنسي الرّابع عشر المنعقد بالجزائر سنة: 1905م[2].

**3- مكسيم رودنسون (M.Rodinson ) 1915م/ 2004م**

يُعتبر مكسيم رودنسون من رواد وأعلام المدرسة الاستشراقية الفرنسيّة، ولد في: 16جانفي 1915م، والده روسيٌ وأمّه بولندية، قام رودنسون بالتّقديم في مسابقة للدّخول إلى معهد اللّغات الشّرقيّة وهو في سنّ السّابعة عشر من عمره، وتمّ التحاقه بالمعهد المذكور بعد أن اجتاز الاختبارات الخاصّة بالمسابقة، حصل بعد ذلك على شهادة البكالوريا، وحصل على الدّكتوراه في الآداب، وشهادة من المدرسة الوطنية للّغات الشّرقيّة الحيّة والمدرسة العلميّة العليا، تولّى العديد من المناصب العلمية في المعاهد التّابعة للحكومة الفرنسيّة بسوريا ولبنان، وتولّى منصب مدير الدّراسات في المدرسة العلمية للدّراسات العليا قسم العلوم التّاريخيّة واللّغوية، ومحاضرًا فيها في قسم العلوم الاقتصادية والاجتماعية، يمتاز رودنسون بالتّدقيق والتّمحيص وسَعة العلم والمعرفة، من أعماله كتاب "جهود فرنسا الأثرية في الشّرق" وكتاب "محمّد وأصول الإسلام" نشره سنة: 1961م، وكتاب" إسرائيل والرّفض العربي وكتاب

[1] ينظر: شنّوفي بارودي، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي القديم، ريجيس بلاشير"أنموذجًا"، ص25.

[2] ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص287.

"الإسلام والرّأسمالية"[1]، وجاذبية الإسلام وإسرائيل والرّفض العربي ومحمّد، وله العديد من الدّراسات التّاريخيّة والتّاريخ الاقتصادي للعالم الإسلامي.

اهتمّ رودنسون بدراسة الشّرق دراسةً علميةً عامّة، فهو لم يتخصّص في دراسةٍ شخصيةٍ بعينها كما فعل لويس ماسينيون، الذي كان جلّ اهتمامه بشخصية الحلاّج وتحليلها وكانت دراسات رودنسون تختصّ في تحليل الشّرق ومعرفته كمجموعةٍ من الشّعوب والمجتمعات والثّقافات موجودة في التّاريخ وتعيش فيه، واعتمد في أعماله على المنهج المادّي الجدلي الذي هو في ذاته مستمدٌّ من الأصول الماركسية، وهو منهجٌ مطبّقٌ في حقّ الأيديولوجيّات وحاول تطبيقه في الدّيانات لفهم هذه الظّواهر، توفّي في: 23 ماي 2004م[2].

**4- شارل بيلا (Charles pellat) 1914م/ 1992م.**

ولد في: 28 سبتمبر سنة 1914 في مدينة سوق أهراس وعاش بها حتّى عام: 1924م، ثمّ انتقل إلى المغرب مع عائلته، واستقرّ هناك، أكمل تعليمه حتّى نال البكالوريا الجزء الأوّل سنة: 1931م، والجزء الثّاني في الرّياضيات سنة: 1932م، ذهب إلى فرنسا وحصل على ليسانس في اللّغة العربيّة من جامعة بوردو وحصل أيضًا على (الأجريجاسيوس) في اللّغة العربيّة، من معهد الدّراسات المغربية العليا بالمغرب وحصل على الدّكتوراه في الآداب من جامعة باريس سنة: 1950م[3].

اهتمّ في معظم مصنّفاته وكتاباته بالجاحظ، سواءٌ في كتبه أو الدّراسات التي نشرت في المجلاّت الاستشراقية، وكان عنوان رسالته لنيل شهادة الدّكتوراه الكبرى: "الوسط العلمي في

---

[1] ينظر: رزيقة يحياوي، الاستشراق الفرنسي وجهوده في دراسة ونشر التّراث الجزائري، رسالة ماجستير، إشراف: محمد حجازي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، تخصص تحقيق النصوص ونشرها، السنة الدّراسية: 2014/2013م، ص23.

[2] ينظر: بن سالم حمّيش، العرب والإسلام في مزايا الاستشراق، دار الشّروق، القاهرة، مصر، ط1، سنة2011م، ص150.

[3] ينظر: أندلوسي محمّد، التّرجمة الأدبية من العربية عند المستشرقين "المدرسة الفرنسية أنموذجًا"، رسالة ماجستير في الأدب العربي المعاصر في ضوء الاستشراق، إشراف: بن أعمر محمد، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، كلّية الآداب واللّغات الأجنبية، السّنة الجامعية: 2009/ 2010م، ص95.

البصرة وتنشئة الجاحظ"، ومن أهمّ مؤلّفاته: "الإمامة في مذهب الجاحظ ومذهب الخوارج" وكتاب "التّربيع والتّدوير"، كما أصدر كتبًا ودراساتٍ عن العالم العربي وعن اللّغة العربيّة وآدابها نذكر منها: اللّغة والأدب العربيّان، واللّغة العربيّة الحيّة، ومدخل إلى اللّغة العربيّة الحديثة وموسوعات في العالم العربي، وديوان ابن سهيل الأندلسي جمع وتعليق بالعربية[1].

يعدّ شارل بيلا من أبرز رواد المدرسة الاستشراقية الفرنسيّة، شغل عدّة وظائف تعليمية، منها وظيفة التّدريس بمرّاكش المغرب، وبعد فترةٍ رجع إلى باريس وقام بمهمّة التّدريس في ثانوية لويس الكبيرة بباريس، ودرّس في مدرسة اللّغات الشّرقية، التي كان لها دورٌ كبيرٌ في النّهوض بالاستشراق الفرنسي، وعمل أستاذًا في معهد الدّراسات الإسلامية بكلّية الآداب بجامعة باريس، وبعد ذلك صار مديرًا لهذا المعهد، وتمّ انتخابه عضوًا في أكاديمية النّقوش والآداب الجميلة، وظلّ في عمله الاستشراقي حتّى وفاته في: 28 أكتوبر 1992م[2].

**5- إيفارست ليفي بروفنسال (Lévi – ProvençalEvariste) 1894م/ 1955م.**

ايفارست ليفي بروفنسال مؤرّخٌ وكاتبٌ ومستشرقٌ فرنسيٌّ مختصٌّ في العلوم الإسلامية من أعلام المدرسة الاستشراقية الفرنسية، ولد في الجزائر سنة: 1894م، تعلّم بها حتّى نال اللّيسانس من كلّية الآداب سنة: 1913م، خدم في الجيش الفرنسي وشارك في حرب الدّردنيل، وأصيب فيها فتمّ نقله إلى مصر، وبعد أن تعافى عاد إلى فرنسا، كان كثير الاهتمام بالمخطوطات[3].

يعتبر زعيم البحث في الفكر الإسلامي في فرنسا، شغل عدّة وظائف، منها مدرّسًا في معهد العلوم العليا المغربية في الرّباط سنة: 1920 حتّى 1925م ثمّ عيّن مديرًا له من: 1926 إلى: 1935م، وفي أثناء ذلك انتدب سنة: 1928م لتدريس تاريخ العرب والحضارة

---

[1] أندلوسي محمّد، التّرجمة الأدبية من العربية عند المستشرقين "المدرسة الفرنسية أنموذجًا"، ص95.

[2] ينظر: عبد الرّحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، ص117.

[3] ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص275.

الإسلامية في كلّية الآداب بالجزائر، وعمل مدرّسًا لتاريخ العرب وكتاباتهم بمعهد الدّراسات الإسلامية في السّوربون، وقام وزير التّربية الفرنسية بإلحاقه بديوانه في باريس سنة: 1945م، ومن الوظائف التي شغلها أستاذًا للّغة العربيّة والحضارة الإسلامية في كلّية الآداب بباريس سنة: 1945م، وكان عضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق وكذلك المجمع اللّغوي بالقاهرة، وبجانب الوظائف التّدريسيّة والأعمال الحكومية التي شغلها تولّى إدارة المطبعة الفرنسية لدائرة المعارف الإسلامية، وأنشأ مجلّة أرابيكا للدّراسات العربيّة سنة: 1954م[1].

قدّم للاستشراق أعمالًا وخدماتٍ قيّمةً منها تعاونه مع محمّد بن أبي شنب، على تصنيف "المخطوطات العربية في خزانة الرّباط"، ونشره "كتابات عربية في إسبانيا"، و"وثائق غير منشورةٍ عن تاريخ الموحّدين"، و "نصٌّ جديدٌ للتّاريخ المريني"، و"الحضارة العربية في إسبانيا"، و"إسبانيا المسلمة في القرن العاشر"، ونظرًا لما قدّمه من خدماتٍ للاستشراق والوطن تمّت مكافأته بعدّة أوسمة، وكذلك عضوية جمعياتٍ عدّة، منها المجمع الإسباني والجمعية الملكية الأسيوية البريطانية[2].

**6- غوستاف لوبون (Gustave Le Bon) 1841م/ 1931م.**

غوستاف لوبون طبيبٌ ومستشرقٌ ومؤرّخٌ فرنسيّ، ولد بمنطقة النّورماندي في فرنسا وبالتّحديد في مقاطعة نوجون لوروترو في:7 ماي 1841م في عائلةٍ صغيرة، درس "غوستاف لوبون" مرحلة الثّانوية في مدينة تور، ثمّ دخل كلّية الطّبّ بباريس، حيث حصل على درجة دكتوراه، في عام: 1866م[3].

كان كتاب "الموت الظّاهر والدّفن المبكّر" أوّل أعماله، كتب في علم الآثار وعلم الأنثروبولوجيا وعُني بالحضارة الشّرقيّة وعكف على دراسات علم النّفس، كان للوبون دراساتٌ

---

[1] نجيب العقيقي، المستشرقون، ص275.

[2] المرجع نفسه، ص275.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص226.

عديدةٌ عن وفياتِ الرّضّع، وإدمان الكحول ودخان التّبغ، وعلاج الكوليرا، وغير ذلك، وكان متعاونًا مع دورياتٍ عديدةٍ من: 1862 إلى: 1869م، عمل في أوروبا وشمال أفريقيا وآسيا انتخب عضوًا في جمعية الطّبّ العملي واختير نائبًا لرئيسها في عام: 1879م، ثمّ رئيسًا لها في عام: 1880م، وتعلّم إلى جانب الطّبّ الكيمياء، والفيزياء والبصريّات[1].

يعدّ غوستاف لوبون موسوعةً ثقافية، فهو ذو اهتمامٍ متنوّع، وجهدٍ وفير، فقد تنوّعت أعماله، حيث كتب في مجال الطّبّ والحضارة والتّاريخ والآثار والمجتمع، وامتدّ تأثيره الفكري على السّياسيّين البارزين، مثل موسوليني(Benito Mussolini) وهتلر(Adolf Hitler) وغيرهما، ويتميّز في أبحاثه الاستشراقية بالعلم الخالص والاجتهاد المخلص للحقيقة العلمية ردّ في كتاباته عن العرب والمسلمين وحضارة الإسلام، وعلى كلّ من انتقص من شأنهم من المستشرقين[2].

من أشهر أعماله في الاستشراق كتاب "حضارة العرب" الذي أصدره 1884م، جمع فيه عناصر الحضارة العربيّة وتأثيرها في العالم، وبحث في أسباب عظمتها وانحطاطها وقدّمها للعالم تقديمَ المدين الذي يدين بالفضل للدّائن، وكتاب "الحضارة المصرية"، وكتاب "حضارة العرب في الأندلس"، ساعدته أسفاره إلى الشّرق على أن يكون عنده كمٌّ كبيرٌ من المعلومات المتعلّقة بالشّرق وشعوبه في جميع المجالات، حيث سافر إلى شمال إفريقيا، المغرب والجزائر وتونس من عام: 1882 إلى 1884م، وسافر إلى الشّرق الأوسط لبنان ومصر وفلسطين وسوريّة وتركيا والعراق وكذلك أصفهان وسمرقند، ويعدّ أحد أشهر فلاسفة الغرب الذين أنصفوا الأمّة العربية والحضارة الإسلامية، فلم يسِر على نهج مؤرّخي أوروبا الذين صار من تقاليدهم إنكار فضل الإسلام على العالم الغربي، وأقرّ أنّ المسلمين هم مَن مدَنوا أوروبا[3].

---

[1] نجيب العقيقي، المستشرقون، ص226.

[2] مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2000م، ص170.

[3] ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص226.

اهتمّ بالطّبّ النّفسي وأنتج فيه مجموعةً من الأبحاث المؤثّرة عن سلوك الجماعة والثّقافة الشّعبية، ووسائل التّأثير في الجموع، ممّا جعل من أبحاثه مرجعًا أساسيًّا في علم النّفس ولدى الباحثين في وسائل الإعلام في النّصف الأوّل من القرن العشرين، وتوفّي في باريس عن عمرٍ يناهز الـ90 سنةً في: 15ديسمبر 1931م[1].

وفي نهاية هذا المبحث نكون قد توصّلنا إلى الآتي:

– تعدّ المدرسة الاستشراقية الفرنسية من أهمّ المدارس الاستشراقية في العالم.

– اهتمّ الاستشراق الفرنسي بالشّرق وكلّ ما يتعلّق به في وقتٍ مبكّر، ويرجع ذلك إلى القرن الثّامن الميلادي.

– من أهمّ ما يميّز المدرسة الاستشراقية الفرنسية قيامها على كواهل وأعتاق رجال الدّين من القساوسة والرّهبان، ومزجها بين العمل الاستشراقي والعمل التّبشيري، وشمولية أعمالها وتنوّعها وتخصّص علمائها ورجالها في مجالات الأبحاث.

– اهتمّت المدرسة الاستشراقية بإصدار المجلاّت والدّوريات التي تُعنى بنشر أعمال المستشرقين.

– اعتنت المدرسة الاستشراقية الفرنسيّة بإنشاء كراسٍ ومدارسَ ومعاهدَ تقوم بتدريس كلّ ما يتعلّق بالشّرق.

– كان للمدرسة الفرنسية السّبق في عقد المؤتمرات الاستشراقية، سواءٌ المحلّية منها، أو الإقليمية، أو العالمية.

– تنوّع علماء وفلاسفة المدرسة الاستشراقية ما بين رجال دين، وعسكريّين، وأطباء وغير ذلك.

[1] نجيب العقيقي، المستشرقون، ص226.

# المبحث الثّالث:

## منهج أندريه ميكال في الدّراسات الاستشراقية.

كان للمستشرقين جهدٌ كبيرٌ في الاعتناء بتراث العرب والمسلمين، والحفاظ عليه، ويُعدّ مستشرقو المدرسة الفرنسية من أوائل المستشرقين الأوروبيّين الذين قاموا بهذا الدّور، سواءٌ من ناحية دراسته أو تحقيقه، أو ترجمته، أو نشره، ومن بين روّاد المدرسة الاستشراقية الفرنسية "أندريه ميكال"، الذي كان له دورٌ كبيرٌ في الاستشراق الفرنسي، اهتمامًا بالأدب العربي وروّاده، والجغرافيا والتّاريخ العربيّين.

ويُعدّ أندريه ميكال من أبرز الجيل الثّاني المتتلمذ على رعيلِ مُستشرقي النّصف الأوّل من القرن العشرين، هذا الجيل الذي ينتمي إليه ميكال اتّخذ طريقًا جديدًا لتحديث العمل الاستشراقي وصهره في العلوم الإنسانية، وتنوّع إنتاج ميكال الاستشراقي، ما بين دراسةٍ وتحقيقٍ وترجمةٍ ونشرٍ وغير ذلك، من ثَمّ أصبح له نتاجٌ علميٌ غزيرٌ في مجال الاستشراق كغيره من العلماء والأدباء والمفكّرين، له أساتذةٌ تتلمذ على أيديهم، وكان لهؤلاء الأساتذة تأثيرٌ كبيرٌ عليه، سواءٌ في الفكرة أو المنهج، أو غير ذلك، من أهمّ أساتذته الذين أثّروا فيه المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير، وكما أنّ له أساتذةً فله تلاميذ أيضا، سواءٌ من الفرنسيّين أو العرب، ومن أشهر تلاميذه العرب أحمد درويش، وفى هذا المبحث سنتعرّف على كلّ هذا وغيره ممّا يخصّ ميكال بنوعٍ من التّفصيل.[1]

**أولا- إنتاجه العلمي:** خلال عمل أندريه ميكال في التّدريس والتّعليم واصل عطاءه في مجال الاستشراق فتنوّع إنتاجه ما بين ترجمةٍ متخصّصةٍ إلى الفرنسية، أو إلقاءٍ للمحاضرات في جامعات الوطن العربي، و إشرافٍ على الرّسائل العلمية للطّلبة العرب الذين يدرسون في فرنسا، ألّف ما يقرب من ستّين عملا، وكتب حوالى مائتي مقالة، له دراساتٌ في الجغرافيّة والتّاريخ العربيّين، من ذلك كتاب "العالم والبلدان دراساتٌ في الجغرافيّة البشرية عند العرب"

[1] ينظر: معطي قبال، أندريه ميكال... هكذا كلّمني الشرق، تمت الزيارة يوم: 2021/09/19.
https://www.alaraby.co.uk/%D8%A3%D

و"موسوعة جغرافيّة دار الإسلام البشرية"، وأولى عنايةً بالأدب الحديث والمعاصر دراسةً وترجمةً وإشرافًا على البحوث العلمية.[1]

أهمّ أعماله الاستشراقية كتاب "الأدب العربي" صدر في سلسلةٍ واسعة الانتشار في فرنسا، ترجمه "رفيق بن ونّاس"، و"صالح حيزم" و "الطّيب البكّوش"، ونُشر في تونس، وهو عبارةٌ عن مسحٍ مختصرٍ للأدب العربي في عصور مختلفة، تحدّث في هذا الكتاب عن المشكلات الأربع التي يطرحها الأدب العربي، وهى مهامّ الكتابة والأدوار والأهداف المتعلّقة بكلٍّ من الشّعر والنّثر والعلاقات التي تربط الشّعر والنّثر باللّغة والأدب والمجتمع، ومكانة اللّغة مرورًا بالجماعة إلى الأمّة، ومن الأمّة إلى الدّور العالمي.

له كتاب "الصّحراء في معلّقة لبيد"، ترجمه للعربيّة إبراهيم النّجّار، نشرته حوليات الجامعة التّونسية، العدد الثّاني عشر، 1975م، تونس، وكتاب "الإسلام وحضارته" نُشر سنة: 1968م، تمّت ترجمته إلى عددٍ من اللّغات في أوروبا، قام بترجمة ديوان"المعبد الغريق" لبدر شاكر السّيّاب، وقام بترجمةٍ ودراسةٍ تحليليةٍ حول قصّة "عجيب وغريب"، هي إحدى قصص" ألف ليلةٍ وليلة" بالتّعاون مع الباحث الجزائري جمال الدّين بن شيخ، وصدرت هذه التّرجمة في سلسلةٍ فرنسيةٍ متخصّصةٍ لأعمال كبار الكتّاب، هي سلسةٌ "لابلياد" الصّادرة عن " غاليمار"، وترجم قصّة "ليلى والمجنون" و" كليلة ودمنة" إلى الفرنسية"،[2] إلى جانب عشرات الأبحاث والمقالات والدّراسات التي نشرها في المجلاّت والدّوريات المختلفة، والتي أورد أحمد درويش بعضها في كتابه الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، فهذا الكتاب حوى ستّة أبحاث لميكال، هي:

1- نظرةٌ شاملةٌ للأدب العربي.

2- الرّواية العربيّة المعاصرة.

3- لافونتين والتّرجمة العربيّة لحكايات بيدبا.

---

[1] ينظر: معطي قبال، أندريه ميكال... هكذا كلّمني الشرق، تمت الزيارة يوم: 2021/09/19.

[2] ينظر: المرجع نفسه، تمت الزيارة يوم: 2021/09/19.

4- إمبراطورية الإسلام وتجسيدها الشّعوري في الأدب الجغرافي.

5- ملاحظاتٌ على البناء الشّعرى عند إلياس أبو شبكة.

6- الفنّ الرّوائي عند نجيب محفوظ.

مرّ ميكال بأحداث صعبة جعلته مُرهف المشاعر، بحيث يكتب وهو حاضر الأحاسيس الإنسانية، هذا بخلاف الكثير من المُستشرقين الذين تخلّوا عن الأحاسيس والمشاعر في كتاباتهم، بحجّة الموضوعية العلمية، إلاّ أنّه اختلف عن مثل هؤلاء؛ إذ قدّم لجمهوره أعمالاً أدبيةً متعلّقةً بالحبّ والغرام، فدرس الشّعر الغزليّ العربيّ القديم خاصّةً شعر عنترة ومجنون ليلى، وقيس بن ذريح، وقدّم كتابًا بعنوان" الحبّ والعرب"، وهذا الكتاب عبارةٌ عن مجموعةٍ من الأشعار العربيّة وآدابها مُترجمةٌ إلى الفرنسيّة، وترجم أشعار مجنون ليلى وقدّم لها وعمل مقارنةً لشخصية مجنون ليلى بما يقابلها في الأدب الفرنسي، حتّى وصفه أحد الدّراسين الفرنسيّين فقال:" يمكن أن نجزم، ودون خشيةٍ أن نقع في الخطأ، أنّه لا يوجد اليومَ معرّبٌ في فرنسا، وفي العالمين تساوي أعماله البيبليوغرافيّة أعمال أندريه ميكال"[1].

نتيجةً لما قام به من خدماتٍ جليلةٍ للّغة العربيّة وآدابها كرّمته دولة الإمارات حيث أعلنت وكالة أنباء الإمارات الأحد: 21 أبريل 2019م، أنّ محمّد المرّ رئيس مجلس أمناء جائزة الشّيخ محمّد بن راشد للّغة العربيّة، قام بتكريم أندريه ميكال بجائزة الشّخصية المُتميّزة التي تُمنح لمن خدموا اللّغة العربيّة والثّقافة العربيّة بجهودٍ بارزةٍ ومؤثّرة، ولِتعذّر حضور أندريه للإمارات أقيم احتفالٌ بمقرّ السّفارة الإماراتية بفرنسا، حضر الاحتفال ميكال وابنته وعددٌ من أصدقائه والعديد من الشّخصيّات الثّقافية العربيّة المقيمة بباريس، وألقى ميكال كلمةً قصيرةً ذكر فيها قصّة تعلّقه باللّغة العربيّة وآدابها وتراثها الأدبي والفكري العريق، ثمّ توجّه بالشّكر لدولة الإمارات وجائزة الشّيخ محمّد بن راشد للّغة العربيّة على تكريمه.

[1] سليمة لوكام، رؤيةٌ استشراقيةٌ فرنسيةٌ للرّواية العربية "بين جاك بيرك وأندرية ميكال"، مجلّة: دراساتٌ استشراقية، العدد: 17، السّنة الخامسة، سنة 2019م، تمت الزيارة يوم 01/20/ 2021م.

https://m.iicss.iq/?id=85&sid=145

**ثانيا- منهج ميكال في دراسته الاستشراقية:** اشتغل ميكال في جميع فروع المعرفة العربيّة الإسلامية، فكان لذلك الأثر الواضح في توجيه رؤيته، واتّساع آفاق دراساته، فاهتمّ بالأدب العربي الحديث، وحاول أن يربط في دراسته للأدبَ العربيَّ بين الرّواية والشّرط التّاريخي والرّواية والحداثة، والرّواية والتّقاليد ويظهر ذلك جليًا عنده منذ أن كتب مقاله في مجلّة "نقد" سنة: 1965م، كان بعنوان: "الرّواية العربية المعاصرة" (Le roman arabe contemporain) وصرّح في إحدى كتاباته قائلا: "إنّ نجاحَ الرّواية وأهمّيتها بالنّسبة لمستقبل ثقافةٍ عربيّةٍ جديدةٍ يتوقّف على تلك العلاقة التي يتحدّد من خلالها نصيب الحداثة والتّقاليد فيها، لأنّ روايةً تامّةَ الحداثة لن تلقى إلّا نجاحًا محدودًا في منظور الأعراف العربيّة الأدبية"[1].

اشتغل ميكال على التّراث الأدبي القصصي خاصة في مسألة ظهور الرّواية ونجاحها في العالم العربي، وركّز في أعماله على بيان أهميّة علاقة العرب بالغرب في مسألة تشكّل "الإنتاج الأدبي الرّوائي" (production littéraire romanesque) والحيثيات التي أحاطت بذلك، وكانت الفكرة عنده هي الاستمرارية والاستمداد، أي عدم الفصل بين القديم والحديث وخاصّةً فيما يتّصل بفنون السّرد والرّواية ويؤكّد ذلك قائلا: "الرّواية العربيّة ليس أمامها خيار، إنّها لن تلعب رابحةً إلّا بمقدار ارتباطها بتقاليدَ ماضيةٍ أو حاضرة، أن تأخذ تراثًا قديمًا يتمثّل في الذّوق الحكائي، وتعيد تشكيله وفقًا لما يفرضه عليها العصر الحاضر"[2].

يرى ميكال أنّ الرّواية العربيّة نشأت مشدودة الأواصر بالماضي، لهذا قال متسائلاً: "ما الذي يُعدّ عربيًّا خالصًا في الرّواية العربيّة المعاصرة؟ هل نجده في لون من الوفاء للقيم الأساسية للكلمة، لذلك القديم الذي يذهب البعض إلى حدّ المطابقة بينه وبين الخلود؟"[3] وجزم أنّ الأدب الفرنسيّ كان له دوره في ظهور الرّواية العربيّة، وهنا أيضا يطرح سؤالاً

---

[1] أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص170.

[2] المرجع نفسه، ص171.

[3] المرجع نفسه، ص178.

ويجيب عليه إجابة المستيقن ممّا يقول: "هل كلّ ما هو أجنبيٌ مستبعدٌ في الرّواية؟ بالتأكيد لا".[1]

اتّسم منهج أندريه ميكال في تعامله مع الأدب العربيّ بنوعٍ من التّعالي المركزي الأوروبي الذي يقيم مسافةً بينه وبين هذا الشّرق الذي يدرسه، وهذا هو المنهج الذي تعامل به أغلبية المستشرقين مع تراثنا العربي، ويظهر ذلك جليًا في كتابه الاستشراق الفرنسي والأدب العربي في مبحث "الفنّ الرّوائي عند نجيب محفوظ"، تناول فيه عددًا من روايات محفوظ بالدّراسة والتّحليل، وبيّن الغاية التي يربو إليها من كتابه هذا في المقدّمة، فقال: "سوف تترك جانبًا كلّ ما يتّصل بالجوانب الاجتماعية، أو جانب الدّراسات الأسلوبيّة الخالصة، ولن يجد القارئ هنا اهتمامًا بالنّماذج البشريّة، أو الاختيارات السّياسية الكُبرى أو الفنّ النّثري، أو اللّغة المستخدمة، وإنّما هدفنا أن نحدّد ملامح إنتاج محفوظ في إطار المعنى المحدّد للفنّ الرّوائي...أن يضع نجيب محفوظ في مكانه من الإطار الواسع لتاريخ الرّواية العربيّة".[2]

ركّز ميكال تركيزًا كبيرًا في قراءته لروايات نجيب محفوظ، خاصّةً فيما يجعل منها نصوصًا فنيّةً على جانبٍ من الأصالة، حيث شكّلت عناصر الرّواية عند نجيب محفوظ وحدةً عضويةً رسمت ملامح الكلاسيكيّة الحديثة في الرّواية، وأظهر منهجيّته المتعالية عند المقارنة بين ما هو غربيٌ وما هو شرقي، فنجده يصف باريس بأنّها مدائن؛ ليسقط ذلك على مدينة القاهرة التي هي مدينة "نجيب محفوظ"، ونجده أيضا يطالب الرّوائيّ المصري بالاستجابة لذوق الزّائر الأجنبيّ، بالاقتناع بما يُعرف بشعريّة القبح، فمن حقّ الزّائر الأجنبيّ الذي لديه الاستعداد والجاذبيّة في أرضٍ غريبةٍ عليه، أن يجد الرّوعة في كلّ الأشياء.

أوّل ما ظهرت هذه النّزعة المُتعالية عند أندريه كانت في كتابه "الأدب العربي"، حيث جاء فيه قوله: " فإنّ الرّجوع إلى ثقافةٍ في غير البلاد العربية الإسلامية قد أمكن أن يحصل

---

[1] أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص177.

[2] المرجع نفسه، ص185.

كما هو الشّأن في إفريقيا السّوداء، أو أمريكا اللاّتينية عن طريق لغة المحتلّ السّابق، فليس هناك إذًا في مستوى التّعبير قطيعةٌ بين المعاصرة وهى تتحقّق عن طريق لغة تخاطبٍ عالميةٍ كبرى، وإعادة اكتشاف الذّات"[1]، ففي كلامه يرى أنّ استعمال العرب للغةٍ غير لغتهم الأصلية؛ جعلها لغة الخطاب اليومي بين النّاس لا يؤثّر إطلاقًا على تحقيق الذّات، وضرب لنا بالمثل بما حدث في إفريقيا وأمريكا اللاّتينية، فهو يريد أن يقول بطريقٍ خفيٍ: إنَّ اللّغة الفرنسيّة هي الأنسب لتحلّ محلّ اللّغة العربيّة في المخاطبات والمعاملات اليومية بين النّاس، بهذا تصبح اللّغة العربيّة تابعةً لا متبوعة.

يرى أنّ لغة المستعمر لغةٌ عالمية، وأمّا اللّغة المحلّية للعرب فهي لا قيمة لها ولا وزن بالنّسبة للّغة الفرنسيّة، هذه نظرةٌ تنطوي على فكرةٍ استعلائيةٍ فوقية، أو ما يسمّى بالنّزعة المركزية الأوروبيّة، هذا الأمر الذى يريده ميكال لا يقبله أيّ عربيٍ أصيلٍ محبٍّ للغته ويقول في نفس الكتاب: "وإنَّ إعادة الاكتشاف هذه تقتضى على العكس من ذلك بالنّسبة إلى العرب العودة إلى اللّغة العربيّة التي هي لها مرادفة... أعنى العربيّة الكلاسيكية، وهي عماد الثّقافة التّقليدية... لغة المبادلات العالمية قديما"[2].

يعدّ وصف أندريه اللّغة العربيّة بلغة المبادلات العالمية القديمة ازدراءً وإهانةً للّغة العربيّة، وتكون حجّته وحجّة السّائرين على نهجه أنّها عاجزةٌ عن التّعبير عن مستجدّات العصر، وتمثيل مبتكراته ومصطلحاته الحديثة لهذا نقول: إنّ كان صحيحًا ما تدّعون فكيف استُعملت اللّغة العربيّة في العصور القديمة ونجحت في دراساتٍ وأبحاثً علمية وأدبيّة وحقّقت نتائج يشهد لها القاصي والدّاني بما فيها الدّول الغربيّة.

عاش ميكال فترةً طويلةً في البلاد العربيّة، فكان له نوعٌ من الاحتكاك المباشر بالمثقّفين العرب والمفكّرين الإسلاميّين، ووعى عن قربٍ الإشكالات الحضارية وأدرك التّحدّيات التي تواجه المقوّماتِ الثّقافية في الشّرق؛ إذ إنّ الدّين يُسيطر على كلّ مناحي

---

[1] أندريه ميكال، الأدب العربي، تر: رفيق بن ونّاس، صالح حيزم، وطيب العشاش، ط1، تونس، سنة 1880م، ص106.

[2] أندريه ميكال، الأدب العربي، ص106.

الحياة فيه ويختلط التّراث بالحديث، كلّ ذلك جعله متحفّظًا في إصدار أحكامه، آخذًا حذره في قراءة المشهد الثقافيّ الأدبي، فعلى سبيل المثال فهو يرى أنّ الرّواية قد بلغت درجةً من النّضج التي تجعله يمنحها صفة الجنس الأدبي، ويميل إلى تأكيد أصالة الشّعر وسيادته في البيئة العربيّة التي خلق في رحمها، ونشأ في أحضانها، وبلغ أوجّه فيها، بخلاف الرّواية التي يكاد يصرّح بأنّ ما توفّر من ظروفٍ لم يكن كافيًا لظهورها، حيث إنّ المرحلة العربيّة الحديثة مرّت بأحداث سياسيّة وتحوّلاتٍ ثقافيةٍ وفكريّةٍ أعاقت تكوّن الرّواية الأدبيّة العربيّة، وصيّرتها نثرًا أدبيًّا أكثر من كونها رواية، وهنا ندرك نوعًا من التّعالي المركزي الأوروبي في طرحه لمسألة نشأة الرّواية العربيّة وتطوّرها كما ذكرنا من قبل.

يرى أنّ وجود الرّواية العربيّة تاريخيًا يرجع إلى الغرب، ذلك دون أيّ حديثٍ عن إرهاصتها الأولى وملامحها في التّراث العربي والإسلامي قبل هذا العصر، فنجده يقول :"إنّ تاريخ الرّواية حدث الأدب العربي المعاصر العظيم يجب أن يتدرّج في تطوّر العالم العربي العامّ، ومنذ عصر النّهضة إذ هو شدّ ما يعكس بأمانةٍ خطّ ذلك التّطوّر، فالرّواية هي هذا الظّهور المفاجئ للأدب، سواءٌ للّوحة التّاريخية أو لعالم الواقع، وخاصّةً الطّبقات الدّنيا بالمدن والأرياف"[1].

نجد ميكال يتجاهل الرّواياتِ التي قام هو بالاطّلاع عليها خلال دراسته الأدبَ العربيّ فلا يُعقل أن يكون أكاديميٌ مثله متخصّص في دراسة الأدب العربي لم يكن قد اطّلع مثلاً على قصّة حيّ بن يقضان لـ"ابن طفيل"، التي تُرجمت لعدّة لغات، وقصّة الكندي للجاحظ أو ما تضمّنه كتاب" البخلاء" للجاحظ من قصص كانت رائدةً في زمانه وبين معاصريه، وبذلك يكون الجاحظ قد سبق بوكاتشيو (Boccace)، وكشف العيوب والفساد الأخلاقيّ والفكريّ الاجتماعي الذي كان سائدًا في زمانه.

[1] أندريه ميكال، الأدب العربي، ص121.

اعتقد ميكال أنّ النّموذج الذي يجب أن يُحتذى به هو فرنسا، فنجيب محفوظ يجب أن يقلّد بروست، والقاهرة ينبغي أن تُصبح مثل باريس، وما فعله مع الأدب العربي الحديث فعل مثله مع الأدب العربي القديم، ففي كتابه" الأدب العربي" ركّز على دور غير العرب في المساهمة في إعطاء الأدب العربي تنويعًا في الإنتاج ودفعًا في وتيرة التّطوّر، وميزَة في التّعبير، وهي الإشارة الواضحة إلى تأثّر الأدب العربي بالرّافد الأجنبي والفارسي منه على وجه الخصوص فقلّل في هذا الكتاب من قيمة الإبداع العربي، حيث إنّه عاش في الصّحراء الجرداء القاحلة لذا كان في وجهة نظره عديم الخيال والابتكار[1]، هذا واضحٌ جدًّا من خلال إشادته كغيره من المستشرقين بالشّعراء والنّاثرين الأعاجم، كابن المقفّع في كليلة ودمنة، وأبي نوّاسٍ وبشّار بن برد في الشّعر، وتناسى ميكال كما تناسى غيره من المستشرقين أنّ البيئة العربيّة الصّحراويّة هي التي صقلت مواهب هؤلاء الأعاجم وشكّلت إبداعهم، وأنّ اللّغة العربيّة هي التي أتاحت لهم ولغيرهم أن يكون لهم أثرٌ في تاريخ الأدب.

نجد أنّ ميكال يقع كغيره من المُستشرقين في التّناقض في تناول الأدب العربي، من ذلك أنّنا إذا قارنّا ما ورد في كثيرٍ من دراسات "بيلا" مثلاً حول اللّغة والأدب العربي نجد إشادةً باللّغة العربيّة التي كان لها الفضل في أن تصبح اللّهجات القبليّة البدائية في مصافّ اللّغة الحضاريّة، التي تمثل أمّةً تتطلّع إلى استرجاع ماضيها ومجدها التّليد، ويمكننا أن نلخّص منهج ميكال في قراءته للرّواية العربيّة بوجهٍ خاصّ، وللثّقافة العربيّة بوجهٍ عامٍّ في النّقاط الآتية:

1- ممارسته نوعًا من الوصاية على الأدب العربي، حيث نجده يقول:" على الرّواية العربيّة أن تكون كذا...،على العرب أن يكونوا كذا".

2- عمل على البحث في مدى ارتباط الرّواية العربيّة بالتّراث السّردي العربي.

[1] أندريه ميكال، الأدب العربي، ص122.

3- رغبته في إثارة الشّكوك حول قدرة الأدب العربي، وعلى سبيل المثال تلميحه إلى عدم قدرة الثّقافة العربيّة تجاوز عجزها.

4- النّظرة الغربيّة الاستعلائية، لذلك كان يرى ضرورة ربط الثّقافة العربيّة بالثّقافة الغربيّة، ومن ثمّ تبعيّتها لها.

5- اتّكاؤه على مسألة الشّرط التّاريخي في نشوء الرّواية العربيّة، فميكال كان يعزف على وتر التّحوّلات التّاريخيّة التي نشأت في ظلّها الرّواية الغربيّة، والتي كادت بالنّسبة إلى نشأة الرواية العربيّة أن تغيب، وهذا هو السّر في تحديده للرّواية العربية بـ" الإنتاج الأدبي الرّوائي".

6- الأحادية في المصدر عند حديثه عن التّاريخ، وفي هذا العنصر سنحاول إطالة النّفَس بعض الشّيء في توضيحه، فاعتماد المستشرقين على أحادية المصدر في كتابة التّاريخ جعلهم يقدّمون قراءةً مغلوطةً عن الشّرق وأهله، فميكال مثلاً عندما يتكلّم عن الحملة الفرنسية على مصر ليس لديه إلاّ وثيقةٌ واحدة، وهى حوليات الجبرتي المتوفّى: 1825م وممّا قاله في ذلك: "فالعناية بدراسة مصر ووصف مصر هما وليدا ذلك التّاريخ" الحملة الفرنسية"، فإنّ مقاومةً يشدّ أزرها الإسلام، واندهاش أمام جهاز القوّة الغربيّة يمثّلان من الجانب العربي الحالة، وقد صوّرها بصورةٍ تامّةٍ كتاب الأخبار الكبير الجبرتي 1753م - 1825م"[1]، في الحقيقة كتاب الجبرتي لا يصلح أن يكون مصدرًا وحيدا؛ ذلك لأنّ الجبرتي كان منبهرًا بجانبٍ معيّنٍ من جوانب الحملة الفرنسية على مصر، ونسي أو تناسى، وغفل أو تغافل عن الجوانب السّلبية العديدة للحملة، وقد يكون السّبب في ذلك أنّ الجبرتي كان مصاحبًا لنابليون رفقة العلماء الآخرين، فكان يسجّل الأحداث تحت نظر ورؤية الفرنسيّين وبالطّبع لن يوافقوا على أن يكتب عن الجرائم التي ارتكبوها في حقّ مصر والمصريّين، هذا

[1] أندريه ميكال، الأدب العربي، ص100.

المنهج الذي اعتمده ميكال هو في الحقيقة منهج أغلبية المستشرقين، وبالطّبع منهم أستاذه بلاشير الذي كان له أعظم الأثر عليه.

يقول محمّد محمود شاكر: "وأخفى عنّا الجبرتي كلّ ما كان في سنة: 1210هـ 1795م، وبدأها بقوله: لم يقع فيها من الحوادث التي يعنى بتقليدها سوى مثل ما تقدّم من جور الأمراء والمظالم، ويقول بسطرّ واحدّ في غُرّة ذي الحجّة، ثمّ شرع بذكر الوفيات، ثمّ جمع بين السّنتين 1211هـ و1212هـ، 1796م و1798م معا، وقال أيضا: لم يقع فيها من الحوادث التي تقيد في بطون الطّروس سوى ما تقدّمت الإشارة إليه ...وهذا أمرق غريبٌ جدّا"[1].

يتّضح لنا أنّ اعتماد ميكال على أُحادية المصدر في دراسة التّاريخ، يُعدّ أمرًا مُخالفا للقواعد التي هي عماد دراسة التّاريخ؛ إذ لا بُدّ من التّحقّق من الحدث قبل تسجيله، ولا يتأتّى ذلك إلاّ بالرّجوع إلى عدّة مصادر مختلفة، وكذلك دراسة الحدث من جميع جوانبه، وعدم الاقتصار على جانبٍ واحدٍ منه.

نجد ميكال كغيره من المستشرقين متناقضًا في تناول الأدب العربي، لذلك نودّ الإشارة إلى أنّ ميكال من المستشرقين الفرنسيّين الذين انشقّوا عن منهج التّأثير والتّأثّر الذي تستخدمه المدرسة الاستشراقية الفرنسية، فكان هو ورينيه، وإتيمبل(René Étiemble) وغيرهم ممّن سلك طريقهم يأخذون على المدرسة الفرنسية انطواءها على النّزعة المركزية الأوروبية وعمل هو ومن معه في المدرسة الفرنسية المقارنة على وضع اتّجاهٍ مبتدع، هذا الوضع يرفض حصر البحث المقارن في دراسة العلاقات الخارجية للنّصوص الأدبية ويري أنّه يجب التّوجّه نحو العلاقات الدّاخلية لهذه النّصوص، يظهر هذا المنهج عنده بوضوحٍ في قوله: "ومع احترام المبدع الأوّل، لماذا لا يفكّر أخيرًا أنّ الموضوعاتِ العامّة في الأدب وفكر

[1] محمود محمّد شاكر، المتنبي رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا، مطبعة المدني، المؤسّسة السّعودية بمصر، القاهرة، سنة: 1987م، ص128.

النّاس تنتمى إلى العالم كلّه، وهي موجودةٌ في جميع الأزمنة والبلدان، وأنّ انتقالها هنا وهناك يسهم في إعطائها أشكالاً أصلية؟"[1].

لا يمكننا بحالٍ من الأحوال أن نغضّ الطّرف عن وجود الأنَفة عند أندريه من التّسليم بأنّ للأدب الفرنسيّ تأثيرًا على الأدب العربي، ففي كتابه: "مجنون ليلى وتريستان" يحاول أن يجعل قصّةَ مجنون ليلى تابعةً لقصّة تريستان الفرنسيّ، فنجده يقول مثلا: "هذا هو موقف مجنون ليلى أيضا"[2]، ويقول: "وهكذا نجد في قصّة المجنون مصيرًا مشابهًا لمصير تريستان"[3]، وهذا دأب معظم المستشرقين حتّي الذين حاولوا أن يتعاملوا مع التّراث العربي بموضوعية، فهي صفةٌ كامنةٌ في نفوسهم لا يستطيعون التّخلّي عنها، مهما بلغ حبّهم لهذا التّراث، ومهما وصلوا إليه من اكتشافاتٍ تؤكّد أصالته.

**ثالثا- تأثّر ميكال بأستاذه ريجيس بلاشيرة (Régis Blachère):** يُعتبر ميكال من أكثر المستشرقين في القرن العشرين إحاطةً بكلّ ما يخصّ الشّرق من آداب كما سبق أن ذكرنا وعلى الرّغم من تحرّر ميكال من القيود التي كانت عند المستشرقين، وهي قدسية القرآن وسلطة الدّراسات التي بُنيت عليها، حيث كان يرى أنّ القرآن الكريم رُغم أنّه مسبوقٌ بالأدب الجاهليّ يُعتبر له السّبق في الأدب العربي، ذلك راجعٌ إلى أهمّيته والنّتائج المُترتّبة عنه، إلاّ أنّه تأثّر في دراسته للأدب العربي بأستاذه بلاشير في كثيرٍ من الأحكام، التي كانت بمثابة قواعدَ ثابتة لكلّ من يدرس الأدب العربي.

ولد بلاشير في 30 جوان 1900 بضاحية مونروج بباريس، وارتحل رفقة أسرته إلى المغرب سنة 1915 حيث تلقى دروسه في مدرسة فرنسية بالدار البيضاء، تحصّل على الليسانس في جامعة الجزائر سنة 1922، واشتغل مدرّسا في مدرسة مولاي يوسف انطلاقا من سنة 1924 وفي معهد الدراسات العليا المغربيّة بالرباط منذ سنة 1929 بفضل ليفي

---

[1] أندريه ميكال، مجنون ليلى وتريستان، تر: غسان السّيّد، الأوائل للنّشر والتّوزيع، دمشق، ص31.

[2] المرجع نفسه، ص27.

[3] المرجع نفسه، ص38.

بروفنسال، تحصّل على درجة دكتوراه دولة في جامعة باريس عن رسالتين الأولى عن أبي الطيب المتنبّي والثانية ترجمة لكتاب "طبقات الأمم" لصاعد الأندلسي، فتمّ تعيينه أستاذا للغة العربيّة بالمدرسة الوطنيّة للغات الشرقية بباريس، شغل كرسيّ اللغة والأدب العربيّين في جامعة السوربون حتّى سنة 1970 وانتخب عضوا في أكاديميّة الآداب والفنون الجميلة سنة 1972.[1]

اهتمّ بلاشير بمسائل عدّة في الثقافة العربيّة الإسلاميّة وكتب فيها ولعلّ أهمّها الأدب العربي قديمه وحديثه وخاصة تراث أبي الطيب المتنبّي الذي حظي بنصيب وافر من كتاباته وأبحاثه، وكذلك تاريخ العلوم عند العرب، وله أيضا عدد من الدراسات الدينيّة لعلّ أهمّها ترجمته للقرآن وفق نزول السور والآيات في مرحلة أولى ثمّ وفق الترتيب الشائع للمصحف مع محاولات في التفسير مختصرة، هذا بالإضافة إلى مؤلّفه "معضلة محمّد" الذي جمع فيه بإيجاز مجمل أبحاث المستشرقين في السيرة النبويّة[2]، لم يسعفه الأجل في استكمال مشروع ضخم باشر التأليف فيه يتعلّق بـ"تاريخ الأدب العربي" فلم ينجز منه إلاّ ثلاثة أجزاء توقّفت عند حدود سنة 125 هـ، وكان المؤمّل إنجاز مسح يبلغ القرن التاسع للهجرة، توفي في 7 أوت 1973.[3]

نجد ميكال يجول في المجال العربي تاريخيًّا بنفس الشّكل الذي كان موجودًا عند أستاذه بلاشير، حيث يرى أنّ نشأة النّثر العربي القديم بدايته هي الحقبة العباسيّة، وإنّه لم يكن لافتًا للانتباه في المراحل السّابقة على هذه الحقبة، ويرى أنّ هناك مجموعةً من العوامل أدّت إلى ظهور النّثر العربي القديم، ومن أهمّها:

1- المدن التي فتحها المسلمون خارج الجزيرة العربية، كالأندلس وغيرها؛ إذ حدث هناك نوعٌ من التّداخل الثّقافي بين العرب الفاتحين وأصحاب هذه المدن المفتوحة الأصليّين.

---

[1] عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص127.

[2] المرجع نفسه، ص127.

[3] المرجع نفسه، ص127.

2- تشكيل النّظام الإداري الذي عماده الدّواوين، فهذا النّظام مُستقطِبٌ للكتاب، ومُنتجٌ للرّسائل وغير ذلك.

3- التّجارة التي قام بها العرب في هذه الحقبة إلى المناطق البعيدة، خاصّةً البلدان التي كانت لها تقاليد أدبيةٌ نثرية، كبلاد الفرس والرّوم.

4- ظهور الاكتشافات العظيمة في الحقبة العبّاسية، نتج عنها عددٌ كبيرٌ من المؤلفات في جميع أنواع العلوم والفنون.

نلاحظ أنّ ميكال هنا يُريد بصورةٍ خفيةٍ تجريدَ العرب من آدابهم، حيث يُلصقها بأهالي البلاد المفتوحة، وهذا ليس بصحيح، فإنّ العرب قد نقلوا آداب الإغريق والفرس واليونان، إلاّ أنّهم لم يكونوا مجرّد ناقلين لهذه الآداب فحسب، بل نقّحوا ما نقلوه، وشرحوه وزادوا عليه وهذا لا ينكره إلاّ جاحد، فالذي حمل ميكال على ذلك بجانب نظرته الاستعلائية هو تأثّره بأستاذه بلاشير في قراءة النّصّ الأدبيّ العربي؛ حيث إنَّ كلاهما كان يتناول النّصّ الأدبيّ العربيّ وفق قراءتين مختلفتين، الأولى منهما: قراءةٌ خارجيةٌ تعتمد الفيلولوجيا منهجا وتوسّع دائرة النّصّ حتّى تجعله مرادفًا للوثيقة التّاريخيّة الإخباريّة، والأخرى: قراءةٌ داخليةٌ تسعى للاقتراب من النّصّ متوسّلةً بأدوات البلاغة والنّغمية الفرنسية[1]، ولكنّ هذه القراءة انتهت إلى أحكامٍ انطباعيةٍ لا تتوصّل لإدراك سرّ النّصّ العربي، رغم نجاحها النّسبي في السّيطرة عليهما وصفًا وتضمينا، فقراءة بلاشير للظّواهر الأدبيّة بحكم المفاهيم التي انطلق منها والمنهج الذي سار عليه والنّتائج التي انتهى إليها، كانت تضعه على عتبات النّصوص دون النّفاذ إلى الجوهر الذي هو القيمة الجمالية التي تحرّك الأدب من الدّاخل.

يرى ميكال أنّ السّجع بوصفه نسقًا إيقاعيا، والبديع بوصفه زخرفا، استطاعا أن يبسطا سلطانهما على الكتابة العربية، وضرب الأمثلة في ذلك بما عند أبى بديع الزّمان في المقامات، وأبي العلاء المعرّى في رسالة الغفران، مع اعترافه بوجود التفاتٍ ملحوظٍ يمنح

[1] أندريه ميكال، مجنون ليلى وتريستان، ص38.

النّصّ القوّة في المعاني، والنّسق البنائي، فكانت نظرة ميكال للنّثر العربيّ نظرةً توضيحيةً أو تعليميّةً أو قصصية، وخبرته الكبيرة في مجال الأدب العربي أعانته على الوصول إلى هذه النّظرة؛ حيث جعلته يستطيع فهم جذور واتّجاهات وخصائص ثقافةٍ تختلف عن ثقافته الأمّ وهذا ما حمله على الالتزام بقدرٍ من الموضوعية في دراسته للظّاهرة الأدبيّة العربيّة.

لا يمكننا في هذا المبحث أن نغفل عن التّعريف بصديقه ورفيق دربه جمال الدّين بن الشّيخ الجزائري، ولد بن الشّيخ في الدّار البيضاء بالمغرب، في: 27 فيفري 1930م وأصله من الجزائر، وهو ناقدٌ أنكلوساكسوني، وكاتب فرانكفوني، درس في الثّانوية الفرنسيّة وتحصّل على شهادة التّبريز في الأدب الفرنسي، بعد إتمام الدّراسة بها ذهب إلى ليون لدراسة الطّبّ وبعد عامين توقّف عن دراسته للطّبّ، سافر إلى الجزائر العاصمة، فتابع الدّراسة في اللّغة العربيّة والقانون، انتقل بعد فترة إلى فرنسا سنة: 1956م، ومكث هناك حتّى سنة: 1962م وبعد استقلال الجزائر رجع إليها، وعمل في حقل التّدريس، كمساعدٍ في كلّية الآداب في الجزائر، ثمّ أصبح مدرّسًا في نفس الكلّية، عمل أيضًا في جامعة السّوربون مدرّسًا لمادّتي "الأدب العربي في القرون الوسطى"، و" الأدب المقارن".[1]

يرجع إليه الفضل في تأسيس الأدب المقارن بجامعة الجزائر، وتأسيس القسم العربي بجامعة سان دونيبباريس ودرّس في كوليج دو فرانس، له مؤلّفاتٌ حول الأدب العربي، كان من أهمّ أعماله نشر كتاب الشّعر الجزائري المكتوب بالفرنسيّة من سنة: 1945 إلى1965م ومختاراتٌ شعريةٌ جمعها بمساعدة زميله جاكلين ليفي (Jacqueline Lévi) من شعره "غدًا أتواجد، سكت الصّمت" تُعتبر هذه المختارات إحدى أهمّ المراجع الشّعرية في هذه الفترة[2].

شغل ابن الشّيخ عدّة مناصب في حقل التّدريس بفرنسا، منها باحثٌ مشاركٌ في المركز الوطني الفرنسيّ للبحث العلمي، وأستاذًا في جامعة باريس الثّامنة، وأستاذًا في جامعة باريس

[1] ينظر: سوهيلة خازن، الشّعرية العربية، بين أدونيس وجمال الدّين بن الشّيخ: دراسةٌ مقارنة، مذكّرة مقدّمةٌ لشهادة الماستر في الأدب العربي، إشراف أحمد بقّار، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلّية الآداب واللّغات، قسم اللّغة العربية والأدب العربي، تخصّص: النّقد الأدبي ومصطلحاته، السّنة الدراسية 2015م /2016م، ص8.

[2] المرجع نفسه، ص8.

سنة: 1997م، تعاون مع أندريه ميكال _ كما سبق أن ذكرنا _ في إصدار ترجمةٍ مهمّةٍ للجزء الأوّل من حكايات "ألف ليلةٍ وليلة"، صدرت الطّبعة الأولى منه عن دار "غاليمار" ضمن سلسلة " البلبيباد" الشّهيرة، مطلع عام: 2005م، في 1250صفحة، تُعدّ هذه التّرجمة من أبرز التّراجم التي عرفتها اللّغة الفرنسية للكتاب، بل والأكثر اكتمالا، هذا إذا ما قارنّاها بما صدر منذ التّرجمة الأولى التي أنجزها المستشرق الفرنسي أنطوان غالان (Antoine Galland) في القرن الثّامن عشر، استغرق العمل في هذه التّرجمة عدّة سنوات، وله كتاب "ألف حكايةٍ وحكاية: وضعه أيضًا بالتّعاون مع "أندريه ميكال"، صدر سنة: 1981م، وترجم لعددٍ من الشّعراء القدامى، مثل أبي محجن الثّقفي، وجرير، وحسّان بن ثابت وغيرهم، ومن أعماله الأدبية كذلك كتاب "عقلانية ابن خلدون"[1].

يرى ابن الشّيخ أنّ التّرجمة فاعلٌ أساسيٌ للحوار بين الشّرق والغرب، لذلك اهتمّ بترجمة الأعمال الأدبيّة إلى الفرنسيّة، فترجم مقاطع أساسيةً من مقدّمة ابن خلدون، وخَمريّات أبي نوّاس، وأشعار المتنبّي، وقصّة الإسراء والمعراج، اهتمّ من خلال عمله الأكاديميّ بتعريف طلاّبه الفرنسيّين والعرب بالأدب العربيّ ومكانته، وله عدّة مجموعاتٍ شعريةٍ من ذلك "الرّجل القصيدة" سنة: 1983م، و "الصّحاري، حيث كنت" سنة: 1994م، وله روايةٌ واحدة، وله كتابٌ في مجال السّياسة بعنوان: "كتاباتٌ سياسية"، صدر عام: 2001م، ابتدع ابن الشّيخ لنفسه منهجًا جديدًا وطريقةً في دراسة الشّعرية العربيّة، هذا المنهج يعتمد عنده على أساسين الأوّل منهما تجريب فعل الشّاعر وجعل عناصر إبداعه مشتغلة، والثّاني: تجديد المعرفة بإبداع الأنماط، فأوجد لنفسه في النّقد مصطلحاتٍ متفرّدةً استنبطها من النّقد الماركسيّ، منها الحركة الإنتاج المشروع[2].

---

[1] ينظر: عبد اللّطيف الوراري، جمال الدّين بن الشّيخ ونقد الاستشراق الأدبي، في ذكرى رحيله العاشرة، مجلّة القدس العربي، تمت الزيارة يوم: 2020/10/20.

https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF%D9%81%D9%8A

[2] المرجع نفسه، تمت الزيارة يوم: 2020/10/20.

نلاحظ تأثّر جمال بن الشّيخ بصديقة ميكال في نظرته الاستعلائية بالنّسبة للأدب العربي وأصحابه، فيقلّده فيما ذهب إليه بغير قصد، سبق أن ذكرنا أن ميكال يرفض بشدّةٍ أن يكون نجيب محفوظ في مصافّ أقرانه الفرنسيّين، فكذلك الأمر عند جمال بن الشّيخ فعندما قارن الكاتب الفرنسي إيتمبل بين أعمال إيميل زولا (Zola Émile) وأعمال نجيب محفوظ في المجالات السّياسية والاجتماعية والاقتصادية، حيث أنّ كلاً منهما كتب ثلاثية فإيميل زولا كتب ثلاثية أيّام الإمبراطور نابليون، وقال إيتمبل إنّهما ينتميان للطّبقة البورجوازية التي تؤمن بالتّغيير والتّطوّر الهادئ للمجتمع، وهو ما أبعدهما عن التّفكير في التّغيير القائم على الثّورة، هنا نجد أنّ جمال بن الشّيخ يرفض المساواة بين إيميل زولا الأديب الفرنسي، وبين نجيب محفوظ الأديب العربي، لأنّ نجيب في رأيه لم يقم إلاّ بتقديم صورةٍ مصغّرةٍ ومجتزأةٍ عن المجتمع المصري الذي كان يعيش فيه، وهو غاية ما يستطيع بورجوازي صغيرٍ مثله أن يقدّمه[1].

تطرّقنا للحديث عن أستاذه بلاشير وصديق دربه جمال الدّين بن الشّيخ لذلك لا يمكننا أن ننسى في هذا المبحث أهمّ طلاّب ميكال الذي كان له الدّور البارز في التّعريف بميكال وبترجمة بعض أعماله وهو الشّاعر والنّاقد المصري أحمد إبراهيم درويش، ولد في: 15 ماي 1943م، بمنيل السّلطان محافظة الجيزة، حصل على ليسانس اللّغة العربيّة وآدابها والدّراسات الإسلامية، بتقدير ممتازٍ مع مرتبة الشّرف الأولى، من كلّية دار العلوم، جامعة القاهرة عام: 1967م، كان الأوّل في دفعته، ونال ماجستير في الدّراسات البلاغيّة والنّقدية من جامعة القاهرة بتقدير ممتاز، عام: 1972م، ثمّ نال دكتوراه الدّولة في الآداب والعلوم الإنسانية تخصّص "نقد أدبي وأدب مقارن"، جامعة السّوربون باريس بفرنسا، عام: 1982م وتدرّج في وظيفة التّدريس بكلّية دار العلوم حتّي صار أستاذا، وعمل محاضرًا في معاهد علميةٍ عديدةً أخرى، مثل الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وكلّية الآداب بجامعة السّلطان قابوس

[1] ينظر: عبد اللّطيف الوراري، جمال الدّين بن الشّيخ ونقد الاستشراق الأدبي.

حصل على جائزة الدّولة التّقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثّقافة، عـام: 2008م من أبرز أعماله: الأدب المقارن ودراساتٌ نظريةٌ وتطبيقية[1].

صحب أحمدُ درويش أندريه ميكال من سنة: 1975م إلى سنة: 1982م، ترجم له عددًا من مؤلّفاته، منها "الفنّ الرّوائي عند نجيب محفوظ"، و" نظرةٌ شاملةٌ للأدب العربي" و "الرّواية العربية المعاصرة"[2]، وأهمّ مؤلّفات أحمد درويش كتاب "الأدب المقارن بين النّظريّة والتّطبيق"، وكتاب "النّقد التّطبيقي" صدر سنة: 2008م، و"عشرة مداخل لقرّاء الشّعر" صدر سنة: 2009م، و"خليل مطران شاعر الذّات والوجدان"، صدر سنة: 2001م، و"الاستشراق الفرنسي والأدب العربي" صدر سنة: 1997م، وتطوّر الأدب في عمان، صدر سنة: 1998م، و"متعة تذوّق الشّعر" صدر سنة: 1997م و" مدخلٌ إلى الدّراسات البلاغيّة" صدر عام: 1983م، و"جابر بن زيدٍ حياةٌ من أجل العلم"، عام: 1988م، و "مدخلٌ إلى دراسة الأدب في عُمان"، صدر عام: 1990م، وأكّد أحمد درويش في بحثه المنشور في التّقرير الأوّل لحالة الشّعر العربيّ عام: 2019م الصّادر عن أكاديميّة الشّعر العربي بجامعة الطّائف السّعودية، تحت عنوان: "حالة الشّعر العربيّ في مصر والسّودان في المشهد الثّقافي العالمي" أكّد أنّ الشّعر الدّرامي والملحمي أقرب إلى قابلية التّرجمة في الآداب العالمية من الشّعر الغنائي الذي يصعب ترجمة.[3]

---

[1] أحمد درويش، شاعر وناقد مصري، السيرة الذاتية، تمت الزيارة يوم: 2022/09/20م.
https://manhom.com/%D8%B4%D8%AE%D8%B5%D9%8A%D8%A7%D8%AA/%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%AF%D8%B1%D9%88%D9%8A%D8%B4-3

[2] ينظر: كامل سلمان الجبوري، معجم الشّعراء من العصر الجاهلي حتّى سنة: 2002م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، سنة 2003، ص74.

[3] أحمد درويش، شاعر وناقد مصري، السيرة الذاتية، تمت الزيارة يوم: 2022/09/20م.

# الفـصـل الثّـانـي:

## النّصّ النّثري عند أندريه ميكال.

### المبحث الأول:

إسهامات ميكال في دراسة النّثر العربي.

### المبحث الثّاني:

قراءة في كتاب الأدب العربي.

### المبحث الثّالث:

الخرافة عند أندريه ميكال.

# الـمـبـحث الأول:

## إسهامات ميكال في دراسة النّثر العربي

يعتبر أندريه ميكال واحدًا من المستشرقين الذين لهم باعٌ طويلٌ في دراسة الأدب العربي المعاصر، أولاه عنايةً شديدة، خاصّة النّثر منه، فكان مُدركًا للسّياقات التّاريخيّة والثّقافية للأدب العربي فاهتمامه بالتّراث الأدبي القصصي أدّى توجيه رؤيتِه في مسألة ظهور الرّواية ونجاحها في العالم العربي، ولسعة أفقه في دراسة الأدب العربي فإنّ معرفته لم تقتصر على فنٍّ معيّنٍ من فنون الأدب العربي، بل أحاطت بجميع فنونه، فكانت له دراساتٌ في الجغرافيّة والتّاريخ العربيّين أيضا.

حاول جاهدًا في دراسته الأدبَ العربيَّ الرّبط بين النّثر والجغرافيا والتّاريخ، حيث رأى أنّ الكتابة في مجال التّاريخ والرّحلة والاستكشاف والجغرافيا بل حتّى تلك التي تحتوي على قدرٍ من التّقنية، يندرج بشكلٍ أو بآخرَ تحت مسمّى: الأدب في النّثر العربي القديم، تحدّث أيضًا عن الأدوار والأهداف المتعلّقة بكلٍّ من الشّعر والنّثر والعلاقات التي تربط الشّعر والنّثر باللّغة والأدب والمجتمع، ومكانة اللّغة مرورًا بالجماعة إلى الأمّة، ومن الأمّة إلى الدّور العالمي، كان ينظر إلى النّثر العربي على أنّ وظيفته كانت توضيحيةً أو تعليميةً أو قصصية، ويُرجع فضل نشاط الكتابة الأدبية إلى الموالي العجم الذين تمكّنوا في عصر الدّولة العبّاسيّة من خدمة اللّغة العربيّة، ذلك بفضل الخبرة الأدبية الأعجميّة التي كانت لديهم[1].

اهتمّ ميكال بالتّرجمة والمقامة وبالتّأليف في الجغرافيا والتّاريخ الأدبي وبالأدب القصصي (كليلة ودمنة)، و(ألف ليلة وليلة)، كذلك روايات نجيب محفوظ، أعطى الأخيرة اهتمامًا بالغًا ومزيدًا من العناية، فأعلن عن حبّه لروايات نجيب محفوظ[2]، لهذا سنتناول في هذا المبحث دراسات ميكال الأدبيّة بنوعٍ من التّفصيل.

[1] معطي قبال، أندريه ميكال... هكذا كلّمني الشرق، تمت الزيارة يوم: 2021/09/19.

[2] المرجع نفسه، تمت الزيارة يوم: 2021/09/19.

**أولا- النّصّ النّثري العربي بين التّرجمة والتّأويل:** يرى ميكال أنّ العرب قبل الإسلام كان عندهم نظامٌ إيقاعيٌ تعبيري، هذا بطبعه سابقٌ على النّثر الأدبي في ظهوره، لهذا النّثر فواصلُ مسجَعة، لم يكن هذا الشّكل الجمالي شعرًا ولكنّه نثرٌ يتّصف باستعمال وحداتٍ إيقاعيةٍ قصيرةٍ إجمالا، تتجمّع هذه الوحدات الإيقاعيّة في صيغٍ ذات سجعةٍ مُماثلة، وأنّ البنية الحرفيّة للعربيّة هي من ساعدت على نشوء هذا النّثر وتوسّعه، يطلق عليه النّثر المسجوع أو سجع الكهّان[1].

ويرى أنّ النّصّ النّثري لم يأخذ قُدسيّته إلاّ من خلال القرآن الكريم، فالقرآن الكريم بعيدٌ كلّ البعد عن المحاكاة، هذا ما يعطيه من وجهة نظره قدسيّةً باعتباره معجزًا ومُتحدّيا[2]، متأثّرًا بأستاذه بلاشير فيما ذهب إليه بالنّسبة للنّصّ النّثري، فحدث للشّعر بفضل الانتصارات التي حقّقها الإسلام نوعٌ من التّضييق والانحصار، أمّا النّثر فحدث له عكس ذلك، فالنّثر اكتسب من جرّاء هذا الانتصار سعةً وامتدادا؛ ذلك لأنّ النّصّ الموحى منطوق به، يقدّمه بوصفه شكلاً يستحيل محاكاته وعلت مكانة النّثر العربي في الإسلام، خاصّةً في زمن العبّاسيّين فكان له دورٌ كبيرٌ في جميع المجالات، استُخرِجت من خلاله كنوزٌ أدبيةٌ جمّة، فهذه نظرته للنّثر، حيث قال: "لقد صُقل النّثر ورقّ داخل المختبرات المتمثّلة في دواوين الدّولة؛ فأخرج من بين الأنامل العاشقة التي كان أغلبها من أصلٍ فارسيٍ تلك الأشكال الفنّيّة الرّائعة، نقصد كتب: الأمثال والرّسائل والتّاريخ، والنّصوص العلمية والفلسفيّة والنّقدية، وكان النّثر في مقصده الأسمى والأبعد يصبو إلى بيانٍ أرست قواعده الإرادة الإلهية"[3]،

نجد بحثه (الرّواية العربية المعاصرة) يعبّر عن رؤيته للنّثر بأنّ هناك قيودًا وضعت حوله ليكون دائمًا مستخدمًا لصالح شيءٍ خارج الأدب، حيث استُخدم في العلوم الدّينية

---

[1] أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص57

[2] المرجع نفسه، ص57.

[3] أندريه ميكال، الأدب العربي، ص34.

كالفقه والتّفسير، والنّحو والمعجم، فهنا كان دوره تعليميا، واستخدم أيضًا في الدّواوين، ومع ذلك استخدم كأداةٍ للاتّصال.

كان النّصّ النّثري العربيّ ضمن اهتمامات ميكال فقام بترجمة العديد من الكتب العربية والقصص والمؤلّفات، منها كما سبق أن ذكرنا: ترجمة حكايات (كليلة ودمنة) مع التّعليق عليها، نشرت سنة: 1957م، والتّرجمة الجزئية لكتاب (أحسن التّقاسيم للمقدسي)، نشر بدمشق سنة: 1986م بعنوان: (جغرافيّة بلاد الإسلام)، وترجمة (قصّة غريب وعجيب) من قصص (ألف ليلةٍ وليلة)، نشرها سنة: 1976م، وترجمة ديوان (المعبد الغريق)، نشر سنة: 1976م[1].

سنقتصر في هذه الدّراسة على نماذج من ترجمته لحكايات كليلة ودمنة في كتابه المعنون: (نافورة بغداد، خرافات ابن المقفع) (La fontaine a bagdad: fables arabes d'Ibn al-Muqaffa) ، حيث قال في مقدّمة كتابه "في دمشق، بدأت بترجمة كتاب (كليلة ودمنة) لابن المقفّع إلى اللّغة الفرنسية، وقد أمضى أكثر من ستّين عامًا على ذلك وهو اقتراحٌ من أستاذي ريجيس بلاشير لترجمة واحدةٍ من روائع الأدب العربي والعالمي وهو كتاب كليلة ودمنة لمؤلّفه ابن المقفّع والذي يُعتبر واحدًا من أهمّ المؤلّفات الرّئيسيّة في النّثر الكلاسيكيّ العربيّ بالإضافة إلى أنّه واحدٌ من أعظم المغامرات الكبيرة في الأدب العالمي".[2]

**1- ترجمة حكاية الرّجل المقدّس، اللّصّ والشّيطان:** اعترف ميكال بإعادة صياغة حكايات ابن المقفّع على طريقة لافونتين فهو يقول: "معجبٌ بابن المقفّع ومفتونٌ بلافونتين"[3] ولكنّه يتساءل: هل التّغيّر الذي أجراه يعدّ خيانةً لابن المقفّع؟ لذلك يقول: "والسّؤال الذي يراودني: هل خنت ابن المقفّع عندما فرضت أو طبّقت على التّرجمة الأبيات والقافية ولم أبقها نثرا كما كانت في اللّغة العربيّة؟ لكنّه سيبقى دائمًا مع لافونتين الملهمان بالنّسبة إلي".[4]

---

[1] ينظر: حوريّة الخمليشي، ترجمة النّصّ العربي القديم وتأويله عند ريجيس بلاشير، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار رامان، الرّباط، ط1، سنة 2010م، ص168.

[2] André Miquel, La fontaine a bagdad : fables arabes d'Ibn al-Muqaffa, Orints Editions, 2015, p2.

[3] Ibid, p4.

[4] Ibid, p4.

ومن الحكايات التي اخترناها "حكاية الرّجل المقدّس، اللّصّ والشّيطان" كما جاءت في اللّغة الفرنسية على لسان ميكال.

**Le saint homme, le voleur et le démon**

Un saint homme venait de trouver en chemin
Une vache, une belle bête bonne à traire.
Il l'emmenait, suivi de près par un vaurien
Tout prêt à la voler. Un peu plus en arrière
Se tenait un démon sous une forme d'homme.
« Qui es-tu ? demanda le vaurien. - Un démon.
Ce dévot-là, je vais le suivre en sa maison
Et l'étrangler, quand il dormira d'un bon somme.
Mais toi, dis-moi un peu, qu'as-tu en tête ?
-A son logis, je veux le suivre aussi
Et trouver moyen de prendre sa bête, »
Là-dessus, tous deux vont de compagnie
Jusqu'à la maison du saint homme, au soir tombant.
Il entre avec la vache, et soupe, et puis s'endort.
Le vaurien pensait : « Voler ? Cela prend du temps,
Et je n'en aurai guère avant qu'il ne soit mort,
En criant, appelant au secours les voisins.»
Et de dire au démon : « Je t'en prie, laisse moi
Mener dehors la bête, et alors tu auras
Tout le loisir d'accomplir ton dessein.»
Mais le démon craignit, de son côté,
Le bruit que ferait la vache emmenée,
Le réveil du dévot, son désarroi
A lui, démon, de voir lui échapper sa proie.
Et de dire à son tour : « Laisse-moi en finir
Avec cet homme, et tu auras, toi, tout loisir
De tirer hors d'ici cette vache. » Et ainsi,
Se querellant, et chacun à son parti pris:
« Saint homme, disait l'un, il faut te réveiller !
Le démon ! Il veut t'égorger ! »
Et l'autre: Ouvre les yeux ! Ce vaurien-là s'appréte
Si tu dors, à voler ta bête ! »

Et tous deux à la fin, le quartier alarmé, Prirent la poudre d'escampette.
Rien ne vaut, pour être à l'abri, La discorde chez l'ennemi.[1]

أعدنا ترجمة حكاية الرّجل المقدّس، اللّصّ والشّيطان كما جاءت في اللّغة الفرنسية ولم نرجع إلى أصلها في العربية وذلك بسبب التّغيّر الذي أجراه ميكال على الحكاية، وقد اعترف ميكال بهذا التّغيّر كما ذكرنا سابقا.

**الرّجل المقدّس، اللّصّ والشّيطان**

كانَ رجلٌ زاهدٌ عابدٌ يملكُ بقرةً جميلةً حلُوب
يذهب بها صَباحًا للمرعَى وفي المَسَاء يعُود بها للمَنْزل
وعلى طُول طَريق العَودة تتبّعه لصٌّ متأهّبٌ لسرقته
وخلفه قليلاً شيطانٌ في هيئة رجل
قال اللّصّ للشّيطان من أنت وماذا تريد من هذا الرّجل؟
فقال: أنا الشّيطان وهذا الرّجل المتديّن سأتبعه إلى منزله
وأقتله خنقًا لمّا يغفو وينام
وأنت ماذا يدور في رأسك ؟
فأجاب: أنا أيضًا سأتبعه إلى المنزل
وأجد وسيلةً لكي آخذ البقرة
عند ذلك ذهبا معًا حتّى منزله
وفي المساء دخل الرّجل إلى البقرة ليحلبها ثمّ بعد ذلك غفى
قال اللّصّ: سرقة البقرة تأخذ وقتًا
ولن أستطيع فعل ذلك قبل أن يموت
فقال للشّيطان: لمّا أخرج أنا والبقرةَ قم أنت بتنفيذ مخطّطك
لكن الشّيطان خاف من جهته وقال:

[1] André Miquel, La fontaine a bagdad : fables arabes d'Ibn al-Muqaffa, p8.

الضّجيج الذي ستحدثه البقرة يوقظ الرّجل النّاسك

وسيرى بأنّك تهرب ببقرته

وقال بدوره: دعني أنهي عملي مع الرّجل أوّلاً

وسيكون لك كلّ الوقت لتخرج هذه البقرة بعد

ذلك لم يتّفقا وتشاجرا وقال الأوّل:

أيّها الرّجل يجب أن تنهض هذا الشّيطان يريد ذبحك

وقال الآخر: افتح عينيك هذا اللّصّ سيسرق بقرتك

فانتبه النّاسك وجيرانه بصوتهما فنجا منهما

ولم يقدرا على ما أرادا وهرب الخبيثان خائبين[1]

والحكمة من القصّة أنّ العاقل يرى معاداة بعض أعدائه بعضًا مكسبًا حسنًا واشتغال بعضهم ببعضٍ خلاصًا ونجاةً لنفسه منهم.

تمّ نشر ترجمة ميكال لكتاب نافورة بغداد، خرافات ابن المقفّع أوّل مرّةٍ سنة: 1957 ثمّ أعيد نشره سنة: 1980م في دار النّشر (Klincksieck) كلينكسيك، باريس، ثمّ إعادة إصدار جزئي مع إضافة رسوماتٍ للكتاب سنة: 2012م، من نفس دار النّشر كلينكسيك وهو اقتراحٌ من الكاتبة ازابيل سايس بوديس (Ysabel Sash Baudis) لإضافة رسوماتِ الفنّانة الجزائرية باية محي الدّين.

**ثانيا: المقامة العربيّة وتأثيرها في الأدب الفرنسي.**

قبل أن نعرض وجهة نظر ميكال حول المقامة في الأدب العربي نلقي الضّوء على معنى المقامة وتاريخها حتّى يتّضح المعنى وينجلي المقصود، فالمقامة عبارةٌ عن شبه قصّة قصيرة، يلازمها السّجع غالبا، مضمونها يكون عبارةً عن عظاتٍ ومُلحٍ ونوادر، ظهرت في

[1] André Miquel, La fontaine a bagdad : fables arabes d'Ibn al-Muqaffa, p8.

القرن الرّابع الهجري على يد بديع الزّمان الهمذاني، فالمقصد من ورائها تعليم اللّغة وأساليبها ثمّ تطوّرت حتّى شملت شتّى المعارف في كلّ عصر[1].

قامت المقامات في الأدب العربي ضمن ما قامت، على المحسنات البديعيّة والإغراق فيها والاستعانة بالألغاز والحرص على إبراز سعة المعجم اللّغوي، بخاصّةٍ ما يكثر في لغة العرب من غريب الألفاظ، وكان الأدباء يتبادرون فيها، قاصدين من وراء ذلك إظهار براعتهم الأدبية واللّغوية، وعماد المقامة الخيال وبطلٌ محوريٌ وراوٍ وشخصيّاتٍ وهمية، وأمّا حجمها فهو لا يتجاوز غالبًا حدّ الخبر القصير المُوجز، أمّا موضوعها فمختلفٌ حسب غرض الكاتب، فتارةً يكون موضوعها سياسيا، أو اجتماعيا، أو وعضيا، يدخل فيها السّخريّة والفكاهة أحيانا، تتضمّن المقامة آياتٍ قرآنية، وأحاديث، وحِكما، يعمدُ الكتاب إلى استعمال مفرداتٍ غريبة[2].

يمكننا القول بأنّ المقامة ببنيتها النّصّية وقدرتها السّردية تمثّل نوعًا أدبيًا رائعا، لم يمنع الباحثين من محاولة الخوض في تصنيفها، إلاّ أنّ ما يزيد في صعوبة هذا الأمر وتعقيده هو إدراجها في دائرة التّعدّد والمزيج، حيث أنّ بنيتها النّصّية مزيجٌ من الشّعر والنّثر، واهتمّت المقامة الحديثة بجوانب إحيائيةٍ وتجديدية، من ذلك: ربط المجتمع بأصالته والمساهمة في الإصلاح الاجتماعي والسّياسي، ومواكبة متطلّبات روح العصر، والاحتفاء بالماضي وإحياء اللّغة العربيّة وأساليبها[3].

يرى بعض المستشرقين بأنّ معنى كلمة "مقام ومقامة" يتّضح من خلال سياق الكلام قد تأتي كلمة مقامة بمعني خطبة وعظ، بمعنى خطبة كان يرتجلها الخطيب في حضرة مجلس الخليفة، تملك خصائص مميّزة، وظلت كلمة مقامة متداولةً لعدّة قرون، وظّفها علماء التّصوّف في خطبهم، فكان هناك ربطٌ بين كلمة مقام وخطبة وعظ في القرن التّاسع، أثارت

---

[1] شادي مجلي عيسى، فن المقامات في الأدب العربي " بديع الزمان الهمذاني نموذجا"، شبكة الألوان، ص5.
https://www.academia.edu/26805451/%D9%81%D9%86_

[2] المرجع نفسه، فن المقامات في الأدب العربي " بديع الزمان الهمذاني نموذجا"، ص6،7.

[3] المرجع نفسه، فن المقامات في الأدب العربي " بديع الزمان الهمذاني نموذجا"، ص6،7.

المقامة بجانب الحكاية والطّرائف الشّعبيّة اهتمام المستشرقين الفرنسيّين؛ ذلك لما تثيره من متعةٍ عند المتلقّين لها، وما تمتاز به من جمال الرّونق الأدبي، ومن هؤلاء بلاشير، وأندريه ميكال[1].

أخذت المقامة العربيّة طريقها إلى أوروبا، خاصّةً فرنسا وأثارت اهتمامهم، فتأثّر بها الأدب الأوروبي بطبيعة الحال، كما في قصّة "فرانسيين الحقيقي الهازل" للرّوائي الفرنسي تشارلز سوريل (Charles sorel)، نُشرت في باريس سنة: 1622م، كانت هذه أوّل قصّةٍ تجري على نسق المقامة في فرنسا على لسان فرانسيو، هجا فيها العادات والتّقاليد على لسان أشخاصٍ من المتسولين ومن على شاكلتهم، فكانت هذه القصة وأمثالها أصلًا لما سلكه الكاتب الفرنسي لوساج (Les age) في قصته: (جان بلا)، ظهرت طبعتها الكاملة في فرنسا عام 1747م، يهجو فيها المؤلف العادات والتّقاليد على لسان البطل الذي سُميت القصة باسمه[2].

أثّرت المقامات العربيّة في قصص (الشّطار البيكارسك)، هذا الأمر يؤكده عددٌ من الباحثين، مع أنّه لم يدرس دراسة منهجية قبل هذا الوقت، بل تأثر بها عدد كبير من عُمَدَةِ الاستشراق على اختلاف جنسياتهم، أمثال بروكلمان (Carl Brockelmann)، ومارجليوث وآدم ميتز (Adam Metz) وأرنست رينان (Ernest Renan)، كان الأخير من شدة إعجابه بها يفضّلها على مجموعة بلزاك الأدبية، تُرجمت كلمة المقامة إلى الإنجليزية بلفظة (assembly)، وإلى الفرنسية بلفظة (séance) بما يفيد أنّه يمكن قراءتها في جلسة واحدة[3].

يفتتح ميكال مقدمته للطّبعة الفرنسية الجديدة لكتاب المقامات لبديع الزمان الهمذاني (AL_HAMADANI LES SEAMCES MAQAMAT)التي قام بمراجعتها وترجمتها والتي صدرت مؤخرًا عن منشورات أورينت (Orient editions) بدعم من المكتبة الوطنية

[1] ينظر: حوريّة الخمليشي، ترجمة النّصّ العربي القديم وتأويله عند ريجيس بلاشير، ص135.

[2] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص211.

[3] ينظر: عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1988م، ص536.

الفرنسية "كان الشّعر هو المجال المفتوح أمام من يسعى إلى خوض عالم الإبداع في المشرق، في تلك الفترة من مطلع الألفية الأولى الميلادية، المتزامنة مع النّصف الثّاني من القرن الرّابع الهجري، أمّا في النّثر، فالحقل شاسعٌ لكنّه مليءٌ بالمؤلفات الواسعة والغزيرة فَإلى جانب المؤلفات المختصّة بالدّين، كان غيرها مختصًا بالتّاريخ العالمي أو المحلي والسّير والجغرافيا ومشكلات علم الكلام والنّحو والخطابة وغيرها، بما فيه الموسوعات التي غطّت مجالات الثّقافة كافة، ما جعل عسيرًا تجاوز أساليبها في التّعبير وابتكار سواها للتّواصل مع العالم من دون قيود التّقاليد الرّتيبة، ومن هنا يكون ابتكار المقامات في تلك الفترة، كنوعٍ أدبيّ جديدٍ يمثل إضافة أصيلة إلى الإبداع الأدبي العربي".[1]

نجدُ ميكال يصف المقامة بأنّها عبارةٌ عن نوع من الأدب المسجوع، ويَصِفُها في مشهد المغامرات العديدة لشخصٍ له القُدرة على الجمع بين شخصيّتين المُضحك والمُتسول، فلا بدّ في هذا الشّخص أن يكون خبيرًا جامعًا لأوجه الكلام فيقول "وعليه فقصدُنا هُنا حصر الموضوع حول بعض الآثار المُتميّزة تميزًا خاصًا بتغليبها السّجع بل بالاقتصار عليه، نعني بتفضيلها الصّنعة في مستوى الشّكل على مضمونها نفسه، وفي الجملة فإنّ هذا الأدب المسجوع ينحصر في فنّ المقامة وهيّ تصف في قالب مشهد المغامرات العديد لشخصٍ يجمع بين شخصيتي المضحك والمكدى وهو على كلّ حال بجميع وجوه الكلام البليغ خبير"[2] ويرى أنّ المقامة سواء كان أبطالها من الخاصة أو بيكارسيكية، فإنّها وجدت في الهمذاني المتوفى سنة 398هـ، وهو مُنشؤها الحق، وقد وِهَبَ خاصة الأدب العربي.

نجاح المقامة يكمن في قُدرتها على تصوير الأوساط الاجتماعية، وتركيبها المُنسجم وأسلوبها البديع، والالتجاء إلى التّشابيه الشّعرية، واستعمال الوحدات الموزونة، فهذا كلّه يعطي المقامة صورة مميزة، وطبيعة خاصّة، كما يرى ميكال أنّ المقامة وإن كان الهمذاني

---

[1] حسين الهنداوي، مقامات بديع الزمان الهمذاني (بالفرنسيَّة) مع رسوم الواسطي ومقدمة اندريه ميكال، موقع الصباح، تمت الزيارة يوم 2022/09/20.

https://alsabaah.iq/43189-.html

[2] حوريّة الخمليشي، ترجمة النّصّ العربي القديم وتأويله عند ريجيس بلاشير، ص150.

هو مُبدعها بلا منازع، إلاّ أنّها قد أشرقت إشراقةً أُخرى، وذاع صيتها على يد الحريري المتوفى سنة 1122م، وأنّها أصبحت على يده ذات قوّة أكثر من جهة اللّفظ، وإن كانت ضعيفة من جهة القصة ومحتواها، فهي إطار بيداغوجيٌ مناسب لعرض يقدمه الفلاسفة والنّحاة وغيرهم[1].

**ثالثا- أدب الرّحلات والجغرافيا العربية:** تُعتبر الرّحلات من أهمّ الفُنون الأدبية؛ ذلك لأنّها تحتوي على الكثير من المعلومات التي لا يستطيع الأدباء وغيرهم الاستغناء عنها، فالاطلاع عليها أمرٌ لازمٌ لكلّ من يريد كتابة أو دراسة إحدى الفترات التي كتبت فيها الرّحلات، فأدبُ الرّحلات العربيّة يمثل أكثر من جانب من الجوانب المهمّة في الحياة العربية والإسلامية سواءٌ في الجانب الدّيني، أو السّياسي، أو الأدبي، أو غير ذلك من الجوانب الأخرى، وهناك الكثير من الرّحالة العرب والمسلمين الذين برزوا في هذا المجال، منهم محمد بن موسي المُنجم المتوفى سنة 227هـ وسلام التّرجمان المتوفى سنة 842م، وسليمان التّاجر المتوفى سنة 237هـ[2].

قام الرّحالة العرب برحلات طويلة، وألّفوا الكتب التي حوت ما شاهدوه، وتُعتبر هذه الكتب وثائق مهمّة في تصوير الحياة في هذه الأزمنة، فالرّحلات تعتبر سجلٌ لمظاهر الحياة المختلفة على مرِّ العُصور، وهي تتطلب اتّساع المعارف وتنوّعها؛ لأنّها تستخدم الجغرافيا وتستند إلى التّاريخ عند التّعرض لوصف المسالك والمدن والمعالم وبدايات الأمور.

أدبُ الرّحلة يحفل بكثير من الأساطير والخرافات، وبعض المحسنات البلاغية، وجمال اللّفظ، إضافةً إلى ما تحقّقه من التّأثير الوجداني، ونقل الأحاسيس والعواطف التي يجدها الرّحالة في نفسه عند مشاهدة الآثار والصّور، ممّا يملأ النّفس متعةً وتأثيرًا، ويجعل للرّحلة سِمة أدبيةً بدلاً من أن تقف عند حدّ التّسجيل والتّدوين، وتعتبر الرّحلة نوعًا من القصّة وإن لم تتوافر فيها خصائص القصّة، يتخلّلها حوادث ومواقف تحمل الرّحالة على تسجيلها

[1] أندريه ميكال، الأدب العربي، ص83.

[2] حوريّة الخمليشي، ترجمة النّصّ العربي القديم وتأويله عند ريجيس بلاشير، ص151.

وصياغتها في أسلوب قصصيّ يعتمد على إثارة التّشويق في كثير من الأحيان، والرّحلة بمثابة سيرة ذاتية لصاحبها، فالرّحالة ليس همّهُ جمع الحقائق فحسب، بل إنّه يتأثر بما يراه ويشاهده ويسمعه.

عندما نطالع أعمال المستشرقين، وخاصّةً الفرنسيين منهم، نجد أنَّ لديهم اهتماماً بتاريخ العرب الجُغرافي في ظروف تاريخية معينة، فكان الهدف من وراء هذا الاهتمام هو التّعرف على التّصور العربي الجغرافي للعالم القديم، ومعرفة التّفكير الجغرافي والبيئة العربية، التي استهوتهم بكلّ ما فيها، فأضحى الاهتمام بالجغرافية العربية عند الفرنسيين جزءاً من الاهتمام بآداب الحضارة العربية والإسلامية.

ميكال واحدٌ من أهمّ المستشرقين الفرنسيين الذين اشتغلوا على الجغرافيا العربية والإسلامية، قام بترجمة بعض فصول كتاب (أحسنُ التّقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي وله بحث بعنوان (جغرافية دار الإسلام البشرية حتى مُنتصف القرن الحادي عشر)، قدّمه أطروحة لنيل درجة دكتوراه الدّولة، وكتاب (العالم والبلدان) دراسات في الجغرافية البشرية عند العرب، وله مقال بعنوان (وصفُ المغرب في جغرافية الأصطخري)، ومقال بعنوان (الصّحراء في الشّعر العربي الجاهلي، معلقة لبيد)، إذ يختلف منهجُه وعرضُه عن كثير من المستشرقين أمثال المُستشرق الرّوسي كراتشكوفسكي (Kratchkovski)، الذي كان هدفه إخراج كتاب يؤّرخ لفرع من فروع الأدب العربي، هو الجغرافيا، بينما كان هدف ميكال هو تحليل المادّة الجغرافية التي جمعها العرب، ثمّ صياغتها في صُورة مُتكاملة للعالم أجمع كما عرفوه آنذاك[1].

خلال دراسة ميكال لجغرافية العرب استطاع تحقيق عدّة اكتشافات هامّة، منها الشّغف لدى الجغرافيين العرب في حقبة غائبة، انكفأ العالم الإسلامي فيها على نفسه، حيثُ الرّكود في النّواحي كلّها، بسبب عدّة عوامل اجتمعت عليها، وإن لم تكن متفقة، فقام هؤلاء

[1] ينظر: معطي قبال، أندريه ميكال... هكذا كلّمني الشرق، تمت الزيارة يوم: 2021/09/19.

الجغرافيون بتسجيل كل ما أنتجته الحضارة الإسلامية، عدّه ميكال مكسبًا للعالم الإسلامي وحضارته؛ إذ إنّه يُساعد على انتعاشةٍ جديدةٍ للعالم الإسلامي وحضارته.

يرى ميكال أنّ هؤلاء الرّحالة عكسوا تصور الحضارة الإسلامية لعالمها وعوالم أخرى وما دفعهم للقيام بهذا الدّور هو خوفهم عليها من الضّياع، واستطاع هؤلاء الرّحالة من وجهة نظره أن يكشفوا قوّة وصمود هذه الحضارة العربية، فالجغرافية العربيّة عند ميكال جغرافية بشرية بمعني الكلمة ذلك لثلاثة أسباب الأول: أنّ البشر يحتلون مكانًا هامًا في جميع النّصوص المُعنية، حيثُ تنوّع الأوضاع والمواقف والأنشطة، بخلاف الجغرافيتين الطّبيعية والرّياضية اللّتين تكتفيان بصورة نمطية، والثّاني: لأنّ الإنسان هو مركز الكون فيها، حسب التّصور الإسلامي والثالث: لأنّها تجعل من البشر موضوعًا لها فمُدَونها إنسانٌ لا يتجرّد من شخصه أثناء التّدوين بل العكس، فمدونها يستحضر أحاسيسهُ وذوقه وفلسفته وقلقه[1].

يعتقد في كتابه الإسلام وحضارته أنّ أدب الرّحلات ولد في إسبانيا، حيث العلماء الذين قاموا بتدوين ذكرياتهم التي جمعوها أثناء رحلتهم إلى الحج وأشار إلى أنّ أبا حميد الغرناطي المولود في القرن الحادي عشر، وابن جبير المولود في القرن الثاني عشر، لهما السّبق في هذا المجال،[2] وذهب ميكال أنّ الجاحظ يُعدُّ مؤسسًا لعلم الجغرافيا أو رائدها[3] فنجده في كتابه (جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر) يرى أنّ الجغرافية عند العرب واحدة متكاملة، وموحّدة في جوهرها، ولا يمكن تجزئتها؛ إذ هي لا تفصل بين الإنسان وغيره من الكائنات، ولا بين الأرض والسّماء، ولا تختلف عن معالجتها المعدن ومعالجتها النّبات، أو معالجتها الإنسان عن معالجتها الكون.

---

[1] ينظر: أندريه ميكال، العالم والبلدان، دراسات في الجغرافية البشرية عند العرب، تر: محمد آيت حنا، مراجعة: كاظم جهاد، هيئة أبي ظبي للسياحة والثقافة، سنة 2016م، ص14، 16.

[2] ينظر: أندريه ميكال، الإسلام وحضارته، تر: زينب عبد العزيز، مراجعة: كمال الدين الحناوي، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت، لبنان، سنة1981م، ص431.

[3] ينظر: أندريه ميكال، العالم والبلدان، ص17.

يُرجع ميكال ظهور الجغرافيّة العربيّة إلى زمن العباسيين، فهذا العصر عصرُ الانفتاح بمعنى الكلمة على الآخر وثقافته، مع ذلك لا ينكر وجودها قبل زمن العباسيين، ويريد كما هو حاله دائمًا أن يرجع الفضل في ظهورها إلى التّراث الشّرقي الهندي والفارسي، والغربي اليوناني، مع ذلك فهو لا ينكر أنّ الدّور العربي بالنّسبة لكتب القدامى اليونانيين وغيرهم لم يكن دورًا نظريا فحسب، بل أعادوا صياغة الكثير من أفكار المعلمين القدامى، فالجغرافية ذلك الوقت تكوّنت من التّيارات الفكرية الكبرى التي ظهرت في عصر الأنوار العربي على حدّ قوله[1].

تميزت الجغرافية العربي بثلاث سمات، السّمة الأولي تأثرها بالقلق الحاصل في هذا الزّمن، والتّعبير عن هذا القلق، هذه السّمة جعلتها تتحول بسرعة إلى حقل تحريًّات ونمط أدبي حمل أسماء متعدّدة، والسّمة الثانية: أنّها عرضت مواقف في غمرة الجدل الكبير، الذي اكتنف ولادتها، وجعلت من الإنسان الجديد المسلم محورًا تنطلق منه حيث تناولت دور هذا الإنسان في العالم ومكانته، وأيضًا تناولها بعض الفصول عن الجغرافية الطبيعية، وإن كانت في أدني دراجاتها، والسّمة الثالثة: الجغرافية العربية تميزت بأنّها كُتبت جميعها باللّغة العربية حتى إنْ كان كاتبُها غير عربي، فالجميع يجمعهم رابطُ الإيمان الذي ينسيهم قومياتهم، فهو يرى ما يراه أستاذه بلاشير أنّه من الخطأ اعتقاد أن مختلف المؤثرات التي واكبت تكوين الجغرافية العربية أن تكون لعبت دورًا إفراديًا وتباعًا[2].

يتميز أدبُ الجغرافية العربية في كتابات ميكال بعدم اقتصاره على دراسة البلدان العربية والإسلامية فحسب، بل امتدّت لتنال دراسة بلدان غير إسلامية، وهذه الحال تجعلُها غير متقوقعة فهو يقول: "تُعتبر جغرافية العالم الإسلامي البشرية أيضًا جغرافية علاقات هذا العالم بجيرانه، وجغرافية تصوّره الشّعوب الشّديدة البُعد عنه، وحتى تصوره الأرض

---

[1] ينظر: أندريه ميكال، جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر، تر: إبراهيم خورى، إشبيلية للدراسات ولنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ص10.

[2] أندريه ميكال، جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر، ص12.

بأجمعها"[1]. ويقول في موضع آخر: "لقد انساق أدب الرّحلات مبكرًا إلى التّعبير عن أمجاد العلم والدّين الإسلامي في شتّي البلدان التي امتدَّ إليها، سواء كانت شرقية أم لا"[2].

يثمن ميكال فضل ابن خلدون وجُهده الكبير في تدوين الجغرافية العربية، حيث يقول: "وهذا الجُهد الضّخم الذي بذله ليستخلص من مثل هذه النّماذج القوانين العامّة لمستقبل البشرية، تسمح له بالتّربع على رأس كل المدارس الفكرية، بما في ذلك المدرسة الماركسية كما تمنحه ألقاب عالم الاجتماع، ورجل الاقتصاد، وفيلسوف التّاريخ، وسيّدُ علمِ نفس الشّعوب الذي يستحقها عن جدارة"[3].

نظر ميكال إلى الجغرافية التي دوّنها ابن خلدون على أنّها ذات طابع عالمي، حيث أنّه لم يقتصر في تاريخه على تدوين جغرافية العالم الإسلامي فحسب، بل تعدّاه إلى خارجه فابن خلدون من وجهة نظره كان ينعى جغرافية العالم الإسلامي، وكان متشائمًا وبعمق، ذلك أنّه كان يطيل النّظر والتّأمل فيما أنجزه النّاس في الماضي، وبالطّبع كان ينظر إلى الواقع الذي يعيشه العالم الإسلامي في عصره، فالجغرافية تشهد على الوقائع.[4]

**رابعا– الرّواية العربيّة المُعاصرة:** الرّواية عبارة عن نصٌ نثريّ تخيلي سرديّ واقعي، غالبًا ما يدور حول شخصيات مُتورطة في حدث مهمّ، وتمثل القصّة التّجربة والحياة، وتتفاعل الرّواية وتتحقق وظائفها من خلال ما يُسمى بالشّخصية الرّوائية، وتُعتبر الرّواية أكثر الفُنون تحقيقًا لشروط الأمانة وإيفاء بمتطلبات الشّغف البشرى، فالرّواية تمثل نوعًا من الذّاكرة الجماعية المُميزة لكلّ جغرافية بشرية، وهي معلم حضاري وثقافي يؤدي إلى نهضة العقول في مختلف المعارف، وتُثمل أداة من أدوات العولمة الثقافية العالمية[5].

---

[1] أندريه ميكال، جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر، ص12.

[2] ينظر: أندريه ميكال، الإسلام وحضارته، ص431.

[3] المرجع نفسه، ص433.

[4] ينظر: أندريه مكيال، جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر، ص14،13.

[5] ينظر: لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2002م، ص37

يقول أبيرس (Albérès R. M ) "أصبحت الرّواية في مُنتصف القرن العشرين أوسع أزياء التّعبير انتشارًا، وبينما كانت في الماضي وسيلة للتّسلية وإشباعًا للمُخيلة أو العاطفة"[1] لا أتّفق مع هذا الباحث في رؤيته للرّواية العربيّة فالرّواية العربيّة كانت قديمًا لها أهدافها وغاياتها كما هي الآن، كانت تعالج قضايا سياسية واجتماعية وغير ذلك، علمًا أنّ هذا الرأي يمثل أراء أغلب المستشرقين.

اهتمام ميكال بالأدب العربي القديم والمُعاصر، فبالنّسبة لاهتمامه بالقديم منه؛ أعاد ترجمة (ألف ليلة وليلة)، و(كليلة ودمنة) إلى الفرنسية، ودرس الشّعر الغزلي العربي القديم خاصةً شعر عنترة، ومجنون ليلى، وقيس بن ذريح، إلى جانب اهتمامه بالأدب العربي القديم أولى عنايةً بالأدب الحديث والمعاصر دراسةً وترجمةً وإشرافاً على البحوث العلمية، حيث أشرف على رسالة الدّكتوراه للدّكتور عبد المالك مرتاض عام 1983، في جامعة السّوربون بباريس حول موضوع (أجناس النثر الأدبي في الجزائر)[2]، تحدّث عن القصة في الأدب العربي المُعاصر.

أرجع ميكال وجود الرواية العربية المعاصرة تاريخيًا إلى الأدب الغربي دون أن يذكر ملامح وجودها في الأدب العربي القديم والإسلامي قبل عصر النّهضة، فهذا نص كلامه "إنّ تاريخ الرّواية حدث الأدب العربي المعاصر العظيم يجب أن يتدرّج في تطور العالم العربي العام ومنذُ عصر النّهضة إذ هو شدُّ ما يعكس بأمانة خط ذلك التّطور، فالرّواية هي ذلك الظّهور المفاجئ في الأدب، سواء للوحة التّاريخية أو لعالم الواقع، وخاصّة الطّبقات الدّنيا في المدن والأرياف"[3].

نلاحظ في كلامه أمرين أولهما أنّه يريد منّا أن نسلّم بكل ما أنتجه الأدب الغربي من قصص ونحتذي به، وثانيهما أن نغض الطّرف عن تراثنا الأدبي ومدى تأثيره في الأدب

---

[1] ر–م– ألبيريس، تاريخ الرواية الحديثة، تر: جورج سالم، منشورات عويدات، باريس، ط2، سنة 1982، ص5.

[2] مقابلة مع الدكتور عبد المالك مرتاض تم تحريرها يوم 2018/02/18.

[3] أندريه ميكال، الأدب العربي، ص121.

الغربي، وكأنَّه لم يدرس أدبنا العربي، ولم يُطلّ على ما حواه من كنوز قصصية قام هو بدراسة وترجمة البعض منها، ومن العجيب أنّ نجد بعض الأدباء العرب يقلدونه ـ فيما ذهب إليه هو وغيره من المستشرقين أمثال محمد غنيمي هلال، الذي قال: "لم يكن للقصّة قبل العصر الحديث عندنا شأنٌ يُذكر، بل لها مفهوم خاصٌ لم ينهض بها، ولم يجعلها ذات رسالة اجتماعية إنسانية، ولا بُدّ أنّه كانت للعرب حكايات يتلهون بها ويسْمرُون"[1].

كتب ميكال عدّة بحوث حول الرّواية العربيّة، واخترنا هنا ثلاثة دراسات وأبحاث لميكال لنقدّمها وندرُسها بنوع من التّفصيل، أولاهما عن "تقنية الرّواية عند نجيب محفوظ"، والثّانية "الرّواية العربية المعاصرة" والثالثة "الفن الرّوائي عند نجيب محفوظ".

**1- تقنية الرّواية عند نجيب محفوظ:** مقال ترجمهُ للعربية فهد عكّام في مجلة المعرفة حاول فيه أن يوضح سمات النّتاج الفني لنجيب محفوظ، من حيث تقنية الرّواية بالمعنى الدّقيق فنجده يقول "إنّ مقصدنا توضيح سمات النّتاج الفنّي لنجيب محفوظ من حيث تقنية الرّواية بالمعنى الدّقيق"[2]، يرى فيه أنّ نجيب محفوظ هو من فجَّرَ الإطار الحديث للّغة النّثر العربيّة، لأنّه أضفى من خلال لغة النّص صفة العمومية ممّا أكسبه صفة تجريدية، وجعلت نسيج وصفه مختلفًا اختلافًا كبيرًا عن غيره من العرب والأوروبيين فيقول "ومُنذ الآن، إنّ هذا الوعي القومي الذي قام بأعبائه الكاتب العبقري نجيب محفوظ يؤكد لنتاجه أصالة تصميمية في نطاق الأدب العربي، حتى في نطاق الرّواية العالمية"[3] ممّا جعل الأوربيين يعنون اهتمامًا كبيرًا بنجيب محفوظ وأعماله الأدبية.

حصل نجيب محفوظ سنة 1988م على جائزة نوبل للآداب، فكان حُصوله على هذه الجائزة سببًا في أن تقوم دار سندباد، ولاتيس، وغيرهما إلى ترجمة روايات مختلفة له، ذلك لمعرفة العوالم الرّوائية الفريدة التي صنعها، ولم تكتفِ دور النّشر هذه بذلك، بل قامت

---

[1] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، القاهرة ، ط3 ص531.

[2] أندريه ميكال، تقنية الراوية عند نجيب محفوظ، تر: فهد عكام، مجلة المعرفة، العدد111، ص89.

[3] أندريه ميكال، تقنية الراوية عند نجيب محفوظ، ص112.

بإعادة ترجمة الرّوايات التي عنيت بها الأكاديمية السّويدية، واعتمدتها للتّقدم للجائزة، وهي: ثرثرة فوق النيل، باعتبارها نموذجًا للقصّة القصيرة المعبرة، وزقاق المدق، واللّص والكلاب وأولاد حارتنا، وهي رواية اتّخذت الإنسان الخالد موضوعًا لها[1].

**2- الرّواية العربيّة المعاصرة:** مقال نشره في مجلة (نقد الفرنسية سنة 1965م)، وترجمه أحمد درويش في كتاب الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، اعتبر فيه أنّ الرّواية العربية المعاصرة ساهمت في خدمة الثّقافة العربية والنّهوض بالمجتمع، ذلك من خلال جانبين سماعها للواقع وبثها في المجتمع المعاصر عددًا من الأنماط والنّماذج التي حملت بالتّحديد أفكارًا قوية، خاصّة في مجال التّكنولوجيا، والمجال الاجتماعي، وساعدها اللّغة التي اعتمد عليها الكتاب للرّواية العربيّة المعاصرة، حيث الجماليات والإيقاعات التي يحملها النّص الرّوائي، فالصّيغة المعينة، والتّرقيم المعين، والتّرتيب المعين للعبارة، كلّ هذا يحرك قوى أكثر تعقيدًا على نحو خاص، فحاول الرّبط بين الرّواية والحداثة، والرّواية والشّرط التّاريخي والرّواية، والتّراث والتّقاليد[2].

صرّح ميكال في هذا المقال قائلاً: "نجاحَ الرّواية وأهميتها بالنسبة لمستقبل ثقافةٍ عربيّةٍ جديدةٍ يتوقّف على تلك العلاقة التي يتحدّد من خلالها نصيب الحداثة والتقاليد فيها، لأنّ روايةً تامّةَ الحداثة لن تَلْقى إلّا نجاحاً محدودًا في منظور العادات العربية الأدبية"[3]، فأوضح فيه ضرورة الرّبط بين القديم والحديث فيما يخص السّرد والرّواية، فهو يقول: "الرّواية العربيّة ليس أمامها خيارٌ، فهي لا تلعب رابحةً إلّا بمقدار ارتباطها بتقاليدَ ماضيةٍ أو حاضرةٍ، وهي

---

[1] ينظر: عفاف بغرارة، جماليات الزمن والمكان في الرواية" زقاق المدق" نجيب محفوظ أنموذجا، رسالة ماجستير، إشراف: بلقاسم جياب، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية والأدب العربي تخصص أدب عربي حديث، السنة الدراسية 2016/ 2017م، ص16.

[2] أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص170

[3] المرجع نفسه، ص170.

تأخذ تراثاً قديماً، وهو تذوق الحكاية، وتعيد تشكيله وفقا لما يفرضه عليها العصر الحاضر وهي لا يمكن تصورها إلا في إطاره"[1].

يعتقد في بحثه هذا أنّ الرّواية العربيّة المعاصرة مُستمدة لبعض تركيباتها من الرّواية الغربية، خاصّة الفرنسية، فيقول: "هل معنى هذا أنّ كل ما هو أجنبي مستبعد من الرّواية الحديثة؟ بالتأكيد لا، فالأسلوب الروائي استطاع وما زال يستطيع أن يمتص نماذجه من الخارج، ولقد رأينا تأثير الواقعية الفرنسية... لكن العلاقة الطويلة مع الغرب احتلّت على نحو خاص مكانًا متميزًا في إنتاج الكتاب العربي"[2]، ورأى أنّ الرّواية العربيّة متعلقة منذ نشأتها وبشدة بالماضي، وتظهر هذه الرؤية في قوله: "ما الذي يُعدّ عربيًّا خالصًا في الرّواية العربية المعاصرة؟ هل نجده في لون من الوفاء للقيم الأساسية للكلمة، لذلك "القديم" الذي يذهب البعض إلى حد المطابقة بينه وبين الخلود، أم على العكس؟"[3].

**3- الفن الرّوائي عند نجيب محفوظ:** تناول فيه عددًا من روايات نجيب محفوظ دراسة وتحليلاً، وأوضح هدفه من هذه الدّراسة فقال: "سوف نترك جانبًا كلّ ما يتّصل بالجوانب الاجتماعية، أو جانب الدراسات الأسلوبية الخالصة، ولن يجد القارئ هنا اهتماماً بالنّماذج البشريّة، أو الاختيارات السياسية الكبرى أو الفنّ النثري، أو اللّغة المستخدمة، وإنّما هدفنا أن نحدّد ملامح إنتاج محفوظ في إطار المعنى المحدّد للفنّ الروائي... وأن يضع نجيب محفوظ في مكانه من الإطار الواسع لتاريخ الرّواية العربيّة"[4].

يعتقد أنّ الرّواية عند محفوظ محدودة المكان والوصف، والسّمة البارزة للوسط الروائي عنده تكمن في اتزانه، فهو مثلاً لا يقف طويلاً عن مبنى ما لكي يستكشف ما يحتويه ظاهره وباطنه من أسرار، بل يلخص ذلك كله في بعض الخصائص الرئيسية، وهي ظاهرة في العمل، ولكنّها مثارة أكثر منها موصوفة عكس بروست وضرب مثلاً في ذلك برواية "ضجيج

---

[1] أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص171.

[2] المرجع نفسه، ص177، 178.

[3] المرجع نفسه، ص178.

[4] المرجع نفسه، ص185.

المدينة" فقال "...ولنأخذ على سبيل المثال (ضجيج المدينة)، لقد عشت أربعة أشهر متواصلة في أحد أحياء القاهرة الشّعبية بالقرب من سيدنا الحسين، في مكان يشد الأذن أكثر من العين، أنا أعلم الثراء الخارق المتنوّع لأصوات لياليها وأيامها، ولكنّك لا تجدُ عند نجيب محفوظ أيّ تصور مجسّد لهذه الحياة ولا لرنينها البسيط، وقد يرد تصوير هذه الأشياء في مصادفة أحداث الرّواية ولكن لا يوجد هنا على التّأكد مثل ما يوجد عند بروست من رسم سيمفونية (لضجيج باريس)"[1].

نظر إلى روايات محفوظ على أنّها تدور حول بعض اللّوحات النّمطية النّادرة التي تضيف إلى خصائص الخُطوط التّقليدية خصائص الصّفات، ذلك من خلال الوصف التّفصيلي، ففي ذلك محاولة خطيرة في اعتقاد ميكال؛ حيث إنّ الاستقصاء الملحمي يهدد وينفي الطابع الروائي، لكن نجيب محفوظ بموهبته استطاع أن يتدارك هذا النقص، ذلك من خلال تمييزه بين الشّخصيات، وتوضيح خصائصها من طريق آخر، هو الاهتمام بتحقيق الوحدة لهذه المظاهر المختلفة.

يرى ميكال أنّ نجيب محفوظ هو المُؤسس الحقيقي للقصّة العربيّة المعاصرة، بل ومُؤسس للغة معاصرة صالحة لهذا النّوع من الأدب، واعتبره خالقًا للغة روائية قريبة من التّجربة الرّوائية الغربية، حيث استطاع الجمع بين الكلاسيكية القديمة ولغة معاصرة، هي في حدّ ذاتها عربية بمعني الكلمة، ففي نظره أعطى لإنتاجه أصالة رئيسة في إطار الأدب العربي، وحتى في إطار الرّواية العالمية[2].

نظر إلى قصص نجيب محفوظ على أنّها مختلفة عن الأدب العربي القديم، ولكنّه كان يعتبره عربيًا خالصًا، بمعنى أنّ العربيّة التي يقرأها في تاريخ الطّبري مثلاً هي العربية التي يقرأها في قصص نجيب محفوظ[3]، ومن وجهة نظره أنَّ ربط محفوظ تطور أحداث الرّواية

---

[1] أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص189.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص19.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص196.

بالظّروف، يشكل ملامح إنتاجه الرّوائي، حيث ترتبط الرّواية بمفهوم تطوري للزّمن ولا تعود بالبطل إلى البداية، ففي رواية (السّمان والخريف) تطور الزّمن يجري بأقلّ قدر على المستوي الخارجي من الأحداث، وهنا لا يكون التّساؤل، هل يُعزل الموظف أو يبقي؟، بل يكون التّساؤل هل يستطيع الموظف في هذه الحالة أن يواجه الشّخصية الجديدة التي وُلدت داخله على المُستوى الاجتماعي؟[1]

كان محفوظ يختار شخصيات قِصصه بعناية، ويضع كل شخص في موضعه وسياقه المناسب عند تقسيم الأدوار في مجال الحبكة الرّوائية، ففي قصّة (بداية ونهاية) جعل الأم تمثل القُوة المدعومة من التّقاليد، وفي قصّة (السّمان والخريف) وضع بطلها في محور الظّروف السّياسية التي تحكم عمله، وفي قصّة (اللّص والكلاب) وضع المُومس في شخصية المشبعة بالإنسانية، ذلك بعد أن ذكر الأسباب القهرية التي دفعتها لممارسة البغاء ونفس الأمر فعله في قصّة (زقاق المدق)، لكن صور الشّخصية في معظم الأحيان بأنّها صورة حادّة ومؤلمة، وإن اختلفت شخصية (نفيسة) في قصّة (بداية ونهاية) عن شخصية المُومس، حيث صلابتها وقوّتها وتصميمها على مُمارسة البغاء، لتوفر لأخيها رغباته وتفي بمتطلباته التي لا تنتهي، إلاّ أنّها تظلّ مومسًا في نظر المجتمع كلّه، والموت هو الوحيد الذي سيحقق لها الانتصار.

تُمثل معاناة البطل في روايات محفوظ أقصى أنواع التّطور الزّمني عنده، فهو شديد التّنوع والاختلاف، وفي معظم الحالات تكون هذه المعاناة هي الموت، سواء كان معنويًا، أو حقيقيًا، هذا ما يعطي رواياته طابعًا واضحًا وعميقًا، يمثل نوعًا من النّجاح الذي يسجله أبطال رواياته في مواجهتهم للحياة، مع ذلك يخيرهم بين الموافقة أو الرّفض لتطور زمني يقودهم نحو مستقبل أمثل معطياته الصّراع والسّقوط والموت[2].

[1] أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص196.

[2] المرجع نفسه، ص197.

في الأخير يمكننا القول بأنّ ميكال يربط محفوظ بالمدرسة الكلاسيكية بكل أبعادها ويرى أنَّ الأصالة عند محفوظ مربوطة بطريقة تقديم الشّخصيات، فسّر نجاحه في الحفاظ على الاعتدال المتزن بين الوفاء بالملامح الفردية الضّرورية للرّواية، ونموذجية الأبطال المنتمين إلى فترة تاريخية يراد تقديمها، لذلك فأعمال محفوظ عند ميكال لها أصالة في الأدب العربي.

# الـمبحث الثّانـي:

# قـراءة في كتاب الأدب العربـي.

رغم تحيز الكثير من المستشرقين، وعدم موضوعيتهم إلا أنّهم خدموا الحضارة العربيّة الإسلامية، من خلال ما قاموا به من دراسات متنوعة لشتي فنونها وعلومها، ما بين ترجمة للكتب العربيّة والإسلاميّة، وما بين كتابات عن الحضارة العربية والإسلامية، وما بين دراسات لما احتوت عليه الكتب العربيّة والإسلاميّة، وما بين نشر للكتب والمؤلفات العربية والإسلامية، إلى غير ذلك، فكان الأدب العربي ضمن ما اهتم به المستشرقون، بل اعتنوا بهذا الفن من الفنون العربية والإسلامية أشدّ الاعتناء، يرجع ذلك إلى أربعة أسباب: صلة هذا الأدب بالقرآن والسّنة، وأهميته في دراسة الشّخصية العربية وفهمها، وآثاره في الآداب الأوربية وغيرها، ومنزلته الأدب المرموقة بين الآداب العالمية.[1]

قام المستشرقون بعدّة دراسات وأعمال تظهر اهتمامهم الكبير بالأدب العربي، فألّف بروكلمان كتاب (الأدب العربي)، وهو عبارة عن تاريخ للأدب العربي، نشر طبعته الأولى سنة 1902م، ثم طبع بعد ذلك مرارًا، وقام جوردان (A. L). Jourdain ت1818م، بكتابة نبذة عن تاريخ العرب، وألف دي ساسي (ت1831م) كتابًا بعنوان (أصل الأدب الجاهلي عند العرب) سنة 1808م[2]، من هذه الأعمال أيضًا ما قام به شارل بيلا من تأليف كتاب (تاريخ الأدب العربي)، وهو عرض لنشأة التّدوين التّاريخي في الإسلام في ثلاثة أجزاء توقف عند القرن الثّاني الهجري أو الثّامن الميلادي، كذلك كتاب (اللّغة والأدب العربي) وكتاب غاسطون فييت (Gaston Wiet) (مدخل إلى الأدب العربي)، وكتاب ميكال (الأدب العربي)، هو عبارة عن مسح مُختصر للأدب العربي في عُصوره المختلفة، وفي هذا المبحث سنحاول جاهدين دراسة ما احتوى عليه هذا الكتاب القيم.

**أولاً- لمحة عن الكتاب:** يُعتبر كتاب (الأدب العربي) لأندريه ميكال من أبرز الكتب الاستشراقية التي أُلِّفَتْ في هذا المجال، عُرف في دراسته للأدب العربي بحبه وحرصه على

[1] ينظر: حمو عبد الكريم، أثر الاستشراق في النقد العربي الحديث، دار ناشرى للنشر الإلكترونى، تمت الزيارة يوم 2020/03/20.
https://www.nashiri.net/index.php/articles/general-articles/4659-2011-01-12-09-27-09-v15-4659

[2] ينظر: عفيف عبد الرحمن، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا، ص36.

إظهار قيمته ومكانته للباحثين الغربيين، فالكتاب من الحجم الصّغير، مكون من 120صفحةً، نُشِر الكتاب ضمن سلسلة كوسيج رقم 1355 باريس سنة 1969م، وهي سلسلة واسعة الانتشار في فرنسا، فكان الهدف من تأليفه هو تقديم صورة شاملة عن خصائص الأدب العربي، والتّعريف بأبرز أعلامه، ومحاولة تحليل تاريخ الأدب العربي الذي يمتدّ على أكثر من أربعة عشر قرنًا ليكون مرآة لكل من يهمّه العالم العربي وآدابه من الغربيين.

يقول الطيب بكوش في دراسته للكتاب "إلاّ أنّ القارئ يتفهم الوضع حين يذكر أنّ الكتاب حلقة من سلسلة ماذا أعرف؟ التي ترمي إلى إبراز الخُطوط الكبرى، وتحليل المشاكل الأساسية من المواضيع التي تقدمها للقارئ ليحيط بها لا ليتعمق فيها...، لذا فإنّه يحق للأدب العربي أن يقدم في مستوى عالمي في نطاق هذه السّلسلة ولمثل هذه الغاية إلى جانب غيره من الآداب العالمية".[1]

**ثانياً- الدّلالة الرّمزية في عنوان الكتاب:** اختيار ميكال اسم (الأدب العربي) ليكون عنوانًا لكتابه ليدل دلالة واضحةً على حجم ومكانة الأدب العربي في نفسه، فكلمة أدب كلمة مفهومها واسع النّطاق، فهي تشمل كل ما هو مُؤَلَّفٌ ومكتوب، فهو معنى عام، يدل على كل ما يُكتب في اللّغة مهما كان موضوعه ومهما يكن أسلوبه، سواء أكان علماً أم فلسفة أم أدبًا خالصًا، فكل ما ينتجه العقل والشّعور يُسمى أدبًا، وهو مفهوم استعمله المستشرقون في كتاباتهم عن الأدب العربي، أمثال بروكلمان، ودي ساسي وشارل بيلا.

أراد ميكال مفهوم حديث لكلمة الأدب، متجنبا المفهوم العام المعهود لهذه الكلمة، ذلك باعتبارها كلمة تشمل الكتب التي لم يرد المعنى فيها بدون بحث، يقول الطيب بكوش "أمّا السّيد ميكال فإنّه تخلّى عمدًا عن المفهوم القديم المطلق، وأخذ الأدب بمفهومه الحديث باعتباره يشمل الكتب التي لا يرد المعنى فيها بدون بحث في مستوى اللّفظ، أي من حيث

[1] الطيب بكوش، الأدب العربي، مجلة حوليات الجامعة التونسية، العدد السادس، 1969م، ص203.

الأسلوب، فتكون فيها عملية الكتابة عملية خلق تتجلى خلالها ذاتية الكتابة، وبديهي أن مثل هذا التجديد يخرج من حيز الأدب كلّ نتاج علمي أو يمت إلى العلم بسبب من الأسباب".[1]

**ثالثا- دراسة لفصول الكتاب وأهم النّقاط التي تناولها فيه:** قسَّمَ ميكال كتابه إلى مقدمة وأربعة فصول، وخاتمة، تناول في الفصل الأول الحديث عن الأدب الإسلامي الذي واكب الفتوحات، وتناول في الفصل الثّاني الحديث عن الشّعر وأقسامه، إلى سنة 670م، والنثر والأدب وأقسامه، والجغرافيا، وتناول في الفصل الثالث الحديث عن أدب الذكرى، وتناول صور من الجغرافيا والتاريخ عند ابن بطوطة، وابن خلدون، والقصص والروايات، وتناول في الفصل الرابع أدب النهضة، وأما الخاتمة فقد تناول الحديث فيها عن الاختيارات اللّغوية والاختيارات الأدبية.

**1- مقدمة الكتاب:** استهل ميكال مقدمة كتابه بقوله: "إنّ الأدب العربي، وهو يمتدّ طيلة ثلاثة عشر قرنًا، وعلى قارتين على الأقل لهو عالم"[2]، من باب التّنبيه الذي أشرنا إليه سابقًا على عظمة مكانة الأدب العربي بين الآداب، ما جعله ينبّه على ذلك هو صغر حجم مؤلَّفِهِ هذا الذي لا يتناسب والأدبَ العربي، فعاب في المقدمة على الموسوعية الألمانية التي حصرت الحديث عن الأدب العربي في صفحات قليلة، وأعرب عن عدم رضاه لما قامت به وأوضح أنّ التّاريخ يهتم بالأدب، وينظر إليه نظرة جدية، ذلك بمفهومه الواسع النّطاق الذي يشمل كل ما هو مكتوب.

لصغر حجم مؤلفه (الأدب العربي) فإنّه لم يرد إلاّ المفهوم الضيق لكلمة الأدب، فقال: "ولنقلها منذ البداية بالنّسبة لهذا الكتاب، فهو _وهو أصغر وعن قصد_ سيهتم بالأدب في معناه الأشهر والأدق، أي الكتب التي لا يكون فيها التّعبير إلا عن مدلول بدون صناعة في مستوى الدّال، وحيث عملية الكتابة في ذلك هي عملية كاتب"[3]، بين في المقدمة أنَّ هناك

---

[1] الطيب بكوش، الأدب العربي، ص205.

[2] أندريه ميكال، الأدب العربي، ص5.

[3] المرجع نفسه، ص5.

بعض المراحل المجهولة من تاريخ الأدب العربي، لم يتم اكتشافها بعد وخاصة ميلاد النثر فعلَّل أنَّ السبب في ذلك هو تعرض الكثير من كتب التراث للحرائق المتكررة هنا وهناك سواء عن عمد أو لا، كذلك الغمور الذي أصاب البعض منها، ولم يُكْتشَفْ بعد.

أوضح أنّه ليس المقصود بكلمة (العربي) تحديد جنس الكتاب، حيث إنّ هذا التّحديد يكون فيه مجازفة، خاصّة أن اللّغة العربيّة هي لغة دين عالميّ واسع الانتشار، فبها كُتِبَ كلّ ما يمتّ للإسلام بصلة، سواء كان فقهًا أو تفسيرًا أو غيرهما من فروع الدّين، فالإسلام دين أثبت نفسه في كل ما يخص الفرد والمجتمع، فهو في السّياسة والاجتماع والاقتصاد وغير ذلك، كلّ هذا يدخل في معنى الأدب العربي، ذلك في حدود مفهومه الواسع النّطاق.

**2- الفصل الأول "الأدب الفاتح":** بدأ ميكال كتابته لهذا الفصل بتمهيد، تحدث فيه عن الأدب الإسلامي، فبين أنَّ هذا الأدب بدأ مع الفتح الإسلامي حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، فاللّغة العربيّة قبل الإسلام كانت محصورة في شبه الجزيرة العربية، لكن مع بداية الفتوحات الإسلامية اتّسع نطاقها لتشمل ما بين مصب نهر الهند إلى إسبانيا، نتج عن هذا الفتح ثلاثة عوامل، نشره للقرآن الكريم، إقراره للشعر الجاهلي، تهيئة الظروف لدراسة الأدب العربي القديم بمفهومه الواسع النطاق[1].

بدأ في الحديث عن القرآن بعد التمهيد، فأبان أن الشعر سبق القرآن بالنسبة للأدب وعلل تقديمه الحديثَ عن القرآن على الشعر لسببين، أولهما: تواصل مرحلة الشعر مع بدء سريان مرحلة القرآن دون حدوث أيّة تغيرات في أغراضه، ذلك حتى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة، وثانيهما: قيمة القرآن العظمى، والآثار المنبثقة عنه، فهو كما قال: "لهو أثر الآداب العربية الأول وصرحها ومرآتها المثلى".[2]

أقرّ أنَّ القرآن صادر عن الملك الأعلى، وأنّه مشتمل على كل شيء، وأنَّ الأقدار شاءت أن يُحْفَظَ كما هو دون نقص، فانتقل عن طريق التّلقي، رغم تدوينه للحفاظ عليه، ثم

---

[1] ينظر: أندريه ميكال، الأدب العربي، ص9.

[2] المرجع نفسه، ص10.

تحدث عن المرحلة الأخيرة لجمع القرآن، التي كانت في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه فقسَّمَ فترة تنزيل القرآن إلى أربعة مراحل، وأوضح أنّ القرآن ليس أثر الأدب العربي فحسب ولكنّه ينشر حضارته، فكان انتصارًا للّغة العربيّة، التي استعملها الشّعراء الجاهليون، وهي نوع من اللّهجة الأدبية ارتقت على من سواها قبل الإسلام، فلعب دورًا أساسيًا في تحديد الذّوق الأدبي[1].

ذكر أنَّ القرآن يحتوي في تراكيبه بعض ما يحتويه الشّعر، فالسّجع مثلاً أمر مشترك بينهما، لكن الفرق شاسع بينهما فقال: "فجدة الرّسالة القرآنية وطرافة لغتها: أسلوبها وسعتها تتجاوز بشأوٍ بعيد جدًا ما يُهَمهِمُ به الكُهان في حين أن تلقائية الجملة، هي تخضع إلى مقتضيات الوحي وإليها وحدها، تميزه زيادة عن الإيقاعات والقوافي الخاضعة لهذه التلقائية نفسها تمييزا واضحا عن الشّعر المنحصر في أبنية عروضه الدقيقة والمعقدة"[2].

تكلّم عن الشّعر بعد حديثه عن القرآن، فأوضح أنّ الشّعر لم تضعف مكانته بظهور الإسلام ولم تتأثر خصائصه، خاصة شعر البدو الذي امتد لمساحات شاسعة، فهو إرث عظيمٌ تركه العرب حفظ أسماء بارزة وآثار عظيمة، فكانت المرأة البدوية الشّاعرة لها أهمية وحرية أكبر ممّا للحضرية في قول الشّعر، وتوسُع رقعة الإسلام أدت إلى زيادة انتشار الشّعر العربي، أمّا المقابلة بين طبقات الشّعراء فهي تحتاج للبحث في البيئة التي يعيشون فيها أكثر من البحث في المعاني التي عليها احتوت عليها آثارهم.[3]

ذكر أقسام الشّعر، حيث نوَّه على أربعة منها، شعر الغزل، وشعر المديح والهجاء وشعر الوصف والشّعر الرّثائي، فبين أنّ القصيدة نالت حرية وتنوعًا أكبر من حيث بنائها فضرب المثل بالشّعر الغنائي والهجائي فقال: "فإذا كان الشّعر الغنائي والهجاء كثيرًا ما يندمجان معنيين من المعاني ضمن إطار القصيدة، فإنّهما يخرجان عنه أحيانًا ليكونا

---

[1] ينظر: أندريه ميكال، الأدب العربي، ص11.

[2] المرجع نفسه، ص15.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص17.

غرضين مستقلين"[1] وتحدّث عن التّلقائية في الشّعر وأناشيد الرّقص والعمل، وأشار إلى أنّ التّمكن الذي يظهره الشّاعر له أثر على الصّنعة والفن والإلهام يفوق أثر الحرية المطلقة.

أشار إلى المعلقات السّبع وأصحابها، فأوضح أنّ هذا الاسم ما هو إلا عبارة عن مدح لهذه القصائد وأصحابها، وأنّها لم تكن معلقة إلاّ من ناحية المعني اللّغوي، فليس كما يعتقد الكثير أنّها كانت معلّقة بالكعبة، وإن كان البعض يرى أنها علقت بالفعل، ذكر اختلاف النّقاد في عددها وفي ترتيب أصحابها، ثمّ تطرق في الحديث عن الشّعراء الصّعاليك، فذكر بعضهم، وعرَّج على ذكر الشعر النسائي، ثم انتقل بعد الفراغ من الحديث عن شعراء البادية إلى الحديث عن شعراء المدينة، فذكر بعضهم ومكانتهم في عشيرتهم، وبين أن شُعراء البدو ظلت البيئة البدوية مسيطرة على أسلوب شعرهم رغم دخولهم في الإسلام، باستثناء قصيدة البُردة، كما أشار أنّ بعض الشّعراء البدو استطاعوا بفضل تنقلهم أن يجلبوا بعض المعاني الخارجية إلى نتاجهم.[2]

انتقل بعد ذلك للحديث عن الشّعر في عصر بني أمية، فسمّى هذه المرحلة بالعصر الثّاني للأدب العربي، وأشار إلى مهمة الأمويين من حيث ثقافة تعريب الدّواوين بل امتدّ التّعريب مساحات أكبر، فوصل للعراق ومصر وشمال إفريقيا، فكان استعمال اللّغة العربيّة والمفاخرة بها عند الأمويين أمرًا رسميًا، وواصل في المبحث حديثه عن النّثر العربي، مع أنَّ عنوان الفصل خاص بالشّعر، وبين أنَّ النثر الكلاسيكي في هذه الفترة انحصر في ثلاثة ميادين، الميدان النثر الخطابي، ومثل له بخطبة النّبي _صلى الله عليه وسلم_ في حجة الوداع، وغيرها، والميدان الثّاني: النثر القصصي، وهو في الخرافات والأساطير، ومثل له بأساطير الإسكندر ولقمان وغيرها، والميدان الثّالث: النثر الوعظي والحكمي، فبين أنّ هذا

[1] أندريه ميكال، الأدب العربي، ص23.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص27.

النّوع هو أدب عظيم، وأنَّ أصوله متنوعة، أعيدت صياغته في قوالب لغة وعقلية واحدة فهو أمدّ الثقافة بكنز من المعاني والصّور.[1]

ذكر في هذا المبحث الشّعر الشّامي والعراقي والعوامل التي أثرت فيه، والمعاناة والمخاطر التي تعرض لها بعض الشّعراء بسبب الخلافات السّياسية والمذهبية[2]، ثمّ انتقل بعد ذلك للحديث عن الشّعر الغزلي في بلاد الحجاز في عصر بني أمية، وأوضح أنّه إن كان يقصد به المفهوم الأفلاطوني فإنّه لم يكن طاغيًا بهذا المعنى على الشّعر الذي نشأ في بلاد الحجاز، حيث إنّ الحشمة كانت مسيطرة عليه وأوضح أنّ الشّعراء الغزليين استعملوا في شعرهم لغة بسيطة وواقعية، وأنّهم أحيانًا كانوا يلجؤون إلى استعمال بحور ليست ذات شأن وأنَّ أعظم أثر لهذا النّوع من الشّعر في عصر بني أمية هو تحرّره من القوالب الشّعرية القديمة[3].

بين الطيب بكوش أنّ هذا الفصل يمثل نظرة تأليفية حُلّلت أثناءها القيم العربيّة التي تضمنها الشّعر العربي تحليلاً منظمًا، فقام بتحليل تأثير السّياسة في الشّعر أثناء الفترة التي تمتد من سنة 670م إلى سنة 725م، ذلك من حيث مواضعه، وتأثير قوالب الجاهلية فيه وعرَّج على ذكر بعض النماذج للشعراء الغزليين، ومدى تأثرهم في شعرهم ببيئتهم التي نشأوا فيها، وأوضح أنّ الشّعراء الحجازيين استطاعوا أن ينهضوا بالشّعر، بل وأثروا في غيرهم من الشّعراء، وأنّ الصّناعة في الشّعر الحجازي تختلف اختلافًا واضحًا حسب النزعة البدوية أو الإلهام الشّخصي.[4]

**3- الفصل الثّاني "أدب اللّقاء":** العنوان ينمُّ عن حقيقة واقعية، فهو لقاء الأدب العربي بغيره من الآداب والحضارات الأخرى، كالفارسية والهندية فانصهر كل ذلك في بوتقة الإسلام

---

[1] ينظر: أندريه ميكال، الأدب العربي، ص29.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص32،37.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص37،45.

[4] ينظر: الطيب بكوش، الأدب العربي، ص207.

واللّغة العربيّة، وقسّم هذا الفصل إلى أحدَ عشرَ مبحثاً، خصص خمسة منها للحديث عن الشّعر، وستة مباحث تبحث في النثر بمختلف أنواعه وهي كالتالي:

**3-1- الشّعر في العصر العباسي:** الشّعر كغيره من فنون الأدب نال حظه في هذا العصر الذّهبي؛ حيث رسَّخَ أقدامه، واستطاع أن يواكب التّغيرات التي حصلت، فازداد ازدهار الشّعر في العصر العباسي بازدياد الفتوحات التي تمت في هذا العصر؛ حيث التقت الأفكار وتناقلت الفنون، وتنوعت الأساليب، وترجمت كتب الحضارات القديمة، من يونانية وفارسية وهندية وغير ذلك، إلى جانب التحدي الذي وقع بين أصحاب هذه الحضارات التي التقت في بوتقة الإسلام، فكان على الشعراء كما هو الأمر عند العلماء والأدباء وغيرهم أن يبحثوا عن أساليب جديدة تمكنهم من التفوق[1].

**3-2- شعر اللّهو:** نوعٌ مُحدث من الشّعر كما أشار ميكال، فبين أنَّ البيئة الخصبة له كانت بغداد، وأغراضه الحب والخمر، ومثلهُ بشار بن برد، وأبو نواس، وابن المعتز، فرأى أنّهم يشتركون في أمرين، التّجديد في الشّعر، وبعدهم عن التّعاليم الإسلامية، وعدم التزامهم بها بل وتحديهم لها[2].

كتب عن الأسلوب الذي اتّبعه شعراء هذا النّوع من الشّعر، ومدى تغلغله في بلاد الحجاز التي انتشر فيها الشّعر الغزلي بنوعيه العفيف والفاحش فقال: "فإنَّ طرافة شعراء اللهو تتمثل في العزم الذي به يخضعون إلى مقتضيات الغنائية، وإليها وحدها أوزاناً ولغةً أصبحت بعد مألوفة، فاستعمال الأداة الشعرية لأنواعها في حد ذاته هو الذي يؤدى نغمة خاصة، فالإعراض عن القوالب القديمة إلى شعر واقعي، والالتجاء إلى الصّور المحسوسة المكتشفة في الحين، وتفضيل الأوزان الملائمة للتعبير التلقائي، والبحث عن اللفظ الصحيح رغبة لا في التفنن اللغوي كما كان الحال من قبل، بل في الوصول إلى الصورة الأصح من

---

[1] ينظر: أندريه ميكال، الأدب العربي، ص47،50.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص50، 52.

حيث المعني والأثر، شاعرية هذه جميعها مظاهر تشهد أنَّ هذا الشعر يسير في ثبات في هذه المسالك التي فتحها الحجازيون قبل ذلك، ويواصل السير فيها".[1]

**3-3- الشّعر المحافظ:** هو الشعر الذي نَهَجَ نَهْجَ القدامى والسّلف، فأصحاب هذا النّوع من الشّعر قاموا بمعارضة الاتّجاهات الجديدة المتمثلة في شعر اللّهو أو الغزل الفاحش، ودعوا إلى الرّجوع إلى التّقاليد الشّعرية القديمة والتّمسك بها، مع التّجديد في الأسلوب الذي يمكنها من مواجهة منافستها، ففي النّهاية كان حليفًا لهذا الشّعر المتمسك بالذوق والأساليب العربية خاصّة بعدما وجد البيئة التي تحويه وتنميه (بلاد الشّام)، خاصة في عهد الحمدانيين الذين شجعوا القديم، وحاولوا الظهور بأنّهم حماة لكل ما هو موروث عربي قديم، عنى بهذا اللّون الشّعراء المقلدون المحافظون أمثال أبو تمام وتلمذه البحتري.[2]

**3-4- الشّعر الأخلاقي والديني:** تولى مهمة الدفاع على الإسلام من الهجمات خارجية على العقيدة الصّافية، منذ القرن الثامن الميلادي، حتى القرن الثالث عشر الميلادي، فبين ميكال أنّ أبرز شعراء هذا النّوع هم: أبو العتاهية، وابن الرومي، وأبو العلاء المعري، فأشار إلى أنّهم يشتركون في الإعراض عن تجارب التأملات الصّوفية القُصوى، ويستعملون الفكر البسيط، واللّغة البسيطة، ثم عرَّج على ذكر الشّعر الصّوفي، ومثل له بشعر الحلاج.[3]

**3-5- الشّعر الأندلسي:** السنَّة المتبعة في هذا الشّعر هي تمجيد المناقب المحلية، وتأثر الشّعر الأندلسي بالأساليب الواردة من الخارج، خاصّة البيئة العراقية، ووافق ميكال شارل فيما ذهب إليه أنَّ الشعر الأندلسي عبارة عن مزيج من الكلاسيكية والرومنطقية، والرّوح الوثنية والمسيحية والإسلامية، وأوضح أنّ شعراء الأندلس استعملوا المُوشح، الذي يرتكز على البناء المقطعي، وعلى خرجة تظهر فيها الرّوح الرّومانسية إلى جانب العربية[4].

---

[1] أندريه ميكال، الأدب العربي، ص53.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص53،56.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص57، 59.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص60، 63.

**3-6- النّثر العربي الكلاسيكي ومحيطه:** هو البيئة التي نشأ فيها النثر العربي وظروف تطوره فأوضح أنّ العصر العباسي هو بداية الظهور الفعلي للنثر العربي، فلم يكن لافتًا للانتباه في المراحل السّابقة على هذه الحقبة، وأهم العوامل التي أدت إلى ظهوره هي:

- المُدن التي فتحها المسلمون خارج الجزيرة العربية، كالأندلس وغيرها؛ حيث التّداخل الثقافي بين العرب الفاتحين وأصحاب هذه المدن المفتوحة.

- التّجارة النشطة؛ حيث إنّ أصحابها بمختلف توجهاتهم ومهنهم كانوا يدونون ويسجلون ما يرونه.

- تشكيل النّظام الإداري، الذي عماده الدّواوين التي كانت مستقطبة للكتاب، ومنتجة للرسائل والإحصاء وغير ذلك.

- ظُهور الاكتشافات في الحقبة العباسية، نتج عنها عدد كبير من المؤلفات في جميع أنواع العلوم والفنون[1].

أراد ميكال بصورة خفية تجريد العرب من آدابهم، حيث ينسبها لأهالي البلاد المفتوحة لكن العرب نقلوا آداب الإغريق والفرس واليونان، ونقحوها وشرحوها وزادوا عليها، فلم يكونوا مجرد نقلة لهذه الآداب فحسب، وهذا لا ينكره إلا جاحد.

**3-7- أدبُ "الأدب":** خصّصه للحديث عن النّثر الأدبي، ليس بمفهومه الضّيق، بل بمفهومه الواسع النّطاق، فأرجع فضل ازدهاره إلى الأدباء الأعاجم أمثال ابن المقفع، وسهل بن هارون، تحدث فيه عن (فن الرّسالة)، فقال في وصفه: "ويغلب على مجموع هذا الإنتاج معاني الأدب، وخاصّة أدبُ الملوك والخاصّة، والآثار الأجنبية اليونانية، وخاصّة الفارسية هي فيه جدّ واضحة، فهي توحي بقطع النّظر عن المعاني بفن بلاغي جديد كامل، يعتمد الإطناب والإكثار من التشابيه والحكم بلا حدّ، وسلسلة من الجمل المترابطة تربط الأسباب بالنّتائج، ومن مجموعات المبادئ العامة والحالات الخاصّة".[2]

---

[1] ينظر: أندريه ميكال، الأدب العربي، ص64 ،66.

[2] المرجع نفسه، ص68.

ثمن دور الجاحظ في الارتقاء به، وبين أنّ إنتاجه الأدبي غزيرٌ جامعٌ بين الوحي والبحث، والفكر الإسلامي واليوناني، وأنّ قاعدته الأساسية هي الإسلام، واعتمد الجاحظ ومن ساروا على منواله على البساطة والجمال[1]، كما تحدث ميكال عن تحول الأدب إلى ثقافة ذلك على أيدي البعض من الكتاب مثل ابن قتيبة، فوصف الأدب في هذه المرحلة بالانفتاح والانغلاق، فالانفتاح من حيث هضمه لكل ما قُدِّمَ له، والانغلاق من حيث عدم الاستقصاء الذي اتسم به الجاحظ في البحث، وأنه بذلك أصبح شبه فهرسٍ للمعارف غير الدينية، فهو يمتاز بالشجاعة؛ حيث غاص في الأدب الفارسي الذي حذر منه الجاحظ[2].

**3-8- الأدب "والأدب"**: خصّصه للنّواحي الأخرى من الأدب كالنّقد والتّاريخ، ذلك لقوة صلة التاريخ بالأدب في الإسلام، تحدث فيه عن مكانة الفلاسفة العرب كالفارابي، والغزالي وغيرهما، ودورهم في إثراء اللّغة العربيّة، وتوسيع مفاهيمها وغير ذلك[3]، ودور التّاريخ في المحافظة على الأدب العربي، فقال: "إنَّ التاريخ باعتبار آثاره كماً وكيفاً أبرز فنون النثر العربي الكلاسيكي، وهو لا شك في ذلك أقلها تأثرا بالمؤثرات الأجنبية"[4]، فالتاريخ العربي في جميع مظاهره يتسم بطرافة لا جدال فيها، حتى وإن كانت الفنون التي ينتمي إليها معروفة في آداب أخرى، غير أنَّ أسلوبه الذي به يتصورها ويتناولها خاص به وحده دون غيره من الآداب الأخرى[5].

**3-9- الجغرافيا**: ذكر كلّ فروع وأنواع هذا الفن، فقسّم الجغرافيا إلى قسمين: هما جغرافيا موظفي الإدارة، وجغرافيا المتخصّصين، فأرجع الفضل في وجود الجغرافيا في الأدب العربي إلى اليونان، و جغرافيا موظفي الإدارة نشأ لمعرفة الحدود والثغور وما شابه ذلك، وأمّا

---

[1] ينظر: أندريه ميكال، الأدب العربي، ص69.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 70.

[3] ينظر: المرجع نفسه، 72.

[4] المرجع نفسه، ص75.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص77.

جغرافيا المتخصّصين نشأت في نطاق ما قام به العلماء من أبحاث في بيت الحكمة الذي أنشأه المأمون.[1]

بعد توضيحه للمقصود بجغرافية الخاصّة ذكر أنّه نشأ نوع ثالث من الجغرافيا أسماه جغرافية الأديب أو الأدب، وبين أنّها عبارة عن أخبار عن الأرض والبحار وقصص الرّحلات وتقاريرها، وأرجع بداية ظهور هذا النّوع من الجغرافيا إلى زمن الجاحظ،[2] كما ذكر فنّ الرحلة، وأرجع ظهوره إلى أدباء الأندلس، حيث تنقلاتهم الدائمة بين الأقطار الإسلامية في المشرق، وذكر أنّ الذي نما وترعرع على يديه هذا الفن بعد أبي حامد الغرناطي هو ابن جبير المتوفى سنة 1217م[3].

**3-10- النثر المُسجّع:** السّجع ملازم لجميع فنون الأدب العربي، منذ القرن العاشر الميلادي لكنّه جعل هذا المبحث للحديث عن النثر المسجَّعِ دون غيره؛ حيث يمتاز باهتمامه الكبير بالقالب والأسلوب، حتى لو كان ذلك على حساب المضمون، فتصبح اللغة معه غاية لذاتها بينما هي وسيلة تعبير قبل كل شيء[4]، فقصد فن المقامة، حيث ذكر أمثلة للكتب الأدبية الموجودة بها، وأرجع وجودها إلى الهمذاني والحريري[5].

**3-11- الأدب الشّعبي:** تكلّم عن النّثر الشّعبي، وسمّاه هو الأدب الشّعبي، أو أدب العامة ظهر في بعض مؤلفات الجاحظ، وفي بعض المقامات، لكنه يظهر في صورة واضحة أكثر في العجائب التي يخبر بها الرّحالة، وفي بعض ألوان المسرح (خيال الظّل)، وفي كثير من القصص والخرافات[6].

---

[1] ينظر: أندريه ميكال، الأدب العربي، ص79.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص79.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص81.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص81.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص82.

[6] ينظر: المرجع نفسه، ص84.

**4- الفصل الثالث "أدب الذكرى"**: قسَّمَ ميكال هذا الفصل إلى تمهيد، وثلاثة مباحث، اشتمل التّمهيد بصورة مجملة على معظم ما ذكره في المباحث الثلاثة، فهذه الفترة التي عنون لها بأدب الذكرى تمتد من زمن سقوط بغداد إلى فجر النهضة الحديث، فهي لا تقلّ أهمية بالنسبة للأدب العربي عن الفترات السّابقة، هنا تتجلى موضوعية ميكال، فهو أراد بذلك الرّد على الذين يصفون هذه الفترة بالانحطاط أو الظّلام أو الانغلاق، لأنّها الفترة التي حكم فيها العثمانيون العالم الإسلامي فأشار إلى الصّعوبات التي واجهت الأدب العربي في هذه الفترة ونتائجها الخطيرة، لكنّه وضّح أنَّ هذه الفترة وإن كانت فترة انحطاط للخلق والابتكار ،إلاّ أنّها نشط فيها الجمع والتّدوين والتّبويب والحفظ للأدب العربي.[1]

تتميز هذه الفترة بتدوين اللّغة في معاجم ضخمة والكتابة في شتي المواضيع، وضبط الفهارس، وجمع تراجم الأعيان من الفقهاء والعلماء وغيرهم، حتى الجغرافية أخذت حظها من هذا، فدون في هذه الفترة أكبر رحلة عرفها العالم الإسلامي، رحلة ابن بطوطة، كما دون الأدب الشعبي في هذه الفترة[2].

**4-1- الموسوعية:** تحدث عن الموسوعات العلمية التي أُلفت في هذه الفترة في شتى الفنون والمعارف، فقال:" إنَّ الأساسي من جهد الأدباء العرب في هذه القرون تمثل في تجميع العلم، فالموسوعية قد يكون ذلك"[3].

**4-2- صور طريفة من الجغرافيا والتّاريخ:** خصّص هذا المبحث للحديث عن صور من التّاريخ والجغرافية، حيث عرَّج على ذكر بعض الجغرافيين، خاصّة ابن بطوطة، وابن خلدون[4]، فهذه الفترة فتحت مجالا واسعا لهما حيث قال: "ولئن كان من الطبيعي أن تخضع

---

[1] ينظر: أندريه ميكال، الأدب العربي، ص87.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص89.

[3] المرجع نفسه، ص90.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص92.

الجغرافية والتاريخ هما أيضًا إلى قوانين التّأليف الأدبي للعصر، فإنّ ذلك العصر نفسَهُ قد فتح لهما آفاقًا أخرى سارعا إلى اغتنامها"[1].

**4-3- القصص والرّوايات:** تكلّم عن القصص والرّوايات، فبين أنَّ هذا النوع من الأدب العربي رغم عدم أهميته نال حظه من التدوين في هذه الفترة فقال: "ويجب كذلك أن نرجع ذلك العصر، وإلى رغبته في ألا يفرط في شيء من آثار ثقافة مهددة العمل العظيم لتدوين الأدب الشّعبي"[2].

**5- الفصل الرابع "أدب النّهضة":** جاء هذا الفصل في تمهيد، وخمسة مباحث، فأمّا التّمهيد فتحدث فيه عن واقع البلاد العربية، من حيث المؤامرات التي تحاك لها من الغرب من جانب، وخضوعها للدولة العثمانية من جانب آخر _اعتبر ميكال الخلافة العثمانية احتلال للدول العربية وليس امتداد للخلافة الإسلامية_ فذكر أنه كان لابُدّ للعرب من البحث عن وجهة جديدة تمكنهم من الدفاع عن تراثهم والمحافظة عليه وعدم انصهاره في بوتقة غيره وأشار إلى أنَّ جهود العرب تركزت في أمرين: الأول منهما تقبل منجزات الحضارة الغربية والاستفادة منها، وثانيهما: تحقيق الذات وإثباتها عن طريق طبع تراث الأدب العربي القديم[3].

**5-1- مراحل الانبعاث الكبرى:** شبّه عصر النّهضة في هذا المبحث بمسرحية ذات مقدمة وأربعة مشاهد، فالمقدمة هي حملة بونابرت لمصر، أمّا المشاهد الأول فيبدأ مع محمد علي في النّصف الأول من القرن التّاسع عشر، ويبدأ المشهد الثاني من حوالي الأربعينيات في لبنان حيث الانفتاح على الغرب، ذلك لوجود عدة عوامل على رأسها وجود الطوائف المسيحية فيها، ويتواصل إلى الحرب العالمية الأولى 1914م، ويطغى على هذه المرحلة الشّيخ جمال الدين الأفغاني، وتلميذه الشّيخ محمد عبده، والكواكبي، والشّيخ محمد رشيد رضا، حيث قاموا بالحركة الإصلاحية ، ورأوا أنّ المسلمين لديهم من المؤهلات ما يمكنهم من إحداث نهضة

---

[1] أندريه ميكال، الأدب العربي، ص92.

[2] المرجع نفسه، ص96.

[3] المرجع نفسه، ص99.

إسلامية من جديد[1]، والمشهد الثالث منحصر بين الحربين العالميتين الأولي والثانية، فذكر واقع البلاد العربية في هذه الفترة حيث المعارك والاحتلال، ووقوع العرب تحت الاحتلال الغربي، وتخلّصه من التّركي في آنٍ واحد، والمشهد الرّابع هو فيما بعد الحرب العالمية الثّانية، ويتواصل إلى وقتنا هذا، وعرَّج فيه على محاولة الاستقلال السّياسي، ثم تلاه محاولة الاستقلال الاقتصادي والثقافي[2].

**5-2- وسائل التّعبير**: ذكر وسائل وطُرق التّعبير الذي أنتجه الأدب العربي في هذه المرحلة فقال: "فالأدب العربيّ الحديث، وخاصّة في لغته قد تولد مباشرة عن كمية كبيرة جدًا من الكتابات الدّينية والسّياسية والإصلاحية، أو الجدلية"[3]، فأداة التّعبير صارت جدلاً عنيفًا بين أنصار العربية القديمة من ناحية، وبين أنصار اللّهجات الحديثة من ناحية أخرى، فتفرع عن هذا الصّراع حلول وسطية متعدّدة ومتنوّعة في آنٍ واحدٍ[4].

مارس ميكال دور الوصيّ حيث يدعو إلى تبني العامية، بل وينظر إلى أدبنا نظرة استعلاء لطالما نبهنا عليها فيقول: "فإنّ الرّجوع إلى ثقافة في غير البلاد العربية الإسلامية قد أمكن أن يحصل كما هو الشّأن في إفريقيا السّوداء، أو أمريكا اللاّتينية عن طريق لغة المحتل السّابق، فليس هناك إذاً في مستوى التّعبير قطيعة بين المعاصرة وهى تتحقق عن طريق لغة تخاطب عالمية كبرى وإعادة اكتشاف الذات"[5]، وفي نهاية هذا المبحث عاد للحديث عن النثر غير المسجَّع، ذكر أنَّ دقة الإبلاغ فيه غلبت على جمال الشكل وخطورته، فذكر محاولة المويلحي المتوفى سنة 1930م لإحياء فن المقامة، وسمها بالفريدة

---

[1] ينظر: أندريه ميكال، الأدب العربي، ص100.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص102.

[3] المرجع نفسه، ص104.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص105.

[5] المرجع نفسه، ص106.

فوضّح أنَّ النثر العادي هو الطاغي في وقتنا الحاضر، وبين أنّ محاولة اكتشاف النثر هي في ذاتها محاولة لاكتشاف الذات[1].

**5-3- الشّعر:** ركز في هذا المبحث على تأثير الشّعر الغربي على الشّعر العربي، فيقول: "أنَّ الاتّصال بالغرب قد غير في حركته الكبرى معطيات ميدان الشّعر تغييرا كبيراً"[2]، تحدث فيه عن النّهم الذي عند العرب بمختلف وظائفهم وتوجهاتهم، فأرجع السّبب في ذلك إلى قوة التّقاليد التي يرجع عهدها إلى أكثر من ألف سنة، كما أنّ قوة الشّعر في البيئة العربية تعود إلى أنَّ إحاكة عبارته كانت دائمًا بصورة عفوية ومنسجمة مع انفجار الصرخ، فالشّاعر المعاصر ينادى بالعزة لشعبه ويعمل على انبعاث روح الحياة فيه من جديد[3]، كما تحدث عن القصيدة الغنائية وكيف دخلها التّجديد مع المحافظة على الموروث القديم، ذلك كي تستجيب لرغبة أذواق أكبر عدد ممكن[4]، وذكر شعر المهجر، وتأثيره على الشّعر النّاشئ في البلاد العربية، وأنّه لعب دور المنشط، فأوضح أنَّ العوامل الخارجية أياً كان مصدرها قطعت آخر الأسباب التي تشد البلاد العربية إلى الماضي[5].

**5-5- النّثر المقالات والمسرح:** ذكر باختصار حركة تكوين النّثر العربي المعاصر، و أهم أعلام هذه الحركة كسعد زغلول، وعبد الحميد بن باديس وغيرهما، ويندرج في النّوع الأول المقالات والخُطب السياسية، فالأدب العربي لم يهتم بمواضيع المقالات إلا قليلا لكنّه مجبرٌ على الاعتراف بأنَّ ميادين الدين والسياسة والاجتماع تكون فيها نفس الأداة التي يستعملها أمّا المسرح بمفهومه الصّحيح برز بظهور التّرجمة عن الفرنسية والإنجليزية، مع وجود جذور للمسرح في الأدب العربي مثل إعداد المشاهد والمناظر في المقامة الكلاسيكية[6].

---

[1] ينظر: أندريه ميكال، الأدب العربي، ص110.

[2] المرجع نفسه، ص111.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ض111.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص113.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص115.

[6] ينظر: المرجع نفسه، ص117.

**5-5- نثر الرّواية والأقصوصة:** الرّواية هي الحدث الأعظم في الأدب العربي المعاصر فقال "فالرّواية هي هنا الظهور المفاجئ في الأدب، سواء للوحة التّاريخية، أو لعالم الواقع وخاصة الطبقات الدنيا بالمدن والأرياف...غير أنَّ هذه الرواية التاريخية، وخاصة الواقعية لم تقبل من أول وهلة، وأنى لها هذا؟ ولم يتبلور حقاً نجاحُها إلا فيما بين الحربين"[1]، ذكر بعض رواد الرواية المعاصر أمثال جرجي زيدان، وجبران خليل وغيرهما، كما تحدث عن أثر الترجمات الأجنبية عليها، وأنَّ الرواية العربية المعاصرة كانت لها انطلاقة أخرى، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، فأشار إلى جهود محمد حسين هيكل، ونجيب محفوظ في هذه الفترة ومن حاولوا تقليدهما مثل زكريا تامر وليلي البعلبكي.[2]

**6- خاتمة الكتاب "أهمّ النّتائج المستخرجة من الكتاب":** خصّص ميكال الخاتمة للفصل الأخير من الكتاب، فعلى صغر حجمها فإنّها ترتكز على أمرين الاختيارات اللّغوية والاختيارات الأدبية، فتصبح الرّواية بذلك منفتحة على المستقبل؛ لتربط مصير الأدب العربي بمصير أمته العربية[3]، وممّا جاء في هذه الخاتمة قوله "كيف نختم الحديث عن حركة في اكتمال شبابها؛ ذلك أنّه أمر واقع إنَّ ما سجِّلَ من نجاح لا ريب فيه في الأدب العربي المعاصر لا يستنفذ، بل أبعد به أن يستنفذ جميع إمكانياته".[4]

بعد الفراغ من دراسة وقراءة هذا الكتاب نكون قد توصلنا إلى النّتائج التالية:

- إحاطة ميكال بتاريخ الأدب العربي إحاطة تامّة، يظهر ذلك في قدرته على كتابته لتاريخ الأدب العربي في هذا الكتاب الصّغير مع احتوائه لكل مراحله.
- تعامل بموضوعية لحدّ ما في دراسته للأدب العربي في هذا الكتاب، وإن كنّا لا ننكر أنّه حاد عنها في بعض الأحيان بصورة خفية.

---

[1] أندريه ميكال، الأدب العربي، ص121.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص122.

[3] ينظر: الطيب بكوش، الأدب العربي، ص212.

[4] أندريه ميكال، الأدب العربي، ص127.

- استعمل في كتابته لتاريخ الأدب العربي في هذا الكتاب الخطوطَ الكبرى، وأرجع الجزئيات فيه إلى كليات امتازت بحسن التأليف والشّمول، هذا كله جعله يوفق في تذليل الصّعاب التي واجهته في كتابته لهذا التاريخ.
- هذا الكتاب على صغر حجمه مشتمل على تاريخ الأدب العربي في جميع مراحله.
- حبه العظيم للأدب العربي، يظهر جليًا في تعظيمه له وإجلاله لمكانته في أكثر من موضع من هذا الكتاب.
- الاهتمام الكبير بالحديث عن نثر الأدب العربي.
- تركيزه على الأدب العربي المعاصر وإعجابه به، بل وتشجيعه له.

# الـمبـحـث الـثّـالـث:

# الـخـرافـة عـنـد أنـدريـه ميـكـال.

أُعجب ميكال بفن الخرافة، فاعتنى بكتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، وأبدى انبهاره الشديد به، فقام بترجمته من العربية إلى الفرنسية في دمشق، كان ذلك باقتراح من أستاذه بلاشير، ويعتبر هذا الكتاب من أهم كتب الأدب الكلاسيكي بل يعتبر من كنوز الأدب العربي لذلك من لم يقرأ كليلة ودمنة عليه أن يعتبر نفسه وكأنه لم يقرأ شيء من تراثنا الأدبي.

بين ميكال أن كتاب كليلة ودمنة ترجع بداية قصته إلى الهند، حيث القرن الرابع والخامس الميلادي، ألفه الحكيم الهندي بيدبا، لأحد ملوك الهند، فاعتمد فيه على الطيور كشخصيات رمزية، والكتاب يتضمن عدة مواضيع من أهمها العلاقة بين الحاكم والمحكوم ومجموعة من الحكم والمواعظ، أما اللغة التي كتب بها الكتاب هي السنسكريتية لذلك يقول "كانت بداية القصة في الهند وكان الحكيم الهندي "بيدبا" قد ألّفه لملك الهند "دبشليم" وقد استخدم "بيدبا" الحيوانات والطيور كشخصيات رئيسية فيه، وهي ترمز في الأساس إلى شخصيات بشرية[1].

تتضمن القصص عدة مواضيع من أبرزها العلاقة بين الحاكم والمحكوم، بالإضافة إلى عدد من الحِكم والمواعظ وهي مجموعة شعرية فكرية أخلاقية ويعود تاريخ تأليف الكتاب إلى القرن الرابع والخامس ميلادي وكتب باللغة السنسكريتية[2]، وبما أنَّ الخرافة فنٌ وأدب له خصائصه ومميزاته، وله صفة العالمية، حيث إنه عرف عند جميع أمم الأرض قاطبة فسوف ينتظم حديثنا عن الخرافات في النقاط التالية:

**أولاً- نبذة تعريفية بفنِّ الخرافة:** يجدر بنا هنا أن نلقي نظرة سريعة على المعنى المقصود بالخرافة، حتى يتسنى لنا فهم الأمر الذي يدور حوله حديثنا هذا.

**1- الخُرافة لغةً:** هي الحَديث المُستملح من الكذب، وقالوا: حديثُ خرافة، ذكر ابن الكلبي في قولهم حديث خرافة أنَّ رجلاً. اسمُهُ خُرافة من بني عَذرة أو من جُهينة، اختطفته الجنُّ ثمّ

[1] André Miquel, La fontaine a bagdad : fables arabes d'Ibn al-Muqaffa, P1.
[2] Ibid, p1.

ضرَجَعَ إلى قَومِهِ فَكَانَ يُحدّثُ بِأَحَادِيثَ مِمّا رَأَى يَعْجَبُ مِنْهَا النّاسُ فَكَذّبُوهُ وقَالُوا فِيْه "أَكْذَبُ مِنْ خُرَافَة" فَجَرَى عَلَى أَلْسُن النّاس[1].

**2- الخُرافة في الاصطلاح:** عرَّف الباحثون الخُرافة في الاصطلاح بعدّة تعريفات كلّها قريبة من بعض، وتؤدي نفس المعنى، وتصبّ في قالب واحد، من هذه التّعريفات: "الخُرافة عبارة عن حكاية حيوان تستهدف غاية أخلاقية، وهيّ قصيرة تقوم بأحداثها حيوانات تتحدث كالأنَاسي، وتحتفظ مع ذلك بسماتها الحيوانية"[2]. وفي تعريف آخر "قصّة رمزية خلقية تخترع فيها شخصيات غير عاقلة من الحيوان، أو الجماد، تمثل و تتكلم، و لها عواطف و مشاعر كالنّاس"[3]، فالخرافة هيّ الاعتقاد أو الفكرة القائمة على مجرد تخيلات دون وجود سبب عقلي أو منطقي مبني على العلم والمعرفة.

ترتبط الخرافات بفلكلور الشّعوب، حيث إنَّها في العادة تمثل إرثًاً تاريخيًا تتناقله الأجيال، وهو مُمارسة لا عقلانية، والخرافة قد تكون دينية، وقد تكون ثقافية أو اجتماعية وقد تكون شخصية، وتعتمد في الأساس على الحيوانات، حيث يمثل فيها الحيوان مع احتفاظه بحيوانيته، ولها مغزى، ولا يقتصر دور البطولة فيها على الحيوان، ولكن قد يقوم بدور البطولة فيها الطير والنبات والجماد والإنسان، لكن الغالب فيمن يقوم بدور البطولة فيها هو الحيوان، لذا نسبت إليه[4].

فالخرافة جنسٌ أدبيٌ قائم بذاته، له خصائص فنية تجعله مميزًا عمّا سواه، تتمثل البراعة في الخرافة في مراعاة النّسبة بين الرّموز التي يستعملها الكاتب والأشخاص الحقيقيين الذين يرمز إليهم، فالكاتب يجب عليه استحضار الأشخاص الذين يقصدهم أثناء الكتابة، ذلك بحيث لا يغيبون عنه[5]، لذلك تُعدّ الخرافة من أكثر الأجناس الأدبية المتداولة في العـالم

---

[1] ينظر: محمّد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ص66.

[2] عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، شركة الأمل للطباعة و النشر، القاهرة، سنة 1889م، ص32.

[3] عبد الرزاق حميدة، قصص الحيوان في الأدب العربي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، سنة1951م، ص25.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص25.

[5] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص176.

لأنّها تعبر عن الظروف المعيشية للشّعوب، وأحوال المجتمع السّياسية والعاطفية، وتعكس معتقداته وأذواقه وعقلياته.[1]

وهي فنٌ من الفنون الهادفة، تحمل في طياتها وعياً نقدياً تجاه أوضاع الشّعوب، فالغاية منها توعية القارئ و تثقيفه و توجيهه، من خلال درس أخلاقي أو عبرة تستخلص في نهاية القصّة أو أثناءها، فنصح أرسطو باستعمالها في فنِّ إقناع المستمع وعرَّفها بوصفها جنسًا أدبيًا (Genre) واعتمد عليها البلاغيون الإغريق في خطاباتهم بوصفها عنصرًا أساسيًا في استراتيجية الإقناع، فهي تحمل رسالة فنية غرضها توصيل حقيقة أخلاقية عامّة، كما أشار لافونتين إلى أنَّ الخرافة تتكون من جزأين يمكن تسمية أحدهما الجسم، والأخر الرّوح فالجسم هو السّرد، والرّوح هي المغزى، لذلك لابدّ من تحديد هدف مزدوجٍ لها، بحيث يتم تعليم الناس شيئًا عن طريق المغزى الذي تحتويه، ولابدّ أن تنير المُتعة في النّفوس ليكون هذا المغزى فعالاً قادرًا على الإقناع.[2]

من هذا المنطلق نجد ميكال يتحدث عن ابن المقفع فيقول: "وبما أنّ ابن المقفع عايش دولتي بني أمية وبني العباس، وكان شاهدًا للأحداث التي مرتا بها فقد تأثر تأثرًا شديدًا بهذا وتفاعل معه تفاعلاً كبيرًا، ويُعد كتاب (كليلة ودمنة) من روائع التّراث الإسلامي، ومن أشهر ما كُتب في الحكمة الإنسانية التي صيغت بأسلوب قصصي داعيًا إلى احترام مقومات الأمة الإسلامية و اللّغة والتراث العربي وما ينصّ عليه القرآن الكريم"[3]، فابن المقفع من المؤلفين الأوائل للخرافة العربية في كتابه (كليلة و دمنة)، كما ترجم كتاب (ألف ليلة و ليلة) إلى اللّغة العربية.

---

[1] ينظر: تريفي آلاء خديجة، ترجمة الرموز في فن الخرافة "les fables de la fontaine أنموذجا "دراسة تحليلية ومقارنة"، رسالة ماجستير، إشراف: فرقاني جازية، جامعة وهران، كلية الآداب واللغات، السنة الدراسية: 2016 /2017، ص4.

[2] علي درويش، دراسات في الأدب الفرنسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، سنة 1973، ص89.

[3] André Miquel, La fontaine a bagdad : fables arabes d'Ibn al-Muqaffa, P1.

**ثانياً- تأثر ميكال بابن المقفّع و لافونتين:** تأثر ميكال بشخصية ابن المقفّع تأثرًا كبيرًا، كما فتن بلافونتين، فيقول: "معجب بابن المقفّع ومفتون بلافونتين، وقد انغمست في هذه التّرجمة ومحاولة وضع هذه سطور من قصص الحيوانات في البداية لكي أتقرب منه أكثر، أتقرب من ابن المقفع، ولا أقارن نفسي به أبدًا، فقد وجد ابن المقفع في فترة لم يكن فيها الكاتب يتحدث عن نفسه، بل كان يتوارى فيه الكاتب تمامًا عن أنظار القارئ فلا يظهر فيه الكاتب أبدًا، والسّؤال الذي يراودني هل خنت ابن المقفع عندما فرضت أو طبقت على الترجمة الأبيات والقافية، ولم أبقها نثرًا كما كانت في اللّغة العربيّة؟ لكنّه سيبقى دائمًا مع لافونتين الملهمان بالنسبة إليّ"[1]، يجب التّنبيه إلى موقف ميكال الشّجاع تجاه حكايات لافونتين، فقد اعترف أنَّ حكايات لافونتين الشّهيرة مستوحاة في قسم كبير منها من خرافات ابن المقفع فليس من السّهل على مثقف فرنسي أن يعترف بمديونية الثقافة الفرنسيّة في أعلى ذروها تجلياً للثقافة العربيّة، لأنّ حكايات لافونتين تمثل إحدى مفاخر التّراث الفرنسي؛ فبهذه الحكايات يُضرَبُ المثلُ في فرنسا، والجمهور يحفظها عن ظهر قلب، مع ذلك فميكال كمستشرق أو باحث موضوعيٍ ينحني أمام هذه الحقيقة ويقرّ بها.

قام ميكال بعرض بعض نصوص الخرافات التي تحتوي عليها (كليلة ودمنة) و حكايات لافونتين، ثمّ قارن بينهما، فبين من خلال هذه المقارنة أنّ الأسلوب وصفاته يتطلب عند المُؤَلِّفينِ نوعين من الملاحظات، فعلى مستوى تطور الحكاية يكون من السّهل المقابلة بين نمط كلاسيكي للحكاية يمتد على خط محدّد يقوم على التّرابط بالنّسبة لخرافات ابن المقفع، هو نمط النّص العربي بشكل مبسط، أمّا بالنّسبة لحكايات لافونتين، فالأسلوب أكثر دقة حيث التجنيح، والمفاجئة الشّعرية والخيال المبدع للأشياء غير المجدية، ذلك يشكل حكاية أقلّ اتساعًا، هي في الظاهرة أكثر تعلقًا بالالتفاف منها بالتّسديد دون إغراق نحو نهاية للقصّة[2].

---

[1] André Miquel, La fontaine a bagdad : fables arabes d'Ibn al-Muqaffa, P3.

[2] ينظر: أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص146.

يتميز الحدث في حكايات لافونتين بالكثافة، ويعتبرها كثافة تحمل من البداية تعارضًا مع خطواتها، سبب ذلك أنَّ هذه الالتواءات تخدم هدفاً وضع في قيمة لغاية، ليس التّسديد نحوها بأقل من التّسديد نحو الغاية الأخرى، وينظر إلى ابن المقفع بأنّه عبارة عن راوٍ للحدث فحسب، بينما لافونتين درامي، بمعنى أنّه لا يكتفي برواية الحدث، بل يقوم بتجزئة مواد الحكاية، فلا يحتفظ منها إلا ببعض الأحداث البارزة، ويضع حول كل حدث منها اكتتاباً شعرياً، أو سيكولوجياً، فهو يرى أنَّ الخرافة العربية تجد تسويغاً أقلّ في وجودها الخالص باعتبارها قصّة عن وجودها باعتبارها جزءاً من سلسلة قصصية أكبر حجماً، تقتبس منها وتعطيها معناها[1]، بعد انتهائه من المقارنة بين الكتابين وضَّح أنَّ السبب الرئيسي في هذا التفريق بين الأسلوبين في الكتابين يرجع إلى اختلاف البيئة والزمان معاً.

فابن المقفع أثناء إخراجه للعربية الروائع التليدة للآداب الهندو أوروبية تابع هدفاً مزدوجاً، هو إنشاء نثر عربي حقيقي، فلم يكن مجرد تسجيل بسيط للغة الدّارجة، إنّما صياغة أداة حقيقية للاتصال الأدبي والعلمي؛ بغرض استعمالها من قبل الفكر العالمي الجديد، والأمر الثاني هو إعطاء العالم الفكري لوناً من المبادئ الخُلُقية، هذا يؤهلها إلى أن تصبح ملكًا للأمة جميعًا وليس لطبقة معينة[2]، حيث يقول ميكال "فهذه اللّغة التي ابتكرها وصقلها لاستعمال الأجناس الأدبية المكتسبة، سوف تعتبر اللّغة التي تكتب بها كل الحضارة، أي العربية الأدبية، وهذه الأمثال الأخلاقية، وتلك الخرافات وهذه القصص التي من خلالها ولدت هذه اللغة سوف تصير في وقت قريب جدًا ملكًا للأمة، وليس فقط لطبقة ممَّيزة، بل تكاد أن تكون للنّاس جميعًا"[3]، ولافونتين عندما ألف حكاياته ابتكر مثل غيره من الكُتَّاب لغته، لكنّه لم يبتكر اللّغة التي هي في الحقيقة مستقرة منذ زمن بعيد، كما ظلت

[1] ينظر: أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص148.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص151.

[3] المرجع نفسه، ص152.

حكايات لافونتين تمثل عبر التّاريخ أذواق صفوة معينة، على عكس ما حدث لخرافات ابن المقفع[1].

الحقيقية الإنسانية عند ابن المقفع في اعتمادها على العلاقات بين الكائنات تبدو شاردة خاضعة للتّقلب، قابلة للتّحول الإرادي، ذلك من خلال لعبة العلاقات والظّروف، أمّا عند لافونتين فالاختلاف مختلفًا تمامًا، فالظّروف تلعب دورها، لكن بمعنى مختلف، فالمكر مثلاً في حكايات ابن المقفع يأتي في حكايات لافونتين للتأكيد على أنَّ الموقف له صفاته الخاصّة، ومن ثمَّ ضرورة سلوك استثنائي به، وأمّا الحقيقة فالإشارة إليها عنده من خلال نظام ضمني، ذلك على عكس ما يحدث عند ابن المقفع، حيث تأتي الإشارة إليها من خلال اللّجوء الصّريح إلى مجموعة من القواعد[2].

تعتبر خرافات لافونتين مزيجاً من الإرث الأدبي الإغريقي، واللاّتيني، والعربي معاً حيث إنّه تأثر بكلٍ من إيزوب، وفيدروس، وابن المقفع، فوسم جميع ما قرأه بطابع فنّه، حتى سطع نجمه في فرنسا وخارجها، وحفظت خرافاته في الذاكرة الشّعبية الأوربية، والعالمية، ذاع صيته بين الأدباء والفنانين، لما حقّقه من بصمة فنية، ولمّا أضافه من جديد فيما كتبه فقصائده كانت بمثابة المنعرج الحاسم في أدب الخرافة[3]، لأنّها نوع من الآداب العالمية وجدت عند الأمم قديمًا وحديثًا، فهي من الأجناس الضّاربة في القدم التي عمرت طويلاً ولم تندثر كما اندثرت الملحمة والأسطورة[4]، بل نشأت فطرية في آداب الشّعوب، ثم تدرجت في الارتقاء حتى وصلت إلى المرتبة الأدبية، ومن ثمَّ تبادلت الصّلات مع الآداب الأخرى ويكاد يجمع الدّارسون على أنّ الشّرق هو منبع الخرافة، مع ذلك فهم مختلفون حول البيئة الأولى التي ولدت فيها، فالبعض أشار إلى الهند، والبعض الأخر أشار بابل، فيما ذهب الغربيون

---

[1] ينظر: أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص152.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص155.

[3] ينظر: تريفي آلاء خديجة، ترجمة الرموز في فن الخرافة "les fables de la fontaine أنموذجا "دراسة تحليلية ومقارنة"، ص28.

[4] ينظر: شرف الدين ماجدولين، بيان شهرزاد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، سنة 2001م، ص69.

إلى أن الخرافة الهندية كانت مصدر إلهام لمن كتبوا في الخرافات في الآداب الأوربية الحديثة، ومنهم لافونتين[1].

**ثالثاً- الحكم والمواعظ في الخرافة:** تهدف القصّة الخرافية من حيث الوظيفة إلى التّربية الخلقية والوعظية، عن طريق تجسيد الحكم والمواعظ، كذلك الأقوال المأثورة وغيرها، بحيث يكون متناسبًا مع التّجارب الإنسانية والقيم المثالية التي توارثتها الشّعوب، فتميزت الخرافة عن غيرها من أنواع القصص المتوارثة في التراث الشّعبي برسالتها التّربوية والأخلاقية القيمة[2]، ولمّا كانت الخرافة تحتوي على الحكم والمواعظ فقد استعمل بعض المحدثين من الأدباء كلمة موعظة بدلاً من خرافة مثل الكاتب محمد عثمان جلال، في كتاب له بعنوان (العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ) والكاتب إبراهيم العرب، في كتابه (آداب العرب) فسمى كل خرافة موعظة[3]، ولا فرق بين الخرافة وقصّة الموعظة، ذلك من حيث الغاية التي تؤديها كل منهما، أو الدّروس النّافعة التي تقوم بنقلها، فالخلاف الذي بينهما يكمن في أنَّ الخرافة أقل تعقيدا وطولاً مما هو الحال بالنّسبة للموعظة، كما أنَّ هناك من الخرافات ما يخلو من المغزى الخلقي أحياناً[4].

نود الإشارة إلى أنَّ كتاب (كليلة ودمنة)، وكتاب (حكايات لافونتين) كلاهما يتحدثان عن الحكمة والموعظة من خلال حكايات خرافية جميلة، تتمّ على ألسنة الحيوانات، وقد ضُرب المثل بالحكم والمواعظ والعبر النّاتجة عنهما، لذا فإنَّ ميكال لم يكتف بالتّرجمة، إنّما أرفق التّرجمة بالبحث المعمق في تاريخ الآداب المقارنة، وهذه صفة الضّلعاء من الأكاديميين، فنجده يقول عن خرافات لافونتين "أي أدب قدم شيئًا أجود وأكثر حكمة وكمالا

---

[1] ينظر: نفوس زكريا سعيد، خرافات لافونتين في الأدب العربي، مؤسسة الثقافة الجامعية، ص8.

[2] ينظر: تريفي آلاء خديجة، ترجمة الرموز في فن الخرافة "les fables de la fontaine أنموذجا "دراسة تحليلية ومقارنة"، ص5.

[3] André Miquel, La fontaine a bagdad : fables arabes d'Ibn al-Muqaffa, P5.

[4] ينظر: عبد الرزاق حميدة، قصص الحيوان في الأدب العربي، ص28.

ممّا نجدها فيها خرافات لافونتين"[1]، ويقول عن خرافات ابن المقفع: "وتتضمن القصص عدّة مواضيع من أبرزها العلاقة بين الحاكم والمحكوم، بالإضافة إلى عدد من الحِكم والمواعظ وهي مجموعة شعرية فكرية أخلاقية"[2].

كان الأدباء بعدما ينتهون من إلقاء خرافاتهم على الجماهير يعمدون إلى إنهائها بدرس أخلاقي هو غايتها، فلافونتين قد وفَّىَ الدّرس الأخلاقي حقّه، وجدّد في استخلاصه وعرضه معاً، ولم يعمد إلى سياقه بطريق مباشر، الذي يُشعر القارئ بأنَّ الدّرس مفروض عليه فرضًا إنّما جعله يستنبطه من تلقاء نفسه، من خلال التّرتيب في أحداث الخرافة، وتسلسل أفكارها ولم يلتزم بجعل الدّرس الأخلاقي نهاية الخرافة، بل نوَّع، بحيث مرة يكون في بدايتها، وأخرى في وسطها، وثالثة في نهايتها، ذلك على حسب ما يتطلبه الموقف[3]، أمّا ابن المقفع فمَارَس التّلميح والتّصريح في كتاباته، فهو ذو ثقافة عميقة تجد لقصصه دلالاتٍ رمزيةً عميقةَ المعنى، وحِكماً ونصائح أخلاقية ناقدة لواقع الحياة الاجتماعية والسياسية كما ذكر ميكال الذي أعاد صياغة حكايات ابن المقفع بأسلوبه متأثرا بلافونتين، لهذا ترجمنا حكايات ابن المقفع كما جاءت في اللغة الفرنسية، ولم نرجع إلى أصلها في اللغة العربية وسنورد حكاية اللبؤة وابن آوى باللّغتين العربية والفرنسية لتبين الحكمة والنّصائح الواردة في الحكاية.

**La lionne et le chacal**

Si vous avez fait violence à autrui,
Et qu'en retour elle vous a meurtri,
Vient le moment d'y renoncer,
Mieux encor: de la méditer.
Cette attitude vous vaudra
Récompense dans l'au-delà.

[1] علي درويش، دراسات في الأدب الفرنسي، ص99.

[2] André Miquel, La fontaine a bagdad : fables arabes d'Ibn al-Muqaffa, P1.

[3] ينظر: نفوس زكريا سعيد، خرافات لافونتين في الأدب العربي، ص37.

Entre marais, herbes et bois, Vivaient une lionne et ses deux petits.
Un certain jour, elle partit,
Les laissant là, pour chercher une proie.
Un chasseur trouva les lionceaux,
De ses flèches, il les tua,
Après quoi, il les écorcha
Et s'en alla avec leurs peaux.
Quand la lionne, au retour, découvrit quel carnage
L'on avait fait de ses petits,
Elle rugit, gémit, sur le sol se tordit.
Un chacal, dans le voisinage,
Alertés par ses cris, accourut, s'inquiéta :
« Que t'est-il arrivé ? Quel malheur est-ce là ?
Parle-moi, que je prenne part à ta douleur ! –
Ah ! dit-elle, pauvre de moi ! C'est un chasseur !
Mes deux petits tués ! Et puis écorchés !
Et puis laissés là, en ces lieux sauvages ! »
Et le chacal : « Pourquoi ces cris et cette rage ?
Rends-toi justice, et vois la vérité:
Le chasseur a tué, oui, mais cet acte pervers,
Envers d'autres, tu l'as, toi, tant de fois commis !
La douleur qui te vient du sort de tes petits,
Tous ceux à qui tu as ravi des êtres chers
L'ont connue avant toi et, qui sait ? davantage.

Supporte donc d'autrui, avec courage,
Ce qu'à autrui tu as fait endurer!
On récolte, dit-on, comme l'on a semé
Selon la quantité, bonne ou maigre moisson,
Selon ce que tu fais, récompense ou sanction.
-Précise un peu, si tu veux bien, ce point de vue.
-Quel âge as-tu ?- Cent ans. - De quoi te nourris-tu ?
Tu le sais bien: de la chair des bêtes sauvages.
-Et comment donc ?- De cela je fais mon affaire.
-Ces bêtes cependant ont des pères, des mères,
Que l'on n'entend jamais faire pareil tapage,
S'affliger ni crier aussi fort, n'est-ce pas?

Te voilà maintenant réduite à cet état,
Faute d'avoir si peu songé aux conséquences
D'actions qui tourneront à ton propre malheur !»
La lionne, à cet instant, reconnut la valeur
Des propos du chacal: elle avait fait offense
A l'équité, au droit, et elle était punie,
Par un juste retour, de les avoir trahis.
Renonçant à chasser les bêtes,
Dont la chair lui faisait horreur,
Elle voulut vivre une vie d'ascète,
Toute en dévotion, piété et ferveur,
Et s'en tenir aux fruits pour seule nourriture. Mais le chacal, qui s'en nourrissait lui aussi,
La vit, au fil des jours, passer toute mesure.
« Tu manges, lui dit-il, tant et tant de ces fruits,
Tu en laisses si peu ! A peine si l'on croit
Qu'il en est venu cette année ! Quand je te vois Manger des fruits, toi qui te nourrissais de viande,
Et retirer ainsi aux autres leur provende,
Tout devient clair: les arbres ne sont pas en cause,
Mais toi, toi seule ! Hélas, l'affreuse, horrible chose
Pour eux et ceux à qui ils assuraient la vie,

Cette vie qu'on leur vole, au mépris de tout droit!»
Et la lionne, laissant les fruits,
Se nourrit d'herbe, et s'en tint là.[1]

**اللّبؤة وابن آوى**

إذا قُمت بإيذاء الآخرين وفي المُقابل قاموا بجرحك

في هذا الحال يجب أن تصفح وتتنازل وتتوب

أفضل من النّدم واللّوم والحسرة

[1]André Miquel, La fontaine a bagdad : fables arabes d'Ibn al-Muqaffa, p11,114 .

هذا الموقف سيكسبك فائدة في المستقبل

بين مستنقع وحشيش وحطب تعيش لبؤة مع صغيريها
وفي يوم من الأيام غادرت للبحث عن فريسة وتركتهما
فوجدهما صياد وقتلهما بسهامه وسلخهما وذهب بجلودهم
فلما عادت اكتشفت المجزرة التي اصابت صغيريها
فقامت بالزئير والشكوى والتقلب على الأرض حُزنًا عليهما
فسمع صراخها من الجوار ابن آوى فذعر وأصابته الحيرة والقلق
إبن آوى للبؤة : ماذا حصل لك، ما هذا الحزن كله ؟
أجيبيني لكي أشاركِ همكِ وأخفف عنك
فقالت: ما من فقيرة مثلي فقد قتل صياد صغيراي الشبلين وسلخهم
إبن آوى: ولماذا هذا الصراخ كوني عادلة وانظري إلى الحقيقة
نعم الصياد قتل وهذا الفعل دنيء
لكن أنت كذلك قمتي بهذا الفعل عدة مرات
والألم الذي جاءك جراء فقدانك لصغارك
هو كله جزاءٌ لما فعلتي
من اللذين أخذتي منهم أحباءهم وقد ذاقوه قبلكِ من يعلم؟
إذًا تذكري هذا وقاومي بكل شجاعة وقاسي ما عاشه الآخرون
نحن نحصد ما نزرع فقط
بمقدار ما فعلناه حصادا كثيرا أو قليلا
وبما فعلناه عقوبة أو ثوابا
وحددي إذا كنتي تريدين أو مقتنعة بوجهة النظر هذه
كم عمرك، مائة عام على ماذا تتغذين

تعلم جيدًا بأنه من لحوم الحيوانات المتوحشة

إذن كيف تجعلين من هذا عملا لك ؟

هذه الحيوانات لها آباؤها وأمهاتها

ولم نسمع منهم أبدا أي انزعاج أو حزن أو صياح ... هذا صحيح ؟

وأنت الآن في هذه الحالة لم تفكري أبدا بعواقب أفعالك

التي ستعود عليك بالندم والتعاسة

اللبؤة في تلك اللحظة اعترفت بالقيمة التي قالها لها ابن آوى

واعترفت بإثمها وعوقبت والتزمت بالعودة للحق

وعدم الرجوع لخيانة الحيوانات والتخلي عن صيد الحيوانات

التي أصبح لحمها يثير قرفها وأرادت أن تعيش حياة راقية

وكلها إخلاص وتقوى و زهد

والتمسك بالغلة والفواكه للعيش فقط

لكن ابن آوى الذي كان يتغذى على الثمار

قال لها أنت تأكلين الكثير من الفواكه

لا أكاد أصدق لم تتركي إلا القليل من محصول هذا العام

أنتِ تأكلين الثمار بشراهة بينما أنت آكلة لحوم

وأنت بهذا تسلبين الآخرين معاشهم وهم الذين يتغذون على الثمار

والآن كل شيء أصبح واضحا ليست الأشجار هي السبب

بل أنت هي السبب بأكلك كل الثمار

نعم بالتأكيد لأنك مرعبة ومخيفة لهم

وقد تكلفينهم حياتهم أيضًا

وأنت بهذا أيضا قد سلبتي منهم حياتهم وحقوقهم

لهذا قامت اللبؤة بترك الثمار و تغذت على العشب فحسب

يمكننا ترصيع او وضع جوهرة داخل الرصاص
لن تفقد الجوهرة قيمتها أبدا ولن تعاني
في حين البقية سيثبتون بأنها مجرد حمقاء بحكم التعريف[1].

وضع ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة بأسلوب جديد لم يعرفه العرب من قبل، هو الحكاية على ألسنة البهائم والحوار بطريقة أدبية ممتعة، ظاهرها هزلي باطنها حكم ومواعظ وجعل أساس حكايات الكتاب يقوم على ضرب الأمثال، فكلّ قصّة تحتوي على الحكم والمواعظ، وفي القصّة التي بين أيدينا (اللّبؤة وابن آوى) جاءت الحكمة في مقدمتها وفي الخاتمة.

**رابعاً- الشّخصيات الرّمزية في الخرافة:** لا تخلو الخرافة من استعمال الرّموز والإيحاءات فالرّمز والإيحاءات بمثابة روح الخرافة، فقد أسهم غموضها في غناها و انتشارها في أوساط الأدباء و العامّة على حدّ سواء، فالرّموز والإيحاءات في نطاق الأفكار عامل صلة غني بالوساطة والتّماثل، ذلك أنّها تجمع المتناقضات و تنقص التّعارض[2]، فهي تعتمد أساسًا على ثنائية الحضور و الغياب أي حضور الحكاية بصفتها اللّسانية المنطوقة أو المكتوبة وَالمصرح بها، وغياب العبرة أو المعنى الذي لا يتم اكتشافه إلا باللّجوء إلى الرّمز، لذلك فإنّ حضور الحيوان في إطار الخرافة يحيل غالبًا إلى شخصيات ومواقف تقف خلف نص الحكاية[3].

---

[1] André Miquel, La fontaine a bagdad : fables arabes d'Ibn al-Muqaffa, p11-114.

[2] ينظر: لوك بِنْوا، إشارات رموز و أساطير، تر: فايز كم نقش، عويدات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2001، ص6.

[3] ينظر: بوخال مصطفى، رمزية الحيوان في التراث الشعبي العربي و الفرنسي، رسالة ماجستير، إشراف: شعيب مقنونيف، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان–، كلية الاداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، تخصص الأدب الشعبي المقارن، السنة الدراسية: 2010/ 2011م، ص30.

أشار ميكال إلى استعمال بيدبا حكيم الهند للرموز فقال: "وقد استخدم بيدبا الحيوانات والطيور كشخصيات رئيسية فيه، وهي ترمز في الأساس إلى شخصيات بشرية"[1] وأشار إلى استخدام ابن المقفع لها فقال: "مَارَسَ ابن المقفع التّلميح والتّصريح في كتاباته فهو ذو ثقافة عميقة تجد لقصصه دلالاتٍ رمزيةً عميقةَ المعنى"[2]، وقال:"معظم شخصيات قصص كليلة ودمنة عبارة عن حيوانات برية، فالأسد هو الملك وخادمه ثور اسمه شتربة وكليلة ودمنة: هما اثنان من حيوان ابن آوى وشخصيات أخرى عديدة، هكذا تدور القصص بالكامل ضمن الغابة وعلى ألسنة هذه الحيوانات"[3]، لذا تبوأ الحيوان في الخرافة مركز الصدارة، فهو الوسيط الذي يُحَمِّلَهُ الكاتبُ مسؤوليةَ تبليغ رسالته بمواقفها وأفكارها من خلال تبنيه كرمز، ولطالما حضر الحيوان في التّفكير الأسطوري للشّعوب باختلاف أجناسهم سواء قديمًا أو حديثاً فالخرافة أو الحكاية على لسان الحيوان هي خزان من المعاني صاحب الرّمز نشأتها وتداولها على مرّ الأزمان والعصور، غير أن هذه المعاني لم تكن شفافة على الإطلاق، فهي تشير إلى شيء، وتضمر آخرا، هذا ما يفسر ارتباط الرّمز الدائم بالخرافة[4].

فالرّمز هو "الإيحاء أو التّعبير غير المباشر عن النّواحي النّفسية المستمرة التي لا تقوم على أدائها اللّغة في دلالاتها، فالرّمز هو الصّلة بين الذات والأشياء بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النّفسية، لا عن طريق التّسمية والتّصريح[5]"، فكلمّا زادت نسبة استعمال الرّمز ازدادت قيمة الغموض والتّعقيد، وكبر تأثيرها على القارئ، وصار تعبيرًا لا شعوريًا يتجاوز الواقع إلى الإيحاء به، فهو يبدأ من الواقع، غير أنّه لا يرسمه، ولكنّه يرده إلى الذّات، وفي الذّات تنهار معالم المادة وعلاقتها الطبيعية، ذلك كي تقوم على أنقاضها

[1] André Miquel, La fontaine a bagdad : fables arabes d'Ibn al-Muqaffa, p1.
[2] Ibid, p2.
[3] Ibid, p2.
[4] ينظر: تريفي آلاء خديجة، ترجمة الرموز في فن الخرافة "les fables de la fontaine أنموذجا "دراسة تحليلية ومقارنة"، ص44.
[5] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص298.

علاقات جديدة مشروطة بالرؤية الذاتية[1]، ولكي يقوم الرّمز بأداء وظيفته في أرقى أشكالها وفي أتمّ صورة؛ فإنّه يحتاج إلى عقل مجددٍ وفكر مبدع، فالرّمز لا يتولد في ذهن الخامل أو ضعيف النّمو، فصاحب مثل هذا الذّهن سيلتقي بالرّموز الموجودة سلفاً في التّراث الثّابت ولن يستطيع أن يوجد رمزاً جديداً إلا صاحب الذّهن المتفتح[2].

يتميز الرّمز بعدة مميزات أسلوبية، وتقنيات فنية، بحيث لا يكون مجرد إشارة دلالية فحسب، بل أداة قوية تسمح للأديب بالتّعبير الكثيف عن كل ما يخالجه من أفكار وعواطف يرغب في إيصالها إلى القارئ والتّأثير فيه، ومن أهم هذه المميزات:

1- الغموض: ولا يقصد بالغموض الإبهام، وإنّما التّعبير بمعطيات الحواس والإشارات والتّلميحات.

2- الإيجاز: فالتّعبير المختصر عبارة عن دعامة أساسية من دعائم الرّمزية الأسلوبية.

3- الإيحاء: المراد به الاتكاء على لغة الإحساس كأداة تعبيرية، كاعتبار الصّوت والحركة وغيرها، فيتحقق ذلك بكون الرّمز مفتوحًا على مجموعة من الدّلالات المتنوعة[3]

لهذا سنعمد إلى تحليل الرّموز في قصة الدّيك والثّعلب التي سنوردها باللّغتين العربيّة والفرنسية قصد الوقوف على الأساليب والسّبل التي لجأ إليها ميكال عند ترجمته.

**Le coq et le renard**

Un renard affamé partit à l'aventure
Par une froide nuit d'hiver,
En quête d'une nourriture.
Il allait donc, et passait à travers
Un vaste domaine, où il entendit,
Dans un lentisque, un coq chanter
« o coq, dit-il, dans cette nuit

[1] ينظر: محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، سنة 1977م، ص141.

[2] ينظر: جبرا إبراهيم جبرا، الرحلة الثامنة، المكتبة العصرية، بيروت، سنة1967م، ص145.

[3] ينظر: تريفي آلاء خديجة، ترجمة الرموز في فن الخرافة "les fables de la fontaine أنموذجا "دراسة تحليلية ومقارنة"، ص20.

Si noire, et qui nous fait tous grelotter,
Pourquoi ce chant ?- C'est la nature qui le veut,
Répondit le coq: elle me révèle
Que le jour va poindre, et ainsi je peux
Annoncer à tous la bonne nouvelle.
- C'est clair : il y a en toi quelque don
Pour la prédiction et la prophétie, »
Comblé de joie, le coq à chanter se remit,
Tandis que le renard dansait, faisait des bonds
Sous l'arbre, et comme le coq s'étonnait:
« Je vois, dit-il, chanter un sage,
Toi, oui, et même davantage:
Un philosophe, et je suis stupéfait.
Que faire, sinon que danser pour toi,
Tout ainsi qu'il faut partager la joie
De ceux qui rient ? O prince des oiseaux,
De voler le ciel t'a fait don,
Mais tu es aussi le béraut
De qui le monde attend les prédictions.
Tu es prophète à ta manière !
Etre heureux entre tous, béni
Plus qu'aucun autre sur la terre,
Viens, je veux être ton ami !
Si tu sens en toi quelque réticence
A voir la chose aller si loin,

Descends cependant, et permets au moins
Que je baise avec révérence
Ce signe royal qui orne la tête
Du plus sage coq de la gent ailée ! »
Ainsi flatté, le coeur en fête,
L'oiseau descend, tend sa tête au baiser
Le renard se jette dessus,
Dévore le coq, d'un coup, et, repu :
« Qui était-ce ? dit-il. Un sot ?
Un sage à qui sagesse a fait défaut ? »[1]

[1] André Miquel, La fontaine a bagdad : fables arabes d'Ibn al-Muqaffa, p91-94.

**الدّيك والثعلب:**

في إحدى ليالي الشّتاء الباردة

جاع ثعلب فذهب للصّيد بحثًا عن الطّعام

وبينما هو يمشي فإذا به يسمع ديكا يغني فوق كوخ

فذهب إليه وقال نحن نرتجف من البرد وأنت تغني؟

فقال الدّيك: طبيعتي هي من تملي ذلك

تكشف لي بأنّ الفجر قد حان

وأنا أيضًا أعلن الأخبار السّارة الجديدة فقال الثّعلب

نعم واضح أنّ في داخلك شيء من التّنبؤ والنّبوة

فعم الفرح بينهما وبدأ الدّيك يغني والثّعلب يرقص

وبينما كان الدّيك مندهشًا ، قال الثّعلب بمكر

أنا أرى حكيمًا يغني أمامي وبدأ الثّعلب يمدح الدّيك

ويقول: أنت فيلسوف وقد جعلتك السّماء هدية

أنت من تغرس الفرح بين الجميع ولا أحد مثلك على الأرض

تعال وانزل من فوق الكوخ أنا أريد أن أكون صديقك لا تتردد

انزل واسمح لي بتقبيل رأسك ذو العلامة الملكية التي تزين رأسك

فنزل الدّيك من فوق الكوخ منزلاً رأسه بغباء ليقبله الثّعلب الماكر

فارتمى عليه الثّعلب والتّهمة دفعة واحدة من الجوع وقال

هل هذا الأحمق؟ حكيم يفتقر إلى حكمة؟[1]

تروي الخرافة قصّة ثعلب ماكر تظاهر بالمحبة والإخاء تجاه الدّيك رغبة في أكله وسدّ جوعه، فبينما هو يمشي وجد الدّيك فوق كوخ يغني، بادره بالحديث المعسول وبدأ يرقص

[1] André Miquel, La fontaine a bagdad : fables arabes d'Ibn al-Muqaffa, p91,94.

على ألحان الدّيك الطيب ويمدحه، وطلب منه أن ينزل إليه ليقبل رأسه حتى إذا نزل الديك تنقض عليه الثعلب الماكر والتّهمه دفة واحدة من الجوع، والرّموز المستخدمة في هذه الخرافة.[1]

1- الدّيك: يرمز الدّيك في الثّقافة الفرنسية والمسيحية إلى قيم إيجابية عديد منها: النّور والحق والفخر فيدل موقعه على قبة الكنيسة، كما يرمز إلى الواعظ الذي يعلن نور الحقيقة في ظلام هذا الكون، التصق الديك بالثقافة الفرنسية بشكل أكبر كون الكنيسة الكاثوليكية اعتمدته رمزًا دينيًا يتعلق بعودة المسيح وعلامة على بزوغ الفجر بعد الظلام، كما ارتبط الدّيك بالهوية الفرنسية ،فتم اعتباره شعارًا رسمي لدا سكان البلاد، فتمت طباعته على قطع النقود الذهبية في نهاية القرن التّاسع عشر وتمّ استخدامه رمزًا لمنتخب كرة القدم.

أمّا في الثقافة العربية فيرمز إلى البركة والنشاط فصوته يوقظ لصلاة الفجر، وصياح الدّيك يدل على أنّه رأى ملكًا من الملائكة قال رسول الله صلى اله عليه وسلم "إذا سَمِعْتُمْ صِياحَ الدّيك فاسألوا الله من فضله، فإنّها رأت ملكًا".[2]

2- الثّعلب: يقول الدّميري "والثّعلب سبع جبان مستضعف ذو مكر وخديعة، لكنّه لفرط الخبث والخديعة يجري مع كبار السّباع"[3] فارتبط اسم الثّعلب بالمكر والدّهاء منذ القدم، قالت العرب (كالثّعلب المكار) (أروغ من ثعلب)، وفي الثّقافتين العربية والفرنسية الثّعلب رمز للدّهاء والخداع.

في نهاية هذا المبحث نكون قد توصلنا إلى النّتائج التّالية:

1- الخرافة فنٌ من الفنون الأدبية التي لها قيمتها ومكانتها.

2- الخرافة فنٌ عالمي عرفته جميع أمم الأرض مُنذ القدم.

---

[1]Voir,cazemave michel, encyclopédie dés symboles, librairie Général francaise paris, 1996, p632.

[2] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر، دار طوق النجاة للنشر، بيروت، ط1، سنة2001م، ص938.

[3] كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، المكتبة العصرية، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، بيروت، لبنان،ج1، سنة 2008، ص277.

3- أعجب ميكال بفن الخرافة، خاصّة ما كان من خرافات ابن المقفع، ولافونتين.

4- الرّمز في الخرافة بمثابة الرّوح من الجسد، وهو متنوع، ولكن الحيوان يحتل فيه الدّرجة الأولي.

5- اشتمال الخرافة على المواعظ والحكم والأخلاق، ممّا جعل البعض يطلق على الخرافة الموعظةَ.

6- الغاية من الخرافة هي إيصال الموعظة والنّصيحة إلى المستمعين.

# الفصل الثالث:

# الشّعر العربي عند أندريه ميكال.

## المبحث الأول:

أصالة الشّعر العربي عند أندريه ميكال.

## المبحث الثاني:

ترجمة الشّعر العربي ودراسته ونشره عند ميكال.

## المبحث الثالث:

نظم الشّعر العربي عند أندريه ميكال.

# الـمبـحث الأول:

## أصالة الشّعر العربي عند أندريه ميكال.

**أولا- الرّؤية الاستشراقية للنّص الشّعري العربي:** الاستشراق هو دراسة ثقافة الشّرق وحضارته التي تميزه عن باقي الأمم الأخرى، ويأتي على رأس هذه البُنى الثقافية جمالية الأدب العربي الذي استأثر بنصيب وافر من هذه الدّراسة خصوصًا الشّعر الذي تُعد قراءته ومقاربته استلهاما لفهم جوهر الحياة الروحية والسّياسية والاجتماعية الحضارية للعرب فالشّعر على حدّ قول ابن قتيبة (276هـ) "معدن علم العرب ومقرّ حكمتها وديوان أخبارها ومستودع أيامها والسّور المضروب على مآثرها والخندق المحجوز على مفاخرها والشّاهد العدل يوم النفار والحجة القاطعة عند الخصام..."[1]، وقال التّبريزيّ عن الشّعر: "أفضل الأمم من كان به أمهر، وحظّه فيه أوفر، وهم العرب الذين جعلوه ديوانهم الذي به يحفظون المكارم والمناسب، ويقيّدون به الأيام والمناقب، ويخلدون به معالم الثّناء، ويبقون به مواسم الهجاء، ويضمّنونه ذكر وقائعهم في أعدائهم، ويستودعونه حفظ صنائعهم إلى أوليائهم"[2].

اتجهت أنظار المستشرقين إلى دراسة الشعر العربي وتحقيقه وترجمته لما له من مكانة ومنزلة رفيعة، لهذا لا يستطيع أيًا كان أن ينكر إسهامهم في دراسة الأدب العربي عمومًا والشّعر خصوصًا بمنهجيات لم يألفها أصحاب الشّأن فيه، فارتبط اسم بعض المستشرقين بالشّعر العربي كريجيس بلاشير، الذي كان عنوان أطروحته للدكتوراه "شاعر عربي من القرن الرّابع الهجري، أبو الطيب المتنبي" وكتابه "تاريخ الأدب العربي" ترجمه للعربيّة إبراهيم الكيلاني حيث جاء في كلامه المُوجه إلى القارئ الأوربي" إذا اعتبرنا أن كتاب الأدب العربي للمستشرق كليمان فإنّنا لانزال نفيد من مطالعة المقالتين القيمتين المليئتين بالمادة والمعلومات اللّتين كتبهما المستشرقين بروكلمان وكراتشوفسكي عن الأدب العربي في دائرة المعارف الإسلامية"[3].

---

[1] ابن قتيبة، عيون الأخبار، تح: يوسف الطويل، ج2، بيروت، سنة1986، ص200.

[2] الخطيب التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، دار الكتب، ج12، ص10.

[3] صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ج1، سنة، ص1978، ص160.

اشتهر المستشرق الألماني وليم بن الفورد (Wilhelm Ahlwardt) باهتمامه الشّديد بالشّعر العربي، حيث كان يكتب اسمه بالعربية في كل منشوراته عن الدواوين الشّعرية فنشر ديوان "العقد الثمين في دواوين الشّعراء الستّة الجاهليين" وديوان "طهمان الكلابي" وديوان أبو نواس وقام بتحقيق مجموعة من أشعار العرب أرفقها بشروح وفهارس وحقق كتاب "فتوح البلدان" وكتاب "أنساب الأشراف" ومن أهمّ مؤلفاته كتاب " شعر العرب وشاعريتهم" وكتاب مجموع أشعار العرب الذي يضم الأصمعيات وديوان العجاج وديوان رؤبة بن العجاج[1].

كتب المستشرق الفرنسي لاجرانج عدداً من البحوث والمقالات دافع بها عن محاسن الشعر العربي ودواوين الشعراء، وقام المستشرق الفرنسي كريستسان بونو (kristian Bono) بكتابة بحث عن شعراء العرب وأدبائهم، وقصة عنترة العبسي، نشره بالمجلة الأسيوية، عدد 1846م؛ وقام المسترق الفرنسي "باسه" بشرح قصيدة نهج البردة للبوصيري، وديوان أوس بن حجر، وديوان عروة بن الورد، وقام المستشرق لويس ماسنيون بتحقيق ديوان الحلاج "الطواسين"[2].

قام دي ساسي بدراسة معلقة لبيد، وجمع أفضل أشعار العرب، كما جمع منتخبات شعر ابن الفارض؛ فقام بترجمة الكثير من القصائد العربية، ذلك مثل قصيدة لبيد، وقصيدة الأعشى، التي مطلعها "ودِّعْ هريرة" ومختارات من شعر ابن الفارض[3]، واهتم المستشرق بروفنسال بالشّعر الأندلسي، فكتب حول شعراء مالطة في القرن العاشر، وشرح شارل بيلا قصيدة كعب بن زهير، كما شرح هُوارْتْ(Huart Clément) ديوان سلامة بن جندل، ودرس كانار (Marius Canard) شعر كلٍ من أبي فراس الحمداني، والمتنبي، وقام هنري بيريس

---

[1] نايف شقير، آلورد (وليم)، الموسوعة العربية، تمت الزيارة يوم 2022/08/20.
https://arab-ency.com.sy/ency/details/1923/3

[2] ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص187.

[3] ينظر: عبد الرؤوف خريوش، دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، العدد2009، ص409.
https://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy/article/view/976

(René Basset) بنشر ديوان كثير عزة ونشر أيضًا كتابًا حول الشّعر الفصيح في إسبانيا وكتابا عن الشّعر في فاس في عهد المرابطين والموحدين، وقام بدراسة عن الشّعر الأندلسي بالعربية الفصحى في القرن الحاد عشر الميلادي وخصائصه العامة، نال بها درجة الدكتوراه[1].

اهتم الاستشراق بالشّعر الحر أو المرسل أو المنثور، حيث يقول صالح طعمة: "لوحظ في السنوات الأخيرة إقبال متزايد على ترجمة ما نسميه بـ "الشّعر الحُر" بفضل الحضور أو الإسهام العربي في الغرب فتعددت الأعمال المترجمة لأمثال أدونيس (علي أحمد سعيد) وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي ومحمود درويش وصلاح عبد الصّبور"[2] فلاحظ أحمد سمايلوفيتش هذا الأمر منذ أكثر من خمس وعشرين سنة، حيث ذكر عدداً من الدراسات الاستشراقية حول الشعر العربي المعاصر، واستنتج قائلاً: "وهذا مما يدل على اهتمام الاستشراق البالغ بهذين الاتجاهين الرئيسين (الشعر المرسل والشعر الحر) في الشعر العربي المعاصر وتتبع الاستشراق المستمر له"[3]، ومن الشّعراء المحدثين التي اهتمت بهم المراكز الاستشراقية محمود درويش، ففي المؤتمر الذي عقد في بودابست حول الأدب العربي كان من بين المحاور محور "تجديد لغة الشّعر الحديث" والحديث عن الارستقراطية اللّغوية للشّعر الرّسمي الكلاسيكي.

يُعدّ ميكال من أبرز المستشرقين المعاصرين الذين اهتموا بالشّعر العربي، سواء قديمه وحديثه، فترجم مجموعة من الأشعار العربية إلى الفرنسية، بل وقام بكتابة الشّعر باللّغة العربيّة وترجمته بعد ذلك إلى اللّغة الفرنسية، وله كتابات في نقد بعض الأشعار العربية فميكال شخصية من الشّخصيات الموضوعية في دراسته للأدب العربي فهو محبٌ كثيراً للأدب العربي بجميع صوره وأشكال.

---

[1] ينظر: محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص137.

[2] مازن مطبقاني، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ط1، سنة2021، ص169.

[3] المرجع نفسه، ص169.

**ثانيا_ قضية أصالة الشّعر العربي عند المستشرقين:** ممّا اهتمّ به المستشرقون من قضايا الأدب العربي قضية الأصالة في الشّعر العربي، فتباينت مواقفهم بين مؤيّد ومعارض وهو شأن الأدباء العرب أنفسهم، فطَه حُسين مثلاً يرى أنَّ الشعر المنسوب إلى الشّعراء الجاهليين القدامى منحولاً لأسمائهم، ومصنوعًا عليهم، وعللّ ذلك بأنَّ الكتابة لم تكن موجودة قبل الإسلام في شمال شبه الجزيرة العربية، فهذا الأمر عند أستاذه المستشرق مرجليوت حيث شكّك في وجود شعر جاهلي.[1]

يبدو أنَّ المستشرق الألماني تيودور نولدكه ( Nöldeke Theodo) أول من فتح باب البحث في هذه المسألة في العصر الحاضر فلفت الأنظار إلى هذه القضية سنة 1864م تحدث عن اختلاف الرّوايات وتضاربها وحول صحّة الشّعر العربي ومصداقية نصوصه وتحدث عن تداخل الشّعر بعضه في بعض الأحيان، حيث يدخل الشّاعر أبيات من شعر غيره في شعره وينسبها إليه، وكذلك تغيير في الأشعار والأبيات المنظومة بلهجات القبائل لجعلها موافقة للعربية الفصحى.[2]

يبقى رأى نولدكه مجرد تأويل دون الوصول إلى نتيجة مطلقة، ذلك لعدم البحث في دراسة هذه الأشعار، وبعده بثماني سنوات نشر وليم الوارد دواوين الشّعراء السّتة، لزهير بن أبي سُلمى والنّابغة الذّبياني، وطرفة بن العبد، امرئ القيس وعلقمة بن عبده، وعنترة بن شداد، توصل إلى أنَّ القصائد المروية غير موثوق بصحتها سواء من ناحية المؤلف، أو ظروف النظم، أو ترتيب الأبيات ويقر أنَّ عدداً قليلاً من القصائد صحيح، ولكن ترتيب الأبيات يخيّم عليه الشّك.[3]

---

[1] عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، سنة 1979م، ص127.

[2] ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط5، ج1، سنة 1977م، ص64.

[3] ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص64.

ذهب بعض المستشرقين إلى أصالة الشّعر العربي الجاهلي، من هؤلاء تشارلز لايل (Charles James Lyall)، و وجولد تسيهر، وغيرهما، وأكّد هذا الفريق على أنَّ القول بانتفاء الكتابة قبل الإسلام في شمال شبه الجزيرة العربية أمرٌ غيرُ صحيح، فبروكلمان، و برونليش (Erich Bräunlich) أثبتا وُجود الكتابة في شمال شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام[1]، كما يرى مرجليوث صحة الافتراض القائل بأنَّ الشّعر والنّثر المسجوع كلاهما مستمدان من القرآن وأنَّ المحاولات الأدبية التي سبقت القرآن كانت قليلة، كما هو الشّأن بالنّسبة للفنِّ[2].

للمستشرقين كتابات كثيرة في هذا الشّأن، ومنها "في مسألة صحة الشّعر الجاهلي" أ.برونيلش (Erich Bräunlich)، و"الرّواية والرّواة عند العرب" تأليف أوجست اشبرنجر (aloys sprenger) ، و"التّأثيرات الوراثية والمشاكل التي تصنعها رواية الشّعر العتيق" تأليف ريجيس بلاشير، نشرت في مجلة "دراسات عربية وإسلامية ليدن أبريل 1965م، و "استعمال الكتابة لحفظ الشّعر القديم"، تأليف فريتس كُرِنْكُو(Fritz Krenkow) ، نشر في المجلد التّذكاري ، يرى بلاشير أنَّ الخلاف حول موضوع انتحال الشّعر العربي الجاهلي لا أهمية له، بقدر ما تحدث هذه النّحول تغيرات في موضوع أو فكرة القصيدة، فأشار إلى أنَّ النقاد القدامى قد أقروا بعجزهم عن اكتشاف تلك الانتحالات، ويتساءل قائلاً: فكيف يتسنى للمحدثين بعد مرور أكثر من ألف عام معرفة الصّحيح والوقوف عنده؟[3].

لا بُدّ من الإشارة إلى أنَّ البحث في قضية أصالة الشّعر العربي بدأت في القرن الثّالث الهجري، عند محمد بن سلام الجمحي في كتابه "طبقات الشّعراء" يذكر فيه أسباباً عدّة لانتحال الشّعر منها: كذب الرّواة للتّكسب بالرّواية، وضع الشّعر على لسان الشّعراء الكبار مدحًا في الأجداد وتملقًا لذوي السّلطان من المعاصرين طمعاً في نيل عطائهم، كما حدث لحماد في

---

[1] ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص64.

[2] ينظر: عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ص127.

[3] ينظر: أكرم عبد الله محمد العوسجي، دراسات المستشرقين للشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه، إشراف: إيمان كمال مصطفي المهدوي، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، تخصص أدب جاهلي، العراق، السنة الدراسية: 2008/ 2009م، ص236.

تأليفه قصيدة في مدح أبي موسى الأشعري، ونسبتها إلى الحطيئة، طمعاً في نوال الأجر ونوال رضا أبي بردة، فالنّتائج التي انتهى إليها ابن سلام الجمحي والأسباب التي ساقها لبيان منشأ الانتحال والتزييف والزّيادة في الشّعر الجاهلي، هي نفسها النّتائج والأسباب التي أوردها طه حسين في كتابه "في الشّعر الجاهلي"، وهنا يتساءل بدوي في كتابه "دراسات المستشرقين حول صحة الشّعر الجاهلي" "علام إذن كل هذه الضّجة الزّائفة التي أثيرت حول هذا الكتاب حتى نعتوا صاحبه بما شاءوا من النّعوت؟ فاتهموه بالمروق والتّهجم على التّراث العربي العريق والرغبة في تحطيم أمجاد العرب والانسياق وراء مؤامرات المستشرقين، فهل كان ابن سلام الجمحي مستشرقًا هو الآخر ومتآمراً على التّراث العربي القومي؟"[1] فالكلام سبق أن قاله علماء الأدب واللّغة القدماء منذ القرن الثاني للهجرة، والنّتائج التي وصل إليها المستشرقون لا تزيد كثيرا عمّا وصل إليه ابن سلام قبل ذلك بأكثر من عشرة قرون، إنّما امتازت أبحاثهم بالاستناد إلى وثائق التاريخية، ونتائج اكتشاف لغات في شبه الجزيرة العربية بفضل ما جمع من نقوشها.

**ثالثا_ موقف ميكال من قضية أصالة الشّعر العربي:** عندما نأتي لموقف ميكال من قضية أصالة الشّعر العربي، نجده يتحدث عنه باستفاضة، فتحدث عن الشّعر الذي نشأ في بلاط الغساسنة بالشّام، والشّعر الذي نشأ بالحيرة عاصمة اللّخميين بالعراق، بين أنَّ معاني الأخير لا تختلف كثيراً عن الشّعر الذي هو معروف في شبه الجزيرة العربية، بيد أنّه استطاع إدخال كلمات أجنبية مقتبسة من المسيحية أو الفارسية وغيرهما، وتكلم عن الظّروف التي نشأ فيها الشّعر العربي الجاهلي، فأبدى إعجابه بالتّناسق الكامن فيه، فهذا يدل دلالة واضحة على أنَّ ميكال يرى صحة الشّعر العربي الجاهلي، وأنّه أصيل وليس منحولاً على شعراء الجاهلية ولا مصنوعاً عليهم[2].

---

[1] عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ص127.

[2] ينظر: أندريه ميكال، الأدب العربي، ص17.

أوضح ميكال من خلال حديثه عن شعر مجنون ليلى أنَّ بعض شعره أصيلاً والبعض الأخر منحولاً، فهو يرى أنَّ هناك من الشّعر الجاهلي ما هو منحولٌ، ولكنّه في نفس الوقت يقرُّ بأصالة بعض الأشعار الجاهلية[1].

وأمّا بالنّسبة لخصائص الشّعر العربي عند ميكال فإنَّه يرى أنَّ علاقتها بشعر البادية أكثر منه بشعر الحضر، فالشّعر مرآة المجتمع؛ حيث يصور الشّاعر فيه كل ما هو موجود في البيئة، بجميع أشكاله وصوره، وحركاته وسكناته، لهذا فإنَّ من أول خصائص الشّعر العربي عنده الوجدان والصّدق، فالشّاعر البدوي العربي يعيش لقبيلته ويموت في سبيلها ويكافح وينافر من أجل بقائها، فيقول: "فإنَّ الشّاعر رئيسا كان أم لم يكن، هو يمثل الجماعة ويتغنى بحياتها، وقيمها ومواقف يأسها، وانتصاراتها وحالات غضبها..."[2].

يرى ميكال أنَّ ممّا يتميز به الشّعر العربي التلقائية، فالشّاعر قد ينطق بشعر الغزل أو المدح والثناء، أو الهجاء دون تحضير مسبق، فالصّنعة والفن والإلهام تعود إلى التّمكن الذي يظهره الشّاعر، ذلك في دور أفضل ممّا يقوم به غيره في قوالب، وبالاعتماد على ذخائر أقرها الذّوق العام[3]، ومن خصائص الشّعر العربي الجاهلي عند ميكال اعتماده على حاسة النّظر والماورائية، مع التصاقه بالحياة البدوية وعدم انفكاكه عنها في الغالب[4]، أمّا من خصائص الشّعر العربي الإسلامي وجود بعض الحكم فيه، حيث الحديث عن الأقدار وكونها بيد الله تعالى، والبُعد عما فيه شركيات...[5]، ومن خصائص الشّعر العربي عنده كذلك أنَّ الصور والأوصاف والتّخلص والعبارات فيه تعود إلى رصيد واحد من الطرق المعهودة بها صناعة الشّعر، واللّغة العربية هي الدّاعمة لهذا الانسجام[6].

---

[1] ينظر: أندريه ميكال، العالم والبلدان، دراسات في الجغرافية البشرية عند العرب، ص8.

[2] أندريه ميكال، الأدب العربي، ص21.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص24.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص22.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص23.

[6] ينظر: أندريه ميكال، الأدب العربي، ص23.

يعتبر ميكال واحداً من المستشرقين الذين تبحروا في دراسة تاريخ الشّعر العربي ففي كتابه "الأدب العربي" قام بكتابة تاريخ موجز للشّعر العربي، ذلك بجميع صوره وأشكاله فتحدث عن مدى تأثر الشّعر العربي بالمعاني السامية التي جاء بها الإسلام، وأوضح أنّ الشّعر لم تضعف مكانته بظهور الإسلام، ولم تتأثر خصائصه، خاصّة شعر البدو، وتحدث عن مكانة المرأة البدوية الشّاعرة، وبين أنّ لها أهمية وحرية أكبر ممّا للحضرية في هذا المجال، فأوضح أنَّ توسع رقعة الإسلام أدت إلى زيادة الرقعة التي انتشر فيها الشّعر العربي، كما أنّه تحدث عن أقسام الشّعر، وأوضح أنّ القصيدة قد نالت حريةً وتنوعًا أكبر من حيث بنائها[1].

تكلم عن التلقائية في الشّعر وأناشيد الرّقص والعمل ونحو ذلك، وأشار إلى أنّ التّمكن الذي يظهره الشّاعر له أثر على الصّنعة والفن والإلهام يفوق أثر الحرّية المطلقة، فأشار إلى المعلقات السبع وأصحابها، ثم تطرق في الحديث عن الشّعراء الصّعاليك، فذكر بعضهم وعرَّج على ذكر الشّعر النّسائي، وبعد فراغه من الحديث عن شعراء البادية، تطرق للحديث عن شعراء المدينة، وذكر بعضهم ومكانتهم في عشيرتهم[2]، وتحدث عن الشّعر العربي في العصر الأموي، كما ذكر الشّعر الشّامي والعراقي والشّعر الغزلي في الحجاز، وانتقل بعد هذا إلى الحديث عن الشّعر العربي في العصر العباسي، وتحدّث عن شعر اللهو، والشّعر المحافظ، والشّعر الأخلاقي والدّيني، والشّعر الأندلسي[3].

استعمل ميكال في حديثه عن الشّعر في الفصل الثّالث من كتاب" الأدب العربي" الأسلوب الشّاعري بدوره، خاصّة في تحليله مكانة الشّعر في المجتمع العربي عامّة، فركز على تأثير الشّعر الغربي في الشّعر العربي الحديث، وتحدّث عن النّهم الذي عند العرب بمختلف وظائفهم وتوجهاتهم، وأوعز السّبب في ذلك إلى قوة التّقاليد التي يرجع عهدها إلى

---

[1] ينظر: أندريه ميكال، الأدب العربي، ص23.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص27.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص32.

أكثر من ألف سنة، وذكر أن قوة الشّعر في البيئة العربية تعود إلى أنَّ إحاكة عبارته كانت دائمًا بصورة عفوية ومنسجمة مع انفجار الصرخ، وتحدث عن القصيدة الغنائية وكيف دخلها التّجديد مع المحافظة على الموروث القديم، وعرَّج فيه على ذكر شعر المهجر، وتأثيره على الشّعر النّاشئ في البلاد العربية، وأنّه لعب دور المنشط له[1].

أحاط أندريه ميكال بالشّعر العربي القديم كما رأينا بعناية خاصّة، حيث ترجم العديد من النّماذج الكبرى له في منتخبات جماعية، وقد جمع أعماله حول الشّعر العربي في كتابين، أحدهما "العرب والعشق" بالتّعاون مع "حمدان الحجاجي"، والثّاني "من صحراء جزيرة العرب إلى حدائق الأندلس"، أضاف بعد ذلك إليهما منتخبات فردية في العديد من الكتب منها قصائد مختارة لأبي العتاهية، ولابن زيدون، وغيرهما، وخصّ بعض الشّعراء المُحدثين بكتاب، وهو السّياب.

أعرب ميكال عن انجذاب خاص لديه لتجربة العشق والشّعر المزدوج عند مجنون ليلى والذي بعض شعره منحولاً، والبعض الأخر أصليًا، حيث قام بدراسة عُنوانها "المجنون وليلي الحُبّ المجنون"، بالتّعاون مع "بيرسي كيمب"، وقام أيضاً بكتابة سيرة له بعنوان "ليلي عقلي"، ولم يكتف بذلك، بل بلغ من إعجابه لشخصية "مجنون ليلى" أن عمل مقارنة لعشقه لليلي بقصّة عشق " تريستان وإيزوت"، وذلك في كتاب بعنوان "قصتا عشق من المجنون إلى تريستان"[2].

يقول في ذلك: "يهمّني مجنون ليلى على صعيد الشّخصي، أولًا لأنّه مجنون، وثانيًا لأنّه يمثّل رغبة شخصية لي، فحين كنت مراهقًا انجذبت بشكلٍ قويّ إلى الحبّ المستحيل خصوصًا قصّة تريستان وإيزوالت، وروميو وجولييت إلخ... في قرارة نفسي قلت إنّي مع قصّة المجنون، أنا في حضرة أحد الممهّدين للحبّ المستحيل، فهذا الأخير هو الحبّ المثالي

[1] ينظر: أندريه ميكال، الأدب العربي، ص111.

[2] ينظر: أندريه ميكال، مجنون ليلى وتريستان، ص8.

الوحيد، والحبّ المثالي حبّ مستحيل"[1]، واهتمام ميكال بقيس بن الملوح، الملقب بـ"مجنون ليلى"؛ دليل على مدى حساسيته المرهفة، بل وشاعريته ونزعته الإنسانية الفياضة.

[1] ينظر: معطي قبال، أندريه ميكال... هكذا كلّمني الشرق، تمت الزيارة يوم: 2021/09/19.

# المبحث الثاني:

ترجمة الشّعر العربي ودراسته ونشره عند ميكال.

نجد أندريه ميكال شاعرًا يكتب الشّعر باللّغتين الفرنسية والعربية، فهو من المستشرقين العاشقين للأدب العربي بجميع صوره وأشكاله، وقد درس الشّعر الغزلي العربي القديم خاصةً شعر عنترة ومجنون ليلى وقيس بن ذريح، فكانت له محاولات متواضعة في كتابة الشعر باللغة العربية، كما قام بترجمة أشعار قيس بن الملوّح، وأبي فراس الحمداني، وأبي العتاهية وبدر شاكر السيّاب.

يقول في مقدمة كتابه une anthologie de la poésie arabe classique "الشعر العربي ثروة كبيرة ...ويصعب البحث فيه، سنقوم بمحاولة طرح وتقديم جميع أنواع الشّعر وبكل الأساليب المُمكنة وبكل الفروق الدّقيقة اللامنتهية التي جاءت على مرّ القرون مع الاخلاص دائمًا إلى الأساس أو الأصل، ولكن الاكثر أهمية في نظرنا اليوم هو اكتشاف، وبصوت واحدٍ، الأسئلة التي يطرحها الإنسان أينما كان عن مصيره، لذلك كلّ الأعمال والدّراسات المتعلقة بالحوار بين الحضارات صعبة لأنّها بحثٌ عن أصول وعادات موثقة ومرسخة ومحاولة إيجاد فكر موحد بين الشّعوب المختلفة الثّقافات واللّغات، و لهذا تعتبر هذه الدّراسات ضرورية، وينبغي الاعتراف بجهود المُترجم وقيمته على النّحو الواجب والصّفحات الموجودة في هذا الكتاب ستفتح آفاقًا جديدة ومألوفة للقارئ".[1]

سنورد بعض الأبيات الغنية بالصّور البلاغية والشّعرية من كتابة مختارات من الشّعر العربي الكلاسيكي une anthologie de la poésie arabe classique، هذا الكتاب الذي جمع فيه مجموعة من الأشعار العربية ابتداءً من العصر الجاهلي إلى العصر الدّول والإمارات، حيث جاء في تقديمه "أردنا أن نأخذ بعين الاعتبار التّنوع الشّعري والجوانب الأساسية والأنواع المختلفة من الشّعر العربي الكلاسيكي، من شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام من القرن السّادس إلى الأمويين في دمشق، وننتقل إلى العباسيين في بغداد، ومن ثمّة إلى المماليك في مصر وملوك الطوائف في الأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي أي من الشّاعر و الأمير البدوي امرؤ القيس إلى ابن زيدون الأندلسي، هذه المجموعة الشّعرية

[1] andré miquel, Ors et saisons Une anthologie de la poésie arabe classique, sindbad, france,2006, p09.

تدعو القارئ إلى رحلة أدبية عبر خمسة قرون من الزمن وأربعة وعشرون شاعرًا عربيًا، لذلك سنحاول دراسة ووصف وتصنيف هذا الشعر "[1]سنلاحظ كيف تفاعل ميكال مع سياقها التّخيلي وإعادة بناء معناها من خلال عملية التّرجمة والتأويل، والتي ستكشف لنا من جديد وفي لغة الآخر عمّا تحمله هذه النّصوص من طاقة جمالية وتخيلية.

بدأ ميكال مجموعته الشّعرية المترجمة إلى الفرنسية بالشّاعر الكبير امرؤ القيس، حيث قال فيه بعد تعريفه "يعتبر امرؤ القيس مثالاً أو نموذج لشعر ما قبل الإسلام، فقد وضع بصمته على مرّ القرون، وكان الهدف الأساسي لشعره هو الغزل والوصف، ويتضمّن الوقوف على الأطلال ووصف الخيل واللّيل ورحلة الصّيد المحفوفة بالمخاطر، وكان يكره رغد العيش وهشاشة حياة القبيلة، وكان شعر الغزل عند امرؤ القيس فاحشًا يحكي تفاصيل قصصه الغرامية، وكان بذلك من أول شعراء العرب الذين اتّبعوا هذا الأسلوب مخالفًا بذلك التّقاليد المُتعارف عليها، فذاع صيته باللّهو والمجون".[2]

**أولا- نموذج من ترجمة ميكال لأبيات امرئ القيس:** أورد ميكال شعر امرؤ القيس في مجموعته الشّعرية المترجمة إلى الفرنسية محاولاً التّوفيق بين البيت الفرنسي مع شطر البيت العربي (الذي يتراوح بين اثني عشر إلى خمسة عشر مقطعًا في المتوسط) مع احترام الأسلوب الخاص بالشّاعر من إطناب وإيجاز وبلاغة، لا زيادة ولا زخرفة إضافية.

Que de jours de plaisir j'ai passés,
et de nuits, Aux côtés d'une amie pure comme une image.
Le soir, pour son conjoint, son visage relui
omme une lampe à huile aux doux reflets volages.
Des braises serties cle racines de bois vert
Parent son col ardent de perles altières
Qu'ont artisées le vent de l'est et l'aquilon
Pour celui qui revient d'un périple trop long.
Son sourire éclatant, ses douces mains coquettes
Ravissent mon regard, me font perdre la tête.

[1] andré miquel, Ors et saisons Une anthologie de la poésie arabe classique, p12.
[2] Ibid, p19.

Elle sort parfumée et balance, divine,
Ses hanches épanouics et sa taille feline
El deux tendres monticules de sable, ronds.
Apies à réjouir deux enfants et leurs bonds.
Et lorsque son conjoint veut la déshabiller
Elle acquiesce avec grace et sans se récrier.
Un jour, j'ai songe à la chaleur de son few;

D'Adhri'ât à Yathrib, il y avait mille lieues*
D'un regard enflamméj'ai contemplé le ciel
El me suis retrouvé en pensée auprès d'elle.
Les étoiles semblaient m'inviter au voyage
Leur lueur m'indiquait clairement le passage
Telles ces lampes que les moines font briller
Tout le long du chemin pour les caravaniers.
Petit à petit, comme une bulle s'élève
Je m'élevai vers elle à l'heure où les gens rêvent.
Elle me dit : Par Dieu, respecte ma vertu.
As-tu perdu l'esprit? As-tu juré ma fin?
Ces causcurs répandus dans la nuit, les vois-tu
Et le camp tout autour qui bavarde sans fin?
Je lui dis en jurant, la main droite levée,
Que je demeurerais planté là, bien rivé,
Quand bien, pour cet amour si inconsidéré,
L'on trancherait ma tête et l'on m'écorcherait.
Je lui servis, par Dieu, ce mensonge clonté:
Ecoule, chacun dort, nul n'est à redouter.
Après que l'on se fut confondu en paroles,
Elle se fit docile et encor plus frivole.
Je la tirai à moi, tige souple et liante
Coiffée d'une ramée de palmes ondoyantes.
Nous nous livrâmes à de petits jeux exquis
Et nos mots n'étaient plus que tendres chuchotis,
Je dus l'apprivoiser; clle, si difficile,
Se laissa bien mener; je la rendis docile.
Nous voici amoureux. Mais son pauvre mari
Broyait du noir, amer et sombre, et tout marri.

Il râlait et grognait comme le chamelon
Etouffé par le mors rechigne à son bridon.
Voudrait-il me tuer? Ce n'est pas un tueur.
El comment me tuer? Je dors à la lueur
D'une lame qui tranche et mes flèches percantes
Pointent des griffes bleues de goules repoussantes.
Lui qui n'a nulle lance ou trait à me jeter
Qui ne manic pas l'arc, qui ne porte aucune arme,
Lui, vouloir me tuer ! Au contraire, mon charme
Vient de rallier à soi une autre âme envoûtée.
La chamelle assoiffée ainsi s'en va chérir
Celui-là qui l'abreuve et vient, la rafraichir.
Mais elle sait, Salma; malgré qu'il soit le sien Que
son brave mari erre et n'en fera rien.

حاول ميكال تقديم للقارئ الفرنسي قصيدة تُشبه القصيدة الفرنسية، بمعنى نصّ كان قد قرأه، بذلك يُكسِب الشّعر العربي حُلّة جديدة تؤثر في قارئه الغربيّ فيؤتي ثماره.

**أبيات امرؤ القيس**

و يا رُبَّ يَومٍ قَد لَهَوتُ وَلَيلَةٍ***بِآنِسَةٍ كَأَنَّها خَطُّ تِمـــــــثالِ
يُضيءُ الفِراشُ وَجهَها لِضَجيعِه***كَمِصباحِ زَيتٍ في قَناديلِ ذَبّـالِ
كَأَنَّ عَلى لَبّاتِها جَمرَ مُصطَلٍ***أَصابَ غَضىً جَزلاً وَكَفَّ بِأَجذالِ
وَهَبَّت لَهُ ريحٌ بِمُختَلَفِ الصَو***صَباً وَشِمالاً في مَنـــــازِلِ قَفّالِ
ومِثْلِكِ بَيضاءِ العوارِضِ طَفْلةٍ ***لعوبٍ تُنَسّيني، إذا قُمتُ، سِربالي
إذا ما الضجيعُ ابتزها من ثيابها***تَميلُ عَلَيهِ هُونَةً غَيرَ مِجْبالِ
كَحَقفِ النَقا يَمشي الوَليدانِ فَوقَهُ***بِما اِحتَسَبا مِن لينِ مَسٍّ وَتَسهالِ
إِذا ما الضَجيعُ اِبتَزَّها مِن ثِيابِه***تَميلُ عَلَيهِ هَونَةً غَيرَ مِجـــبالِ
تَنَوَّرتُها مِن أَذرُعاتٍ وَأَهلُه***بِيَثرِبَ أَدنى دارَها نَظَرٌ عـــــالِ
نَظَرتُ إِلَيها وَالنُجومُ كَأَنَّه***مَصابيحُ رُهبانٍ تَشُبُّ لِقَفـــــّالِ

سَمَوتُ إِلَيها بَعدَ ما نامَ أَهلُه***سُموَّ حَبابِ الماءِ حالاً عَلى حالِ
فَقالَت سَباكَ اللَهُ إِنَّكَ فاضِحي***أَلَستَ تَرى السُمّارَ وَالناسَ أَحوالي
فَقُلتُ يَمينَ اللَهِ أَبرَحُ قاعِد***وَلَو قَطَعوا رَأسي لَدَيكِ وَأَوصالي
حَلَفتُ لَها بِاللَهِ حِلفَةَ فاجِر***لَناموا فَما إِن مِن حَديثٍ وَلا صالِ
فَلَمّا تَنازَعنا الحَديثَ وَأَسمَحَت***هَصَرتُ بِغُصنٍ ذي شَماريخَ مَيّالِ
وَصِرنا إِلى الحُسنى وَرَقَّ كَلامُن***وَرُضتُ فَذَلَّت صَعبَةٌ أَيَّ إِذلالِ
فَأَصبَحتُ مَعشوقاً وَأَصبَحَ بَعلُه***عَلَيهِ القَتامُ سَيِّئَ الظَنِّ وَالبالِ
يَغُطُّ غَطيطَ البَكرِ شُدَّ خِناقُهُ***لِيَقتُلَني وَالمَرءُ لَيسَ بِقَتّالِ
أَيَقتُلُني وَالمَشرَفِيُّ مُضاجِعي***وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ
وَلَيسَ بِذي رُمحٍ فَيَطعَنُني بِهِ***وَلَيسَ بِذي سَيفٍ وَلَيسَ بِنَبّالِ
أَيَقتُلَني وَقَد شَغَفتُ فُؤادَه***كَما شَغَفَ المَهنوءَةَ الرَجُلُ الطالي
وَقَد عَلِمَت سَلمى وَإِن كانَ بَعلُه***بِأَنَّ الفَتى يَهذي وَلَيسَ بِفَعّالِ

**ثانيا– نموذج من ترجمة ميكال لأبيات طرفة بن العبد:** انتقل ميكال إلى ترجمة أبيات طرفة بن العبد، واختار أبياتًا في وصف الخمر والافتخار بها وتأثيرها عليه، حيث يقول في تعريفه لطرفة "طرفة مثل امرؤ القيس كاتبٌ للمعلّقات السّبعة العظيم قبل الإسلام، ويُعدّ طرفة من الأسلاف في شعر المُجون العربي بالنّسبة له الخمر ليس فقط ذريعة للشّعر الوصفي، بل مُتعة تُربي الرّوح وتركز على كلّ فلسفة في الوجود".[1]

Vivent les libations, vive la volupté !
J'ai vendu tout mon bien, acquis ou hérité,
Au point que ma tribu entière m'a renié
Comme on remise au loin un chameau goudronné.

[1] andré miquel, Ors et saisons Une anthologie de la poésie arabe classique, p25.

Les pouilleux cependant ne m'ont pas condamné
Ni les hôtes cossus des tentes satinées.
Toi qui blâmes les jeux d'armes, la volupté
En échange, offres-tu quelque immortalité ?
Certes, si tu ne peux repousser mon trépas
Laisse-moi la jouissance et l'oubli ici-bas.

Si trois choses manquaient à mon jeune bonheur,
Point ne me soucierait l'ultime visiteur.
C'est d'abord : devancer les reproches d'un trait
En lampant ce vin frais qui pétille à souhait
Et encore: jaillir ! secourir qui m'appelle
Comme un loup qu'on excite et que la soif barcèle.
Et enfin: dissiper l'ennui d'un ciel voilé

Auprès d'une beauté sous un mât bien dressé,
Ronde tel l'asclepias aux ramures tressées
D'où pendent en parure anneaux et bracelets.

L'homme généreux à son gré se désaltère;
Qui de nous aura soif, si demain on l'enterre?
La tombe de l'avare inquiet pour son argent,
La tombe de l'oisif qui prodigue à tout vent,
Toutes deux, à mes yeux, ne sont qu'un tas de terre
Qu'une dalle a scellé, sourde stèle de pierre.
La mort nonchalamment fauche le généreux
Et dérobe au mesquin son bien le plus précieux.
La vie est un trésor qui décroît chaque nuit;
Comme le temps nous presse, et que les jours s'enfuient!
La mort, si l'on diverge, en longe nous maintient:
Ballante d'un côté, de l'autre bien en main,
Sa laisse, un jour, se tend, nous ramène à la mort
Et ceux pris dans ses rets souffrent le même sort[1]

[1] andré miquel, Ors et saisons Une anthologie de la poésie arabe classique, p25.

**أبيات طرفة بن العبد**

وَما زَالَ تَشْرَابِي الخُمُورَ وَلَذَّتِي***وبَيْعِي وإنْفَاقِي طَرِيْفِي ومُتْلَدِي

إِلَى أنْ تَحَامَتْنِي العَشِيْرَةُ كُلُّهَا***وأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ البَعِيْرِ المُعَبَّدِ

رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لاَ يُنْكِرُونَنِي***ولاَ أَهْلُ هَذَاكَ الطِّرَافِ المُمَدَّدِ

أَلاَ أَيُّها اللائِمي أَشهَدُ الوَغَى***وَأَنْ أَنْهَل اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

فإنْ كُنْتَ لاَ تَسْطِيْعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي***فَدَعْنِي أُبَادِرُهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

وَلَوْلاَ ثَلاثٌ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الفَتَى***وَجَدّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِي

فَمِنْهُنَّ سَبْقِي العَاذِلاتِ بِشَرْبَةٍ***كُمَيْتٍ مَتَى مَا تُعْلَ بِالمَاءِ تُزْبِدِ

وَكَرّي إِذَا نَادَى المُضَافُ مُجَنَّباً***كَسِيدِ الغَضَا نَبَّهْتَهُ المُتَوَرِّدِ

وتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ***بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الخِبَاءِ المُعَمَّدِ

كَأَنَّ البُرِيْنَ والدَّمَالِيْجَ عُلِّقَتْ***عَلَى عُشَرٍ أَوْ خِرْوَعٍ لَمْ يُخَضَّدِ

كَرِيْمٌ يُرَوّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ***سَتَعْلَمُ إِنْ مُتْنَا غَداً أَيُّنَا الصَّدِي

أَرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخِيْلٍ بِمَالِهِ***كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي البَطَالَةِ مُفْسِدِ

تَرَى جُثْوَنَيْنِ مِن تُرَابٍ عَلَيْهِمَا***صَفَائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيْحٍ مُنَضَّدِ

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ ويَصْطَفِي***عَقِيْلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ

أَرَى العَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ***وَمَا تَنْقُصِ الأَيَّامُ وَالدَّهْرُ يَنْفَدِ

لَعَمْرُكَ إِنَّ المَوتَ مَا أَخْطَأَ الفَتَى***لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ بِاليَدِ

فَمَا لِي أَرَانِي وَابْنَ عَمِّي مَالِكاً***مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عَنِّي ويَبْعُدِ

كان طَرفة بن العبد في تجربته الشّعرية والحسّية والفلسفية شبيهًا إلى حدّ كبير بالشّاعر الفرنسي رامبو (Arthur Rimbaud)، ربّما لهذا فتن به ميكال لذا يقول بجامعة وهران، في

نهاية السّبعينيات، "إنّنا إذا ما ترجمنا شعر طرفة بن العبد إلى الفرنسية أو الإنجليزية ستكون قصائده ذات قيمة حداثية لا تقل عن قيمة شعر أكبر شعراء المعاصرة في القرن العشرين"[1]

**ثالثا- نموذج من ترجمة ميكال لأبيات جميل بثينة:** أعجب ميكال بجميل بثينة فترجم له أبيات شعرية في كتابه الشّعر العربي الكلاسيكي وقال في تعريفه له "شعر جميل يتميز بالرّغبة والحب...، تُعتبر أغانيه في الثقافة العربية تقليد لغوي غنائي يبرز الحب العذري، ويذكرنا بالحبّ الأفلاطوني لليونانيين ويُعلن الحبّ المهذب المسيحي للعصور الوسطى"[2].

Ah,reviennent mon espérance et ma jeunesse
Et retournent les jours passés et leur promesse,
O Buthayna, qu'ils renaissent pour demeurer,
Ces jours lointains, ce temps où nous étions si proches !
Alors même que vous saviez peu partager
Lors même que vos dons n'étaient pas sans reproche.
Je n'ai pas oublié, de tout ce qui eut cours,
Je n'oublierai jamais ces mots qu'elle eut un jour :
Pars-tu donc pour l'Egypte, ainsi tout apprêté ?
Ni ces mots : Des regards épicurs m'ont arrêtée
Lorsque j'allais te voir. Mais pardon, je sais bien
Que je parle à quelqu'un qui n'a jamais de chance!
Ma passion extrême, amis, reste en souffrance
Et vit cachée avec mes larmes le matin.
Mais ces larmes, mon Dieu, ces pleurs m'en sont témoins,
Qui s'accroîtraient d'autant que fuirait sa demeure.
Quelles sont ces amours qui font que je me meure?
A de tels cris, elle répond, tranquille, ainsi :
C'est un amour profond, qui va de mal en pis.
Mais que j'ajoute : C'est trop, c'est trop de détresse,
Rends-moi à ma raison afin que je renaisse!
Elle répond ainsi : Tu erres de plus belle !
Et s'éloigne, et me quitte, et me laisse tel quel.

[1] أمين الزاوي، ثرثرة ثقافية في شارع الحمرا، جزايرس، تمت الزيارة يوم 2022/12/12.
https://www.djazairess.com/echorouk/65249

[2] andré miquel, Ors et saisons Une anthologie de la poésie arabe classique, p33.

Mon amour de l'aimée n'obtient nul réconfort,
L'amour qui m'affaiblit n'en devient que plus fort.
Or, Buthayna, le sort te serait plus aimable
Et les cieux t'enverraient un amant admirable
Que je me soumettrais à lui sans un murmure.
Mais sache qu'entre toi et moi un pacte dure
Et qu'il fut décrété de naissance divine.
Et mon amour pour vous est nouveau et ancien,
Et l'amour, n'est-ce pas, l'amour sans origine
N'est-il pas un récit de jadis qui revient?
Son coeur ne s'ouvre à nos désirs que pour se clore.
Adolescent, j'ai salué en vain l'aurore.
Et ma vie s'est usée de promesse en promesse
Et j'ai dilapidé le temps de ma jeunesse
Qu'elles trébuchent, les mauvaises langues, avec
La tourbe ignare qui claque sans fruit du bec
Et qu'elles soient toujours plus empêtrées, enserrées
Chaque jour, chaque nuit, dans un lacis de rets!
Quant à celles qui soupirent lorsque je viens
Croyant à mon désir, touchant du doigt nos liens
J'atteste, sur l'honneur, ma stricte indifférence;
D'elles à moi, il y a une süre distance.
Revivrai-je à nouveau cette nuit de jeunesse,
Cette nuit, souviens-t'en, près de Wâdî l-Qura,
Qui nous avait bercés d'une immense allégresse,
Ah, revivre cela... Ce serait grande joie !
Si je devais descendre au fond d'un défilé
Sourd, désert, où les vents tournent toute l'année,
Et que j'allais languir dans cette gorge aride
Ma voix résonnerait encore dans le vide.
Ah ! Puissé-je jouir ici-bas du bonheur,
Une fois seulement l'éprouver en mon coeur!
Car notre lien très clair et vrai se renouvelle,
Les amants séparés s'uniront à leur heure,
Et les désirs et les rêves seront réels.[1]

[1] andré miquel, Ors et saisons Une anthologie de la poésie arabe classique, p35.

**أبيات جميل بثينة**

ألا ليتَ ريعانَ الشبابِ جديدُ***ودهراً تولى ، يا بثينَ، يـــعودُ

فنبقى كما كنّا نكونُ، وأنتمُ*** قريـــــبٌ وإذ ما تبذلينَ زهيدُ

وما أنسَ، مِ الأشياء، لا أنسَ قولها***وقد قُرّبتْ نُضْوِي: أمصرَ تريدُ؟

ولا قولَها: لولا العيونُ التي ترى،***لزُرتُكَ، فاعذُرْني، فدَتكَ جُدودُ

خليلي، ما ألقى من الوجدِ باطنٌ***ودمعي بما أخفيَ، الغداةَ ، شهيدُ

ألا قد أرى ، واللهِ أنْ ربّ عبرة***إذا الدار شطّتْ بيننا، ستَزيد

إذا قلتُ: ما بي يا بثينةُ قاتِلي،***من الحبّ، قالت: ثابتٌ، ويزيدُ

وإن قلتُ: رديّ بعضَ عقلي أعشْ بهِ***تولّتْ وقالتْ: ذاكَ منكَ بعيد !

فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً،***ولا حبها فيـــــــما يبيدُ يبيدُ

جزتكَ الجواري، يا بثينَ، سلامةً ***إذا ما خلـــيلٌ بانَ وهو حميد

وقلتُ لها، بيني وبينكِ، فاعلمي***من الله ميثاقٌ له وعُـــــــهود

وقد كان حُبّيكُمْ طريفاً وتالداً،***وما الحبُّ إلاّ طـــــارفٌ وتليدُ

وإنّ عَرُوضَ الوصلِ بيني وبينها،***وإنْ سَهّلَتْهُ بالمنى ، لكـــــؤود

وأفنيتُ عُمري بانتظاريَ وَعدها،***وأبليتُ فيها الدهرَ وهو جـــديد

فليتَ وشاةَ الناسِ، بيني وبينها***يدوفُ لهم سُمّاً طماطمُ سُود

وليتهمُ، في كلّ مُمسَى وشارقٍ،***تُضاعَفُ أكبالٌ لهم وقيود

ويحسَب نِسوانٌ من الجهلِ أنّني***إذا جئتُ، إياهنَّ كنتُ أريدُ

فأقسمُ طرفي بينهنّ فيستوي***وفي الصّدْرِ بَوْنٌ بينهنّ بعيدُ

ألا ليتَ شعري، هلَ أبيتنّ ليلةً***بوادي القُرى ؟ إني إذَنْ لَسعيد!

وهل أهبِطَنْ أرضاً تظَلُّ رياحُها***لها بالثـــنايا القاوياتِ وئِيدُ؟

وهل ألقينْ سعدى من الدهرِ مرةً ***وما رثّ من حَبلِ الصّفاءِ جديدُ؟

وقد تلتقي الأشتاتُ بعدَ تفرقٍ***وقد تُدرَكُ الحاجـاتُ وهي بعِيد

كيف قام ميكال بالتّرجمة؟ وهل ترجم كل كلمة عربيّة بكلمة تقابلها في اللّغة الفرنسية؟ وهل ادّعى الإخلاص حتى وإن كانت التّرجمة حرفية وقريبة من المعنى حتى، وإن لم توصله كاملاً تامًا كما في لغته الأم، وخاصة عندما تكون قصيدة غنيّة بألفاظ فاخرة؟ أظهرت لنا ترجمات أندريه ميكال الشّعرية طريقة مختلفة، فتعويض هذه الألفاظ يمكن أن يكون موسيقيًا وأكثر صرامة، وبنفس المعنى، وهدفه كما ذكر هو الإخلاص للنّص ولموسيقاه، وكذا الإخلاص للمعنى حتى في الفوارق الدّقيقة.

سادت الحاجة إلى دقّة النّص فكان من الضّروري أن يتوافق البيت الفرنسي مع شطر البيت العربي ومن الضّروري احترام الأسلوب الخاص بكل شاعر من أطناب وإيجاز وبلاغة، لا زيادة ولا زخرفة إضافية، ولكن قبل كل شيء لا توجد صورة غير كاملة، ولا قص في الأبيات العربية، وكل تغيير تم إجراؤه يكون على أفضل وجه ممكن، و صياغته بطريقة احترافية ونقله إلى أرضية ثقافية فرنسية دون المساس بالمعنى، وعندما يكون البيت الشّعري العربي غير مناسب لترجمة الحرفية، فيمكننا الحفاظ على المعنى المراد من طرف الشّاعر، كقول أبي تمام (حتى إذا "مخض" الله السنين لها) أي لصالح عمورية ، بحيث وكأنّ السّنين تصبح "كريمة" أو "زبده"، وهنا فضلنا التّخفيف في المفاهيم الواقعية للصّورة بالفرنسية "قشط السّنين" يثري الله عمورية ، والآن "زهرة" و "إكسير" الزمن (أي أنّه أبدل الزبدة بالوردة والإكسير و أبدل الفعل مخض بالفعل قشط بغرض التّخفيف في المفاهيم وتبسيطها).

فكان لا بُدّ من إعادة إنتاج الحركة الشّعرية الأصلية وإلهامها وتشعباتها على أفضل وجه مُمكن، ولكن من المُستحسن أيضًا أن يقدم للقارئ الفرنسي قصيدة تُشبه القصيدة فرنسية، بمعنى نص كان قد قرأه، أو ربّما محبوب من قبل هواة الشّعر الفرنسي فالأمر لا يتعلق بأبيات لراسين أو فكتور هوقو أو فيرلين، بل بشعر عربي يكتسب حلّة جديدة ليؤثر في قارئه الغربي فيؤتي ثماره، وأن لا يكون متجاهلاً له، أمّا الشّرط الثّاني فهو غالبًا ما يتم

إهماله، وهو التّرجمة الحرفية القريبة من المعنى أو المُتعة الموجودة في النّص المباشر فميكال يريد أن يقدم أبيات مقروءة وواضحة للفهم، وجمل لا يُعيقها تصنع أو صيغة غامضة بحجة التّرجمة الحرفية.

# المبحث الثالث:

نظم الشّعر العربي عند أندريه ميكال.

لم يكتف المستشرقون الفرنسيون بترجمة الشّعر العربي إلى الفرنسية، أو دراسته، أو نقده، أو نشره فحسب، وإنّما تجاوزوا ذلك إلى استلهام الرّوح الشّرقية عمومًا بأجوائها العربية والإسلامية على حد سواء، فنشأت عند الفرنسيين طبقة الشّعراء المتأثرين بهذه الرّوح، فكونوا بظهورهم نزعاً جديداً من الاستشراق، سماه محمد المقداد اسم: "الاستشراق الأدبي"، أو "الاستشراق الفني"، وهم في ذلك متفاوتون في نوع الاستلهام ودرجته[1].

ومن المستشرقين الذين كتبوا الشّعر باللّغة العربية أندريه ميكال، فقد بلغ من حبّه للأدب العربي أن كتب الشّعر بالعربية، وترجمه إلى اللّغة الفرنسية، وهذا دليل على عمق محبته للغة العربية ولتراثها ولأدبها الشّعبي والجغرافي والتّاريخي، فير ميكال أنَّ الثّقافة العربية لا وجود لها بدون الشّعر، فالعرب عندما يريدون أن يتكلموا عن أنفسهم فإنّهم يقولون الشّعر، ويرى أنَّ الآنا في الشّعر كذات، وذلك بخلاف النثر عندهم، فلآنا فيه عندهم كشاهد، ويعرب ميكال عن إعجابه الشديد بامرئ القيس الذي استهواه لدرجة كبيرة، حتى أداه ذلك إلى الاهتمام بالشّعر الجاهلي، ويرى ميكال أنَّ الشّعر، ديوان العرب، الذي يبقى المرآة الصقيلة والبهية للهوّية العربية[2].

يعترف أندري ميكال بأنّ كتابته لنفس النّص الشّعري باللّغتين العربية والفرنسية في الوقت نفسه، يشكّل مغامرة في حياته حيث يقول: "لن أعرف أبدًا ما يجعلني أرتاد من جديد في أيام هرمي هذه مجالًا سبق أنغام رتب ارتياده ثلاث مرات من قبل، لا أعرف حقًا، قد أكون استمددت استحالة القيام، هنا أكثر ممّا في أيّ مكان آخر، بترجمة أدبية، فاقترحت حوارًا تبادلًا، أو نشيدًا ثنائيًا بينا للسانين "فسلك في نظم شعره بالعربية أسلوب الشّعراء العرب، فالعرب في رثائهم يذكرون حال الطّبيعة وما يجري فيها من أحداث، ويذكرون فعل الموت بالخلق، ومن ذلك ما قاله قُس بن ساعده: أيّها النّاس اسمعُوا وعُوا، من عاش مات ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم

[1] ينظر: محمود مقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص127.

[2] ينظر: معطي قبال، أندريه ميكال... هكذا كلّمني الشرق، تمت الزيارة يوم: 2021/09/19.

تُزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة، إنّ في السّماء لخبرا، وإنّ في الأرض لعبرا، ما بال النّاس يذهبون فلا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟ يقسم قُس بالله قسمًا لا أثم فيه، أنّ لله دينا هو أرضى، له وأفضل من دينكم الذي أنتم علية إنّكم لتأتون من الأمر مُنكرا ثم أنشأ.

فِي الذّاهبِينَ الأوّلين***مِنَ القُرُون لنَا بَصائِرُ

لمّا رَأيتُ مَوارِدًا لِلمَوتِ***لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ

وَرَأيتُ قَومِي نَحوَهَا ***يَمْضِي الأَكَابِرُ و الأصَاغِرُ

لا يَرجَعُ المَاضي إلى***وَلَاْ مِن البَاقين غَابِرُ

أيقنت أني لا محالة ***حيث صار القوم صائر

يفتتح ميكال كتابه أشعر متجاوبة بالمجموعة الشعرية "في زئبق الليل" فهي محاولته الأولى في كتابته الشّعر بلغة المتنبي، فاختار ميكال كتابة أبيات شعرية قصيرة أغلبها غير معنون، والتي كتبت بالعربية أولاً، ثمّ أُلحقت بترجمة من مؤلفه، ومن القصائد، في هذه المجموعة، ما نظمه على بحر وزن الرمل، في بعض من أبيات قصيدة "أنتِ"، يقول فيها:

إن في قُطْبِ حياتي شجرهْ

لم أشاهد من هباء ظلماتي مثلها

هي فجر بين أحلام الثرى،

نشوة الكوكب مذ رنّتْ قِسيُّ الأنبياءْ.

فهي أنت حين يُفلَقُ الضّحى

وتناجينَ الزهور تحت رغوة السّماءْ

فَلْنُؤَدِّ الآنَ أَثْمانَ الرُّبَى

وجِنانِ البُروقِ والأُحاجِي الآسِيَةْ،

وَ لْنُؤَاخِ _ رُغْمَ كِبْرِيائِنا_

هذِهِ الأَشْجارَ والبَراءَة

التِي أَبَى خَفَقانُها الخَطَايا وَ المَنَى.
هِي أَنْتِ، هِي نَحْنُ، هِي غَيْرٌ، عِنْدَما
قُلْتِ لِي _ وَلَمْ تَزَالِي _ إي وَلَا[1]

Il est un arbre au pôle de ma vie,
unique entr'aperçu dans la poussière de mes nuits.
C'est une aube parmi les rêves de la terre mouillée,
l'étoile enivrée au chant des arcs prophétiques,
c'est toi, dans le matin qui se déchire,
ton secret livré au fleurs dans l'écume du ciel.
Il nous faut maintenant payer le prix des collines,
des jardins aux éclairs et des énigmes sans bonheur.
Notre orgueil cédera, nous fraterniserons
avec l'arbre innocent
qui frémit refusant le péché et la mort.
C'est toi, c'est nous, c'est un autre
quand tu me dis, et pour jamais : oui... et non.[2]

ما يثير الدهشة ويدعو إلى التساؤل هو أن هذه القصائد مكرّرة في مجموعته الثانية "الطفل والوعد" التي قدّمها إلى ابنته وابنه الذي فقده وهو لايزال في الخامسة عشرة من عمره، المجموعة الثانية المعنونة بالطفل والوعد مقسّمة إلى "هي" و "هو"، فمعظم قصائد "في زئبق الليالي" يُعيد كتابتها في مجموعته الثانية، والأبيات في المجموعة الأولى تبدو مكتوبة لامرأة غائبة يستحضرها وربما يرثيها، ثم يكتبها كماهي أو بتغييرات بسيطة وبالكاد ملحوظة إلى ابنته أو إلى ابنه: "تركتكِ واطئة عشب عاصمة مقفرة" لتُصبح "تركتكَ واطئًا عشب عاصمة مقفرة"، أما الأبيات الأخرى المذكورة سابقًا فهي منقولة كما هي من المجموعة الأولى إلى الثانية، من محبوبته إلى ابنته، يستكمل ميكال وجدانيته الغنائية، في مجموعاته الشعرية "الطفل والوعد"، عارضاً حيناً بوحه وحنينه الى المحبوبة بنبرة المجنون أو تأنّق

[1] André miquel, L' enfant et la promesse, fata morqana, 1999,p13.
[2] Ibid, p13.

تريستان، وحيناً آخر مولهاً بنار بوحه وحنينه الى المحبوبة بنبرة المجنون أو تأنّق تريستان وحيناً آخر مولهاً بنار بوحه وحنينه الى المحبوبة بنبرة المجنون أو تأنّق تريستان، وحيناً آخر مولعاً بنار:

ذهبتَ... يموت كل موج ومَرْمرٍ
فَيَصْرُخُ تَمٌّ تَحْتَ فَجْأةِ خَنْجَرِ
وجُهْدٍ أَخِيرٍ فِي جَنَاحٍ مُسَمَّرِ
وَكَيْفَ بِلَا حُبٍّ نُسافِرُ فِي البَحْرِ؟
ذهبتَ فأُصْعِقَتْ حمائم المنائرِ.
وكَيْفَ بِلَا حُبٍّ نُسَافِرُ فِي البَحْرِ؟
ذَهَبْتَ وَكُلُّ مُصْحَفٍ نَصُّ مَقْبَرِي،
حُرُوفُهُ أَجْيافٌ تُوَقَّعُ بالنَّارِ،
وُجُوهُهُ أَطْيافٌ عدت بَينَ أَسْطُرِ...
وَكَيفَ بِلَا حُبٍّ نُسَافِرُ فِي البَحْرِ؟
ذَهَبْتَ وَلَمْ يَبْقَى سِوَى زِنْبَقٍ مُرّ
وَ بَاخِرَةٍ غَبْرَاءِ تُحْرَقُ فِي البَحْرَ.[1]

**Mais comment sans amour s'en aller sur la mer ?**
Théophile Gautier
Comme un vaissean qui brûle an milion de la mer.
Anonyme français, XVI° siècle

Tu es parti... tous les prés, tous les marbres se meurent,
un cygne crie sous la surprise du poignard
et le dernier effort de son aile clouée…
Mais comment sans amour s'en aller sur la mer ?
Tu es parti... la foudre frappe aux minarets les colombes…
Mais comment sans amour s'en aller sur la mer?

[1] andré miquel, Ors et saisons Une anthologie de la poésie arabe classique, p 43.

Tu es parti... chaque livre devient le texte de ma tombe,
les lettres, des cadavres estampillés de feu,
les pages, des fantômes courant entre les lignes…
Mais comment sans amour s'en aller sur la mer ?
Tu es parti... un lys amer est tout ce qui me reste,
avec un bâteau gris qui brûle sur la mer.[1]

وهذه أبيات أخرى في نفس المجموعة الشعرية "الوعد والطّفل" في رثاء ابنه يصف فيه شوقه الكبير وحبّه لابنه، ويصوّر فيه مشاهد فقدان فلذة كبده، إنّها مجموعة من الأشعار في كتاب (الوعد والطّفل) مؤلمة لا يستطيع المرء أن يكمله حتى النهاية إلا بشقّ الأنفس.

أُودِعُكِ ضَنَى الأَوْدِيَةِ الغَامِضَة
وعِلَّةُ سَحَابٍ مُفْلِتٍ إلى البَحْر،
أُودِعُكِ مُعَانَدَة العُيُونِ الغَرِيبَة
وهذِهِ الكَمَنْجَةَ الخَائِبَةَ الحَالِمَةُ بالشِّتَاء.
يَا ليّتَنِي سَلَكْتُ عَلَى يَدَيْكِ رُسُومَ الأَنْهار،
يَا ليّتنِي قَطَفْتُ مِنْ يَدَيْكِ دُمُوعَ البِحَار![2]

Je te confie le mal des vallées trop secrètes,
la raison du nuage en fuite vers la mer,
je te confie l'étrange obstination des sources
et ce violon déçu qui rêve de l'hiver.
Ah ! Suivre sur tes mains le tracé des rivières,
ah ! Cueillir sur tes mains les larmes de la mer![3]

كنّا أمام نصوصٍ وداعيّة حزينة بالكامل، يبدو فيها ميكال مستعيدًا العُمر ومتفقدًا لحواسّه، إذا كانت لا تزال تعمل، يكتب كلماته كأنّها كائنات قديمة ويختفي فيها، يكتب حيث يقول في مقدّمة كتابه (الطّفل والوعد): "هذا الأمر يمكن أن يبدو محفوفًا بالمخاطر وضربًا

[1] andré miquel, Ors et saisons Une anthologie de la poésie arabe classique, sindbad, p09, p42.
[2] Ibid, p8.
[3] Ibid, p8.

من انعدام التّواضع.. الآن أُعيد نشر هذه المجموعة مع تعديلات وإضافات في سنّ ينبغي أن يُخضِع المرء فيها للشك كل شيء، آمل أن يرى القرّاء في هذا الكتيّب تحية إجلال أزجيها إلى الفتنة الدّائمة في هذه اللّغة التي وهبت سليل أوكسيتانيا، الذي هو أنا، فرصة القيام عبر الضّفة الأخرى من المتوسط بأكثر الأسفار إثراءً للإنسانية.. إنّي أسأل الأصدقاء النّاطقين بالعربية والمستعربين أن يشملوا بتسامحهم هذه الرغبة وهذه التجاوزات لنفسي هنا وهناك إزاء العروض الكلاسيكية وإني لأرجو ألا يعيروا انتباهًا إلا لهذا العرفان الموجّه إليهم".

# خـاتـمـة

يمثل أندريه ميكال في رؤيته الاستشراقية ظاهرة متعددة الجوانب، فهو من المستشرقين الذين لا ينكر فضلهم في إخراج تراث العرب والعناية به، وقد اهتم بالأدب العربي وأعطاه الكثير من العناية، وأقبل عليه وجعله شغله الشاغل بما له من مؤلفات عدية تزيد عن مئتي كتاب ومقال، وكان مولعا بالنص الأدبي العربي ومن أشهر مؤلفاته كتاب "الأدب العربي" الذي حاول أن يقدّم فيه رؤية جديدة في تقسيم الأدب العربي بعيدًا عن العامل السياسي معتمدا على التحقيب الثقافي.

عاش ميكال فترةً طويلةً في البلاد العربيّة، فكان له نوعٌ من الاحتكاك المباشر بالمثقّفين العرب والمفكّرين الإسلاميّين، كتب سيرته الذاتية في كتاب عنونه "شرق حياتي" في إشارة واضحة إلى الشرق الذي شكل تلك الحياة.

كان الجاحظ وابن المقفع، من بين الأسماء البارزة التي أدّت دورًا أساسيا في كتاباته فقد كان ميكال ناقدًا ومترجمًا ومؤرخًا، ترجم العديد من النصوص الشعرية والنثرية ولعل أشهرها هو ترجمته الكاملة لـ"ألف ليلة وليلة" مع زميله الكاتب الجزائري جمال الدين بن شيخ وقد أنتج في هذا الإطار نشاطاً واسعاً مع الطلبة في تحليل الحكايات وإحيائها وفق المناهج الحديثة في السرديات الثقافية، كما اهتم بتأليف الموسوعات، وبالسير الشعبية، وأدب الرّحلات والجغرافيا.

استطاع ميكال البحث والكتابة في الأدب العربي بأدوات لغوية وبلاغية قوية، وبمعرفة عميقة بالسياقات الثقافية، وقد ركز على الظواهر الثقافية الأدبية لتكون عنواناً للحقبة التاريخية، بعيدا عن العامل السياسي، واهتم بظاهرة التأثر والتأثير بين النصوص المنتخبة التي نشأت في شبه الجزيرة العربية، والنصوص المهجنة ثقافياً التي نشأت في الحواضر مثل بغداد، فدرس بناءً على ذلك شعر المتعة عند المحدثين من الشعراء مثل أبي نواس وبشار بن برد، والشعر التقليدي عند أبي تمام والبحتري والمتنبي.

كتب أندري ميكال عن أدب العشق، واهتم بشكل خاص بمجنون ليلى فترجم أشعاره وحلل شخصيته كظاهرة، وقارنها بما يقابلها في الأدب الفرنسي، عمل على الارتقاء بقصة

مجنون ليلى إلى مصاف العشق الروحي، وجعلها بذرة أولى لحركة التصوّف التي ستظهر في القرن الثالث للهجرة، في شكل نزعات فردية تدعو إلى الزهد، ثم ستتحوّل بعدئذ إلى طرق تنتشر في مختلف أصقاع البلاد الإسلامية.

اهتم ميكال بالشّعر العربي، قديمه وحديثه، فترجم مجموعة من الأشعار العربية إلى الفرنسية، بل وقام بكتابة الشّعر باللّغة العربيّة وترجمته بعد ذلك إلى اللّغة الفرنسية في مجموعاته الشعرية "الطفل والوعد"، وله كتابات في نقد بعض الأشعار العربية.

أحب روايات نجيب محفوظ فأعطاه اهتماما بالغا وكان أول من رشحه في الغرب لنيل جائزة نوبل للآداب سنة 1988 ويرى ميكال أنّ نجيب هو المُؤسس الحقيقي للقصّة العربيّة المعاصرة، بل ومُؤسس للغة معاصرة صالحة لهذا النّوع من الأدب، واعتبره خالقًا للغة روائية قريبة من التّجربة الرّوائية الغربية، حيث استطاع الجمع بين الكلاسيكية القديمة ولغة معاصرة، واعتبر أنّ الرّواية العربية المعاصرة ساهمت في خدمة الثّقافة العربية والنّهوض بالمجتمع، ومن النتائج المتوصل إليها:

– اهتم الاستشراق الفرنسي اهتماما بالغًا بالأدب العربي، هذا الاهتمام كان استجابة لتطور الذوق الأدبي في بلادهم في أواخر القرن السابع عشر ومطالع القرن الثامن.

– تعد المدرسة الفرنسية من أهم وأقدم مدارس الاستشراق في العالم، فقد أفادت من القرب الجغرافي، ومن الظروف التاريخية التي فرضت الاهتمام بالمنطقة العربية فكان للمستشرقين الفرنسيين الدور الأكبر في نقل النص العربي إلى أوربا.

– تأثر الاستشراق الفرنسي بالأدب العربي كثيرا، مهد الجو لتعرف الفرنسيين على الآداب العربية ويظهر ذلك جليا في دراسات أندريه ميكال، وكانت هذه الدراسات متنوعة ما بين ترجمة وتأليف وكتابة وجمع ونشر.

– نلحظ أنّ المستشرقين الفرنسيين قد نقلوا جزءا هاما من تراثنا الأدبي إلى الفرنسية مسهمين بلا ريب في تعريف خاصة المثقفين الفرنسيين، وعامتهم والمتخصص منهم بالعربية، بجملة من آثارنا الأدبية الجميلة.

– دراسات وترجمات ميكال للنص العربي من الدراسات والترجمات القيمة سواء في منظورها أو في مداها وفي رحاب فكر مؤلفها ومترجمها، لما يطبعها من رؤية عاشقة لقراءة الحضارة العربية بدا فيها ميكال عاشقا للعروبة.

– المترجم للنص الإبداعي يجب أن تكون له علاقة سحرية بالنص الأدبيّ من حيث لغته وصوره، ومعانيه، ليتمكن من ترجمته، وميكال يتميز في دراساته وترجماته برؤية علمية أكاديمية بحتة.

– يُعد أندريه ميكال من الاسماء اللامعة في دراسته وترجمته للنص الأدبيّ العربي، فقد لعبت مصنفاته دورا بارزا في تعريف العالم الاوربيّ بالتراث العربي الاسلامي، والتعريف بمكانة الأدب العربي بين الآداب العالمية.

– لم يكتف أندريه ميكال بترجمة الآثار الأدبية العربية إلى الفرنسية، وإنما تجاوز ذلك إلى استلهام الروح الشرقية عموما بأجوائها العربية والإسلامية على حد سواء فتأثر بالشعر العربي، وأعجب بفن الخرافة، خاصّة خرافات ابن المقفع، ولافونتين، ودعم الأدب العربي المعاصر.

– احترام ميكال للأدب العربي وانبهاره الشديد به، يظهر جليا في تعظيمه له وإجلاله لمكانته وتعامله بموضوعية لحد ما في دراسته للأدب، وإن كنا لا ننكر أنه حاد عنها في بعض الأحيان بصورة خفية.

نجد دراسات مهمة للمستشرقين الفرنسيين تدل على منهجية متقدمة وتعمق و إلمام كما تدل كذلك على نوع من أنواع التخصص في الدراسات العربية، إذ كان المستشرقون الأوائل يأخذون من كل علم أو فرع بطرف، فأصبح المعاصرون منهم يقصرون اهتمامهم وجهودهم على اختصاص واحد من هذه الدراسات، فنجد بعضهم يتخصص بالأدب التاريخي العربي، وبعضهم، بالأدب الجغرافي وبعضهم بأديب معين كالجاحظ أو ابن قتيبة، أو بشاعر معين كالمتنبي، وبعضهم بعلم الاجتماع الإسلامي، وبعضهم باللغة العربية، أو بالتاريخ

العربي، أو بالأدب في فترة من الفترات، وقد أفادونا نحن العرب أيضا بما نشروا من آثارنا الأدبية محققة تحقيقا علميا جادا؛ إذ أحيوها بعد طول سبات، وعرضوها.

نعتقد أن كلمة الفصل هي تلك التي يصنعها العرب عن أدبهم ولغتهم، انطلاقا من أبحاثهم وقناعاتهم وإعادة قراءة تراثهم، وكل ما سوى ذلك هو أداة مساعدة على الدراسة والفهم والتمحيص ليس إلا؛ ومهما قلنا عن سلبيات وإيجابيات الدراسات الاستشراقية، فإننا نعتبرها النواة لكل دراسة جادة لتراثنا اللغوي والأدبي، يبقى فقط أن نتخلص من عقدة الارتباط بالآخر والتبعية له لنتمكن من بناء رؤية موضوعية لما نحن عليه، ثم نخطط لما نريد أن نكون عليه.

# مـــلاحـــق

**مولده ونشأته:** أندريه ميكال روائيٌ و شاعرٌ مُتخصّصٌ في الإسلام واللّغة، ولد في السّادس والعشرين من شهر سبتمبر سنة: 1929م في قرية مزّة (meze) مقاطعة جنوب فرنسا، أتمّ دراسته في مدرسة المعلّمين العليا، درس العربيّة على يد أستاذه بلاشير، لمدّة ثلاث سنوات، من سنة: 1950م، 1953م، تمّ إرساله في بعثةٍ سنة: 1953م إلى المعهد الفرنسي للدّراسات العربيّة بدمشق، وكلّف بإلقاء الدّروس في المدرسة العليا للآداب ببيروت، وفى سنة: 1954م عاد إلى فرنسا لأداء الخدمة العسكرية ما بين: 1954م و1955م، ونتيجةً لانشغاله بأعمال حكومية خارج فرنسا بمستعمراتِها اكتسب خبراتٍ كبيرةً عن الشّرق وفُنونه وآدابه، واستغلّ فترة عمله بالإدارة العامّة للشّؤون الثّقافية والفنّية بوزارة الشّؤون الخارجية في تحضير أطروحته لنيل درجة الدّكتوراه[1].

كانت أطروحة الدّكتوراه الخاصّة به في ترجمة بعض فصول كتاب "أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي، وله أطروحةٌ أخرى للدّكتوراه بعنوان: " الجغرافية الإنسانية للعالم الإسلامي حتّى مُنتصف القرن الحادي عشر للميلاد"، شغل ميكال عدّة وظائف، منها: مُدرّسًا بالمعهد الفرنسي للدّراسات العربيّة بدمشق وبيروت، وعمل لمدّة عامين في أثيوبيا في أواسط الخمسينيّات، وعمل بفرنسا بوزارة الخارجية، وعمل مستشارًا ثقافيًا لفرنسا بمصر، سنة: 1961م، ودرّس في الجامعات الفرنسيّة سنة: 1968م، من الجامعات التي عمل بها "جامعة فانسا(Vincent)، وجامعة السّوربون الجديد(La Sorbonne Nouvelle)، وتولّى إدارة معهد لغات الهند والشّرق وشمال أفريقيا وحضارتها في جامعة باريس الثّالثة، تمّ انتخابه أستاذًا للأدب العربي في الكوليج دي فرانس سنة: 1975م، واختير سنة: 1985م مديرًا للمكتبة الوطنية بباريس، وكان أوّل متخصّصٍ في الدّراسات العربيّة والإسلاميّة يتولّى هذا المنصب وفى سنة: 1989م تمّ اختياره عميدًا للكوليج دي فرانس، وأحيل للتّقاعد سنة:

[1] ينظر: محمود المقداد، تاريخ الدّراسات العربيّة في فرنسا، ص223.

1997م[1] هكذا كانت نشأة ميكال نشأةً جدّيةً، بحيث أنّ الذي ينظر في تاريخ نشأته وأحداثها لا يرى وقتًا فيها لغير العلم والعمل، ومن هذا المنطلق أصبح له نتاجٌ علميٌ غزير.

[1] ينظر: أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص28.

# فهرس المصادر والمراجع

*** القرءان الكريم، رواية ورش**

*** قائمة المصادر والمراجع**

1- ا. ج. آربري، المستشرقون البريطانيون، تر: محمّد الدّسوقي النّويهي، لندن: وليم كولينز، سنة 1946م.

2- أبتشابلدرز، الحقيقة عن العالم العربي، تر: خيرى حمّاد، المكتب التّجاري، بيروت، ط1، سنة1960م.

3- أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، دار غريب، القاهرة، سنة 2004.

4- أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج3، سنة1958.

5- أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة 1998م.

6- أحمد نصرى، آراء المستشرقين الفرنسيّين في القرآن الكريم، دار القلم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الرّباط المغرب، سنة2009م.

7- إدوارد سعيد: الاستشراق، ت: كمال أبو ديب، مؤسّسة الأبحاث العربية، ط7، سنة2005.

8- إسماعيل علي محمّد، الاستشراق بين الحقيقة والتّضليل، الكلمة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط3، سنة 2000.

9- آنا ماري شيمل، الشرق و الغرب حياتي الغرب شرقية، تر: عبد السلام حيد، المجلس الأعلى لثقافة، القاهرة، سنة 2004.

10- أندريه ميكال، الأدب العربي، تر: رفيق بن ونّاس، صالح حيزم، وطيب العشاش، ط1، تونس، سنة 1880م.

11- أندريه ميكال، الإسلام وحضارته، تر: زينب عبد العزيز، مراجعة: كمال الدين الحناوي، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت، لبنان، سنة 1981.

12- أندريه ميكال، العالم والبلدان، دراسات في الجغرافية البشرية عند العرب، تر: محمد آيت حنا، مراجعة: كاظم جهاد، هيئة أبي ظبي للسياحة والثقافة، سنة 2016م.
13- أندريه ميكال، جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر، تر: إبراهيم خورى، إشبيلية للدراسات ولنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.
14- أندريه ميكال، مجنون ليلى وتريستان، تر: غسان السّيّد، الأوائل للنّشر والتّوزيع، دمشق.
15- أنور الجندي، إطار إسلامي للفكر المعاصر، دار المكتب الإسلامي، ط2، سنة1998.
15- أنور الجندي، الإسلام في وجه التّغريب: مخطّطات التّبشير والاستشراق، دار الاعتصام، القاهرة، سنة1977.
16- أنور محمود الزناتي، الطريق إلى صدام الحضارات، مكتبة الانجلو مصرية، سنة 2006.
17- جان لويس فابيلي، فرنسا وفلاسفتها في مائة عام: المفاهيم وحياتها الاجتماعية، تر: وجيه البعيني، دار الفارابي، بيروت، لبنان، سنة2017.
18- جبرا إبراهيم جبرا، الرحلة الثامنة، المكتبة العصرية، بيروت، سنة1967.
19- الحاج سالم ساسي، نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي ليبيا، ج1، ط1، 2002.
20- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السّياسي والدّيني والاجتماعي، دار الأندلس، بيروت، ط 7، سنة 1946م.
21- حوريّة الخمليشي، ترجمة النّصّ العربي القديم وتأويله عند ريجيس بلاشير، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار رامان، الرّباط، ط1، سنة 2010م.
22- الخطيب التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، دار الكتب، ج12.

23- ر-م- ألبيريس، تاريخ الرواية الحديثة، تر: جورج سالم، منشورات عويدات، باريس، ط2، سنة 1982.

24- رودي بارت، الدّراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، تر: مصطفى ماهر، القاهرة، دار الكتاب العربي للطّباعة والنّشر، سنة: 1967م.

25- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، سنة2002.

26- بن سالم حمّيش، العرب والإسلام في مزايا الاستشراق، دار الشّروق، القاهرة، مصر، ط1، سنة2011م.

27- شارل بيلا، تاريخ اللّغة والأدب العربي، تر: رفيق بن ونّاس، صالح حيزم، وطيب العشاش، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ج1، ط1، سنة1997.

28- شرف الدين ماجدولين، بيان شهرزاد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، سنة 2001.

29- شكيب أرسلان، لماذا تأخّر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم، دار الفكر، ط4، بيروت، سنة 1965.

30- صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، سنة1978.

31- ضياء الدّين سردار صورة الشرق في الآداب والمعارف الشرقية، تر: فخري صالح، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، سنة 2011م.

32- الطّيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدّد مهامّه خاصّةً في الجزائر، ط1، دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة2004.

33- عبد الحميد صالح، طبقات المستشرقين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، سنة 1990.

34- عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، شركة الأمل للطباعة و النشر، القاهرة، سنة 1889.

35- عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، سنة 1979م.

36- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993م.

37- عبد الرّحمن خرشي، فلسفة الإستشراق وأثرها في الصّراع الحضاري، دار هومة، الجزائر، سنة2013.

38- عبد الرزاق حميدة، قصص الحيوان في الأدب العربي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، سنة1951.

39- عبد الله محمّد الأمين، الاستشراق في السّيرة النّبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، سنة 1997.

40- عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1988.

41- عبد المجيد حامد صبح، الرّدّ الجميل على المشكّكين في الإسلام من القرآن والتّوراة والإنجيل والعلم، دار المنارة للنّشر والتّوزيع والتّرجمة، المنصورة ، مصر، ط2، سنة2003.

42- عفيف عبد الرّحمن، الأدب الجاهلي في آثار الدّارسين قديمًا وحديثا، دار الفكر، عمان، ط1، سنة1987.

43- على حسنى الخربوطلي، المستشرقون والتّاريخ الإسلامي، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية، القاهرة، سنة1970م.

44- علي درويش، دراسات في الأدب الفرنسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، سنة 1973.

45- غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، سنة 2013.

46- فيليب، العرب تاريخٌ موجز، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، سنة 1991.

47- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، دار البصائر، الجزائر، ج6، ط6، سنة2007م.

48- ابن قتيبة، عيون الأخبار، تح: يوسف الطويل، ج2، بيروت، سنة1986.

49- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط5، ج1، سنة 1977م.

50- كامل سلمان الجبوري، معجم الشّعراء من العصر الجاهلي حتّى سنة: 2002م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، سنة 2003.

51- كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، المكتبة العصرية، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، بيروت، لبنان،ج1، سنة 2008.

52- لخضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، مكتبة العبيكان، الرياض، سنة2002.

53- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2002.

54- لوك بِنْوا، إشارات رموز و أساطير، تر: فايز كم نقش، عويدات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2001.

55- لويس شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التّاسع عشر والرّبع الأوّل من القرن العشرين، دار المشرق بيروت، ج1، ط3، سنة 1991.

56- مازن مطبقاني، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ط1، سنة2021.

57- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2000م.

58- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، ط1، سنة1969.

59- مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، ج1، ط2، سنة 1976

60- محمّد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبه، ط4، سنة 1964.

61- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر، دار طوق النجاة للنشر، بيروت، ط1، سنة2001.

62- محمّد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة 2005.

63- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، سنة1983.

64- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، القاهرة ، ط3.

65- محمّد فتح الله الزّيادي، الاستشراق الفرنسي أهدافه ووسائله، دار قتيبة، دمشق ط1، سنة 1998.

66- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، سنة 1977.

67- محمّد قدّور، تاج الاستشراق ماهيته، فلسفته ومناهجه، عمان، مكتبة المجتمع العربي، ط1، سنة2013.

68- محمّد كرد علي، بين المدنية العربية والأوروبية، سلسلة الألف كتاب الثّاني، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، سنة 2002.

69- محمّد ياسين عريني، الاستشراق وتغريب العقل التّاريخي الغربي: نقد العقل التّاريخي، المجلس القومي للثّقافة العربية، الرّباط، سنة1991م.

70- محمود المقداد، تاريخ الدّراسات العربية في فرنسا، عالم المعرفة، الكويت، سنة1992.
71- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، مكتبة الرّسالة، بيروت، سنة 1985.
72- محمود محمّد شاكر، أباطيل وأسمار، مطبعة المدني، ط1، ج1، سنة2013م.
73- محمود محمّد شاكر، المتنبي رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا، مطبعة المدني، المؤسّسة السّعودية بمصر، القاهرة، سنة: 1987م.
74- مصطفى السّباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، دار الورّاق، المكتب الإسلامي.
75- معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي 2002م.
76- مكسيم رودنسون، الصّورة الغربيّة والدّراسات الغربيّة الإسلامية في تراث الإسلام، تصنيف شاخت وبوزورث، تر: محمّد زهير السّمهوري، سنة 1978م.
77- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والاسلامية، تونس، ج1، سنة 1985.
78- نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف ط3، ج2، القاهرة، سنة 1964.
79- نفوس زكريا سعيد، خرافات لافونتين في الأدب العربي، مؤسسة الثقافة الجامعية.
80- يواكيم بزنز، بابوات من الحي اليهوديّ، تر: خالد أسعد عيسى، دار حسان للطّباعة والنّشر، دمشق، ط1 ، سنة 1983م.
81- يوسف جبرا، تاريخ دراسة اللّغة العربية بأوروبا، مطبعة الشّباب، سنة1929م.
82- يوسف وغليسي، مناهج النّقد الأدبي، جسور للنّشر والتّوزيع، المحمّدية، الجزائر، ط2، 2009م.

***الرسائل والاطاريح**

1- أكرم عبد الله محمد العوسجي، دراسات المستشرقين للشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه، إشراف: إيمان كمال مصطفي المهدوي، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، تخصص أدب جاهلي، العراق، السنة الدراسية: 2008/ 2009م.

2- أندلوسي محمّد، التّرجمة الأدبية من العربية عند المستشرقين "المدرسة الفرنسية أنموذجًا"، رسالة ماجستير في الأدب العربي المعاصر في ضوء الاستشراق، إشراف: بن أعمر محمد، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، كلّية الآداب واللّغات الأجنبية، السّنة الجامعية: 2009/ 2010م.

3- بوخال مصطفى، رمزية الحيوان في التراث الشعبي العربي و الفرنسي، رسالة ماجستير، إشراف: شعيب مقنونيف، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان–، كلية الاداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، تخصص الأدب الشعبي المقارن، السنة الدراسية: 2010/ 2011.

4- تريفي آلاء خديجة، ترجمة الرموز في فن الخرافة "les fables de la fontaine أنموذجا "دراسة تحليلية ومقارنة"، رسالة ماجستير، إشراف: فرقاني جازية، جامعة وهران، كلية الآداب واللغات، السنة الدراسية 2016 /2017.

5- رزيقة يحياوي، الاستشراق الفرنسي وجهوده في دراسة ونشر التّراث الجزائري، رسالة ماجستير، إشراف: محمد حجازي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، تخصص تحقيق النصوص ونشرها، السنة الدّراسية: 2014/2013م.

سوهيلة خازن، الشّعرية العربية، بين أدونيس وجمال الدّين بن الشّيخ: دراسةٌ مقارنة، مذكّرة مقدّمةٌ لشهادة الماستر في الأدب العربي، إشراف أحمد بقّار، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلّية الآداب واللّغات، قسم اللّغة العربية والأدب العربي، تخصّص: النّقد الأدبي ومصطلحاته، السّنة الدراسية 2015م /2016م.

6- شمس العالم بن يار محمد، الاستشراق و المستشرقون، رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية المرحلة العالية، السنة الأول، إشراف: عمران حسن، باكستان، سنة 2012.

7- شنوفي بارودي، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي القديم " رجيس بلاشير أنموذجًا"، رسالة دكتوراه، السنة الدراسية: 2017/ 2018م، إشراف عكاشة سعيد، جامعة جيلالي اليابس، سيدى بلعبّاس، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللّغة العربية وآدابها.

8- عداد بوجمعة، مناهج المستشرقين في قراءة الأدب العربي الحديث: شارل بيلا، أندريه ميكال " نموذجا"، رسالة ماجستير، إشراف: أحمد طالب، جامعة أبى بكر بلقايد، تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، شعبة الأدب العربي الحديث في ضوء الاستشراق، السنة الدراسية 2007/ 2008م.

9- عفاف بغرارة، جماليات الزمن والمكان في الرواية" زقاق المدق" نجيب محفوظ أنموذجا، رسالة ماجستير، إشراف: بلقاسم جياب، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية والأدب العربي تخصص أدب عربي حديث، السنة الدراسية 2016/ 2017.

10- المحسن بن علي بن صالح سويسي، مؤتمرات المستشرقين العالمية: نشأتها، تكوينها، أهدافها، رسالة دكتوراه، إشراف حامد غنيم أبو سعد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، قسم الاستشراق، سنة 1998.

***المقالات العلمية**

1- إسلام عبد الله عبد الغنى، مناهج دراسة التّراث عند المستشرقين: المنهج التّاريخي، المنهج الوصفي، المنهج الأنثروبولوجي نموذجا، مجلّة الرّواق للدّراسات الاجتماعية والإنسانية، مخبر الدراسات الاجتماعية و النفسية و الإنثروبولوجية، المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان، الجزائر، عدد 2، ج4، ديسمبر 2018م.

2- أندريه ميكال، تقنية الراوية عند نجيب محفوظ، أندريه، تر: فهد عكام، مجلة المعرفة، العدد111.

3- الطيب بكوش، الأدب العربي، مجلة حوليات الجامعة التونسية، العدد السادس، 1969م

***قائمة المراجع بالفرنسية**

1- André miquel, L' enfant et la promesse, fata morqana, 1999.
2- André Miquel, La fontaine a bagdad : fables arabes d'Ibn al-Muqaffa.
3- andré miquel, Ors et saisons Une anthologie de la poésie arabe classique, sindbad, france,2006.
4- Edward Said, Orientalism, ( New York: Vintage Books, 1979).
5- Voir,cazemave michel, encyclopédie dés symboles, librairie Général francaise paris, 1996,

***قائمة المواقع الإلكترونية**

1- أحمد حسن الزّيات، أثر الثقافة العربية في العلم والعالم، مجلة الرسالة،العدد1، سنة1933م، تمت الزيارة يوم 2021/01/10.

https://ar.wikisource.org/wiki/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9

2- أمين الزاوي، ثرثرة ثقافية في شارع الحمرا، جزايرس، تمت الزيارة يوم 2022/12/12.

https://www.djazairess.com/echorouk/65249

3- إيناس حمدي، ملاحظاتٌ حول ترجمة الأدب العربي إلى الفرنسيّة، موقع الجمعيّة الدّولية للمترجمين واللّغويّين العرب، تمت الزيارة يوم 2020/09/20.

https://www.wata.cc/forums/showthread.php?3422

4- جمال شحيد، ترجمة الأدب العربي الحديث إلى اللغة الفرنسية، موقع أنفاس من أجل الثقافة والإنسان، نقلا عن مجلة الآداب في عددها 8/7 ليوليو وأغسطس، سنة 1999م، تمت الزيارة يوم 2021/12/20.

https://www.anfasse.org/2010-12-29-18-25-49/2010-12-30-15-59-04/986-2010-07-02-18-01-02

5- حسين الهنداوي، مقامات بديع الزمان الهمذاني (بالفرنسيَّة) مع رسوم الواسطي ومقدمة اندريه ميكال، موقع الصباح، تمت الزيارة يوم 2022/09/20.

https://alsabaah.iq/43189-.html

6- حمو عبد الكريم، أثر الاستشراق في النقد العربي الحديث، دار ناشرى للنشر الإكترونى، تمت الزيارة يوم 2020/03/20.

https://www.nashiri.net/index.php/articles/general-articles/4659-2011-01-12-09-27-09-v15-4659

7- سليمة لوكام، رؤيةٌ استشراقيةٌ فرنسيةٌ للرّواية العربية "بين جاك بيرك وأندرية ميكال"، مجلّة: دراساتٌ استشراقية، العدد: 17، السّنة الخامسة، سنة 2019م، تمت الزيارة يوم 01/20/ 2021م.

https://m.iicss.iq/?id=85&sid=145

8- عبد الرؤوف خريوش، دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، العدد2009.

https://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy/article/view/976

9- عبد العالي احمامو "الاستشراق.. الأهداف والغايات"، مجلة دراسات استشراقية، العدد 14، سنة 2018، تمت الزيارة يوم 2020/09/20.

https://m.iicss.iq/?id=76&sid=117

10- عبد اللّطيف الوراري، جمال الدّين بن الشّيخ ونقد الاستشراق الأدبي، في ذكرى رحيله العاشرة، مجلّة القدس العربي، تمت الزيارة يوم: 2020/10/20.

https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF%D9%81%D9%8A

11- علوي بن عبد القادر السّقاف، موسوعة الأديان، مؤسسة الدرر السنية، تمت الزيارة يوم 20/09/ 2020.

https://dorar.net/adyan

12- محمّد الشّاهد، الاستشراق ومنهجية النّقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، ع 22، سنة1994م، تمت الزيارة يوم 2020/10/15.

https://www.iicss.iq/?id=17&sid=37

13- محمّد حسن زماني، الاستشراق تاريخه ومراحله، دراساتٌ استشراقية، العدد:1، سنة 2014م، تمت الزيارة يوم 2020/12/10.

https://m.iicss.iq/?id=12&sid=7

14- معطي قبال، أندريه ميكال... هكذا كلّمني الشرق، تمت الزيارة يوم: 2021/09/19.

https://www.alaraby.co.uk/%D8%A3%D

15- نايف شقير، آلورد (وليم)، الموسوعة العربية، تمت الزيارة يوم 2022/08/20.

https://arab-ency.com.sy/ency/details/1923/3

***المقابلات**

1- مقابلة مع الدكتور عبد المالك مرتاض تم تحريرها يوم 2018/02/18.

# فـهرس المـوضوعـات


| الموضوع | رقم الصّفحة |
|---|---|
| الإهداء | |
| شكر وتقديم | |
| مقدّمة | 6-1 |
| مدخل | 30-7 |
| **الفصل الأول: الأدب العربي في ضوء الدّراسات الاستشراقية.** | 89-31 |
| **المبحث الأول: الأدب العربي في الدّراسات الاستشراقية الفرنسية.** | 54-32 |
| أولا: اهتمام الاستشراق الفرنسي بالأدب العربي. | 40-34 |
| ثانيا: مناهج الاستشراق الفرنسي في دراسة الأدب العربي ومراحله. | 45-40 |
| ثالثا: تأثّر الاستشراق الفرنسي بالأدب العربي وأثره فيه. | 47-46 |
| رابعا: إسهامات الاستشراق الفرنسي في دراسة ونشر التّراث الأدبي العربي. | 54-47 |
| **المبحث الثّاني: المدرسَة الاستشراقِيّة الفرنسيّة.** | 71-55 |
| أولاً: نشأة الاستشراق الفرنسي. | 58-56 |
| ثانيا: خصائص المدرسة الاستشراقية الفرنسيّة. | 59-58 |
| ثالثا: مدارس وكراسي اللّغات الشّرقية في فرنسا. | 61-59 |
| رابعا: عقد المؤتمرات. | 63-61 |
| خامسا: المجلاّت والدّوريات الخاصّة بالاستشراق الفرنسي. | 64-63 |
| سادسا: رواد الاستشراق الفرنسي. | 71-64 |
| **المبحث الثّالث: حياة المستشرق أندريه ميكال ومنهجه في الدّراسات الاستشراقية.** | 89-72 |
| أولا: إنتاجه العلمي. | 75-73 |
| ثانيا: منهج ميكال في دراسته الاستشراقية. | 83-76 |
| ثالثا: تأثّر ميكال بأستاذه ريجيس بلاشيرة (Régis Blachère) | 89-83 |
| **الفصل الثّاني: النّصّ النّثرِي عند أندريه ميكال.** | 151-90 |
| **المبحث الأول: إسهامات ميكال في دراسة النّثر العربي.** | 112-91 |
| أولا: النّصّ النّثري العربي بين التّرجمة والتّأويل. | 97-93 |
| ثانيا: المقامة العربيّة وتأثيرها في الأدب الفرنسي. | 101-79 |

| | |
|---|---|
| ثالثا: أدب الرّحلات والجغرافيا العربية. | 105-101 |
| رابعا: الرّواية العربيّة المُعاصرة. | 112-105 |
| **المبحث الثّاني: الخصائص الفنّية للأدب العربي من خلال قراءة في كتاب الأدب العربي** | 131-113 |
| أولاً: لمحة عن الكتاب. | 115-114 |
| ثانياً: الدّلالة الرّمزية في عنوان الكتاب. | 116-115 |
| ثالثا: دراسة لفصول الكتاب وأهم النّقاط التي تناولها فيه. | 131-116 |
| **المبحث الثّالث: الخرافة عند أندريه ميكال.** | 151-132 |
| أولاً: نبذة تعريفية بفنِّ الخرافة. | 135-133 |
| ثانياً: تأثر ميكال بابن المقفّع و لافونتين. | 139-136 |
| ثالثاً: الحكم والمواعظ في الخرافة. | 145-139 |
| رابعاً: الشّخصيات الرّمزية في الخرافة. | 151-145 |
| **الفصل الثّالث: الخصائص الفنّية للشّعر العربي عند أندريه ميكال** | 183-152 |
| **المبحث الأول: أصالة الشّعر العربي عند أندريه ميكال** | 163-153 |
| أولا: الرّؤية الاستشراقية للنّص الشّعري العربي. | 156-154 |
| ثانيا: قضية أصالة الشّعر العربي عند المستشرقين. | 159-157 |
| ثالثا: موقف ميكال من قضية أصالة الشّعر العربي. | 163-159 |
| **المبحث الثّاني: ترجمة الشّعر العربي ودراسته ونشره عند ميكال** | 176-164 |
| أولا: نموذج من ترجمة ميكال لأبيات امرئ القيس. | 169-166 |
| ثانيا: نموذج من ترجمة ميكال لأبيات طرفة بن العبد. | 172-169 |
| ثالثا: نموذج من ترجمة ميكال لأبيات جميل بثينة. | 176-172 |
| **المبحث الثّالث: نظم الشّعر العربي عند أندريه ميكال** | 183-177 |
| خاتمة | 188-184 |
| ملاحق | 191-189 |
| فهرس المصادر والمراجع | 204-192 |
| فهرس الموضوعات | 206-205 |
| ملخص | |

**ملخّص:** تهدف هذه الدراسة إلى تبيان جهود المستشرق الفرنسي أندريه ميكال في دراسة النص الأدبي العربي، فهو من أبرز المستشرقين المعاصرين الذين اهتموا بالأدب العربي قديمه وحديثه، وهو آخر المستشرقين الفرنسيين الذين أعطوا الثَّقافة العربية مكانة مميزة في المشهد الثَّقافي الغربي، من خلال نتاج غزير ومميّز، وترجمات في مجالات مختلفة؛ الشعر والنقد والفكر والجغرافيا، قدّم ميكال لنا– من خلال جهوده– الوجه المشرق لقراءة مبدعة للأدب العربي، تختلف عن القراءات الميتة لأنه يقرؤها بعين فاحصة، نقدية لذلك ظلت أعماله ذات قيمة علمية وريادة متفردة، فميكال شاعر وناقد ومؤرخ وجغرافي وكاتب ومترجم لكبرى الابداعات العربية الى اللغة الفرنسية

**الكلمات المفتاحية:** الاستشراق، الترجمة، الادب المقارن، النص الأدبي، أندريه ميكال.

**Abstract:** The aim of this study is to illustrate the efforts of the French Orientalist André Miquel in studying the Arabic literary text, as one of the most prominent contemporary Orientalists who were interested in the ancient and modern Arabic literature. Besides, he is the last of the French Orientalists who gave Arab culture a distinctive place in the Western cultural scene, through an abundant and distinctive product, in addition to translations in various fields; poetry, criticism, thought and geography. Further, Miquel gave us – through his efforts – the bright face of a creative reading of Arabic literature, which has shown to be different from dead readings as he reads it with a careful and critical eye. In light of which, his works have since then remained of scientific value and unique pioneering, since Miquel is a poet, critic, historian, geographer, writer and translator of major Arabic creations into French language .

**Keywords:** Orientalism; Translation; Comparative literature; literary text, André Miquel.